أروى عثمان

ربيع الفرجة

سيميولوجيا المشهد الاحتجاجي في اليمن

2012-2011

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

شكراااً

لكل من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب

ربيع الفرجة: سيميولوجيا المشهد الاحتجاجي في اليمن

2012-2011

شكراً من الأعماق

ربيع الفرجة

سيميولوجيا المشهد الاحتجاجي في اليمن

2012- 2011

أروى عثمان
ربيع الفرجة
سيميولوجيا المشهد الاحتجاجي في اليمن 2011-2012

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر
القاهرة – ش الشيخ معروف متفرع من شارع
شمبليون – عمارة ج - وسط البلد
تليفون: +20225743534
البريد الإلكتروني : arweqhhhh@gmail.com

رقم الإيداع: 14399 /2022

الترقيم الدولي: ISBN: 978-977-797-436-3

بالتعاون مع بورصة الكتب للنشر والتوزيع
25 ش شريف - القاهرة

الطبعة الأولى
2022

أروى عثمان

ربيع الفرجة

سيميولوجيا المشهد الاحتجاجي في اليمن

2011 -2012

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

محتوى هذا الكتاب لا يعبّر بالضرورة عن رأي مؤسسة أروقة وتوجهها

"من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل،
ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي"

جورج أورويل 1984

مدخل

عمت الحركات الاحتجاجية العالم العربي وهي سيرورة طبيعية وتاريخية، لما يعتمل داخله، من استبداد الأنظمة الحاكمة على مدى عقود من الزمن، والتي انحصرت كل مهمتها في القتال المستحكم على السلطة والثروة مقابل معاناة الشعوب من الفقر وغياب التنمية، وتفشي الأمية، والحروب والعزلة، والتراتبية الحادة في تقسيم المجتمع عموديًا إلى طبقات إلهية، وسفلية، ثم الهشاشة في بنية التعليم والثقافة، وتفشي الطائفيات، وغياب منظومة حقوق الإنسان الأساسية..إلخ. ففي اليمن، الذي لم يتخط عتبة الدولة في الألفية الثالثة، مازال يتخبط فيها دون الدولة لأسباب كثيرة، والسبب الرئيس، البنية القبلية شديدة الوعورة ومنظومتها القائمة على سيادة روح الغلبة وشوكة العصبية، والتي تستنفر، وتتحد مكونة التكتلات، ثم تنفض عنها، وتقاتلها، بل وتستشرس أكثر وتظهر ماهو خفي من أوجهها المتوارية عندما تشتم رائحة التغير، أو حتى بوادر التفكير بالتغير، أو رائحة دولة تعتمل من بعيد، فالعصبية والغلبة هما المبنى والمعنى المستحكم في اليمن.

لهذه الأسباب كان من الطبيعي أن يكون لليمن نصيب من ذاك الحراك الاحتجاجي، الذي شهدته بعض الدول العربية مثل، تونس، ومصر وليبيا وسوريا، فـ"تيمنن" الربيع في اليمن، ودخلت الحالة الاحتجاجية في أكثر من طور ومسار إلى أن انزلقت من ورقة

السلمية الهشة إلى جذور العنف والعنف المضاد لتفاقم تشظي بنية المجتمع اليمني الموسومة والمحكومة بالتشظي أصلًا، فهو كان ومازال يرزح منذ قرون في ما دون الدولة وما يلازم ذلك من انعدام سبل الحياة الإنسانية الكريمة التي تغدو مستحيلة في ظل الانقسامات الأفقية والعمودية، والحروب الأهلية الطاحنة بين القبائل، أو على السلطة، وهي حروب كانت تفرز إلى السطح بالمزيد من عناوين الجماعات المسلحة كـ" جماعة الحوثي" التي خرجت من رحم الحرب الدائمة، وآخرها الحروب الست التي مهدت لحضورها الساحق.

اتسمت الاحتجاجات في اليمن في ساحات الحرية والتغيير المختلفة منذ بداياتها بطابع السلمية لـ" الصدور العارية" لمجاميع شبابية، كان مطلبها الأول هو دولة مواطنة تكفل حق الجميع، لكن سرعان ما انكسر المسار السلمي الهش والمؤقت للثورة، بـ" عسكرة الثورة"، مع دخول القوى التقليدية المحاربة من القبيلة والأحزاب" اللقاء المشترك" ورجال الدين" الإسلام السياسي" وزبانيتهم إلى الساحة وتوشى خطاب الاحتجاج عبر المنصات الإعلامية والمسجدية والكتابات ومنصات ساحات الحرية والتغيير، خصوصا " منصة ساحة التغيير بالعاصمة صنعاء" بالعنف والأحادية والإلغاء، كونه خطاب القوى المهيمنة، مما أفضى إلى دخول الاحتجاجات في لجة الصراع والاحتراب الداخلي والتهميش والإقصاء للأطراف الأخرى من النساء والشباب والقوى اليسارية والمدنية.

هذا الكتاب سوسيو- سيميولوجي وسُم، بـ" ربيع الفرجة، قراءة سيميولوجية للمشهد الاحتجاجي اليمن 2011-2012"، يتخذ من الصورة مسارا للتعرف على بعض ماكان يمور في ساحة التغيير. منطلقا من الإشكال الرئيس التالي: ما هي مكوّنات المشهد الفرجويّ الذي تشكّل في ساحات التغيير في اليمن بين الفترة 2011-2012؟ ويتفرع هذا الإشكال بدوره إلى أسئلة فرعية تهدف إلى معرفة الدلالات السوسيولوجية والسيميولوجية لـ "ربيع الفرجة"، متخذين من المشهد البصري الثوري اليمني مدخلًا للغوص في طبيعة الاحتجاجات، وأثر القوى الفاعلة فيها وأهدافها السياسية.

ينحو الكتاب أيضا منحى الدراسات البصرية "Visual Studies"، لما أضطلع به خطاب الصورة الفوتوغرافية من أدوار حاسمة في تشكيل موتيفات الساحة، وكذلك الرأي العام وفرجوياته المختلفة فلقد كان هذا الخطاب مهيمنًا على الفضاء المحلي والدولي، وعليه فقد عملنا على استنطاق الصورة وصولًا إلى المعنى/ الدلالة وفق مقاربة سيميولوجيا رولان بارت.

ثمة دوافع عديدة جعلتنا نطرق موضوع الاحتجاجات، ترتبط جميعها بالسؤال الأهم: لماذا هذا الكتاب؟ حيث يتداخل الذاتي بالموضوعي نأتي على أهمها:

- التعمق في كنه الاحتجاجات السوسيو- سميولوجي، والاحتجاج "البصري" على وجه التحديد، وما آلت إليه الأحداث المشهدية؛ بمعنى قراءة ما وراء الصورة

الفوتوغرافية التي لعبت الدور الكبير والمكثف في أحداث 2011، عبر المعنى والدلالة التي تعدّ جوهر المنهج السيميولوجي لقراءة الصورة.

- من خلال متابعاتنا البحثية للمقاربات المختلفة التي اشتغلت على حدث" احتجاجات 2011" لم نجد سوى دراسات علمية قليلة، لا ترقى إلى مستوى الحدث الذي ما تزال امتداداته سارية حتى اليوم، فجلّ الكتابات التي اشتغلت على حدث 2011، كانت ذات منحى سياسي/ صحفي/ حقوقي، ونعتقد أن السبب في ذلك يرجع إلى شحة الإمكانات المادية المخصصة للبحث العلمي، وأيضًا تعطل الجامعات والمراكز البحثية" القليلة" بسبب الحرب، وهجرة الكوادر إلى المنافي. ولذلك كله لم نعثر على دراسات علمية لتمثلات المرئي، خصوصًا الصورة.

سعى الكتاب أيضًا إلى قراءة تشكلات الساحة وأساطيرها باعتبارها جغرافية ممتدة في ربوع اليمن لممارسة فعل الاحتجاجات بوصفها فرجة Spectacale نوعية غير مسبوقة في التاريخ اليمني الحديث والمعاصر الذي دخلت عليه الساحات كحدث جديد وفارق بتنويعاتها بيئة نفسية-اجتماعية ثقافية مولدة للانفعالات والمشاعر والأحاسيس والصور الذهنية الحقيقية والخيالية وللمواقف وللأفكار والمنظومات الأيديولوجية.

لقد شكلت ساحة التغيير وكل العمل الاحتجاجي مجتمع الاستعراض فعملت المنصة والمسجد (الخطاب الديني) اللذان

هيمنت عليها القوى التقليدية والأصولية، على تخدير الجمهور بتحريك الصور والتقنيات الخاصة بها ليصبح الجمهور مسحورًا بها، وكما قال ديبور "حيث يتحول العالم الواقعي إلى صور بسيطة. تصبح الصور البسيطة كائنات واقعية، وحوافز فعالة لسلوك في حالة تنويم"[1].

وكون الكاتبة من الذين كانوا في ساحة الاحتجاج منذ البداية، فقد عكفت على تدوين الملاحظات، والشعارات، إلى جانب التصوير، والكتابة والنشر، وعند الاشتغال على هذا البحث عملت على طرح أسئلة لذوي الرؤى الثقافية والسياسية المنتمية سياسيًا وغير المنتمية، ومن أعمار ومهن ومهام مختلفة، سواء كانت من الفاعلين في الاحتجاجات، أو من ذوي الأصوات الخافتة، كالقوى المدنية والنساء والشباب أو من الصوت الحاسم للأحزاب والقوى التقليدية. واستطلعت الآراء التي اختلفت وتقاطعت، وتناقضت في مقاربتها لمعنى الاحتجاجات والممارسات المختلفة من قبل المحتجين، وعلى الأخص القوى الفاعلة، وخطاب الصورة، وبجانبه خطاب الكتابات والشعارات.

وشمل الاستطلاع من يقيمون في اليمن، ومن يقطنون خارج اليمن،على اختلاف بيئاتهم فمنهم من سكنى المدن، ومنهم من القبائل والريف. كل تلك الآراء كانت مرتكزي في هذا الكتاب.

معمار الكتاب يتكون من خمسة فصول، وهي كالتالي:

---

(1) ديبور، غي، " مجتمع الاستعراض"، ترجمة أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، 2000، ص 12.

الفصل الأول:

عمدنا إلى القراءة السوسيولوجية للمشهد الاحتجاجي اليمني، الذي طبع الحالة اليمنية في معظم مدن اليمن.

الفصل الثاني: قراءة المشهد الفرجوي الاحتجاجي في اليمن. فرجويات أشكال التعبير والقوى الفاعلة.

الفصل الثالث: قراءة الصورة الفوتغرافية بالأخص، وأشكال التعبير الأخرى، باعتبارها ممارسة فرجوية. فقد ركزت على المشهد الفرجوي الاحتجاجي، "البصري"، والتمثلات الاجتماعية والفكرية، والنفسية، والسياسية، لما يعتمل في ساحات الاحتجاج وانعكاسه على الفضاء البصري.

الفصل الرابع: اعتمدنا تحليل ثماني صور سيميولوجيا، واختيرت الصور قصديا لما يعتمل في الساحة، من ضمن فعاليات الساحة، ثم ما بعد الساحة(بعد التسوية بالمبادرة الخليجية 3 أبريل 2011)، وما تجسد من تمثل في الفعل الثقافي والفني وانفتاحه على الأطياف المختلفة: الجرافيتي تحت مبادرة شبابية اسمها" لوّن جدار شارعك"2012.

الفصل الخامس: مآلات الاحتجاجات، وإلى أين أودت باليمن واليمنيين، ومشهدية الفبرايرلجيين" الفبررة"، تلخص الأنوميا الاحتجاجية.

لقد شكل لنا هذا الكتاب واحة معرفية للاطلاع على أفق الدراسات النقدية الحداثية وما بعد الحداثية، خصوصًا لأحد بنياته

ألا وهي السيميولوجيا للمشهد الاحتجاجي عامة، وسيميولوجيا الصورة بشكل خاص عبر مقاربة رولان بارت.

مجال الكتاب:

1- المجال الزّماني:

ونقصد به، الزّمن الذي وقعت فيه الأحداث " الاحتجاجات"، في الجمهورية اليمنية، من 2011-2012، أي من أول يوم وقعت فيه أحداث الربيع، حتى رفع الساحات، والدخول في التسويات السياسية.

2- المجال المكاني:

اخترنا الفضاء المكاني وهو ساحة التغيير بالعاصمة صنعاء، كونها الساحة الكبرى والرئيسية لمجرى الفعل الاحتجاجي في العاصمة اليمنية صنعاء، ومنها تفرعت ساحات الحرية والتغيير في أكثر من 17 مدينة يمنية.

وعلى ذلك، سعى الكتاب إلى تحقيق أهداف أربعة:

- رصد المكونات الكبرى لمشهدية الاحتجاجات اليمنية كما كانت تلاحظ في ساحات التغيير اليمنية خلال الفترة 2011-2012.
- تركيب لوحة المشهد الثوري/الاحتجاجي بوصفها نصًا بصريًا.
- إجراء قراءة سيميولوجية لذلك المشهد.
- إجراء قراءة سوسيولوجية لذلك المشهد بما يمكّن من التعرّف على طبيعة الاحتجاجات، وعلى القوى الفاعلة فيها وعلى أهدافها السياسية.

إن للمشهد الاحتجاجي اليمني سجلًا يقوم على رصيد من الصُّوَر التسجيلية، وهو ممثلٌ للاحتجاجات اليمنية بحيث يشكل خطابًا قابلًا للمشاهدة بصريًا، لأن لذلك الخطاب مفردات خاصة لا يمكن قراءتها إلا على أساس أنها مشهد فرجوي. وخلال الفترة 2011-2012 كان من الممكن التقاط مختلف المفردات المكونة لذلك الخطاب من منابع ثلاثة:

- جدران المباني المحيطة بساحات التغيير في اليمن وعلى محامل وُضعت في تلك الساحات.
- صفحات شبكات التواصل الاجتماعي حيث كان بالإمكان ملاحظة صور المشهد الثوري على الهواتف المحمولة وعلى اللوحات الإلكترونية وعلى شاشات الحواسيب.
- محامل الصحافة المكتوبة، الورقية والإلكترونية والمرئية (على شاشات التليفزيون).

والصور في كتابنا نوعان:

- الصور اليدوية الكاريكاتورية والغرافيتية التي يرسمها الفاعلون ويظهرونها في ساحات التغيير، أو في الشارع العام.
- الصور الفوتوغرافية التي تعرض كرنفال الألوان والأشكال والحركات والمظاهر التي كانت تزخر بها ساحات التغيير في اليمن.

وبهذه الخصائص تمثّل الصور مفردات مشهد احتجاجي يمكن أن نعتبره مشهدًا فُرْجَوِيًّا صنعه فاعلون ثوريون/ محتجون. وبهذا المعنى، تحتاج تلك الصور إلى القراءة بحيث نتمكن من

الإمساك بمشهد الاحتجاجات في اليمن، وباعتبار تلك القراءة ممارسة للفرجة على ما كان يبني مضمونًا احتجاجيًا/ ثوريًا محددًا. وبالفعل، تكوِّنُ الصور التي أشرنا إليها بنوعيها وعلى المحامل التي ذكرناها خطابَ الاحتجاجات اليمنية البصري. ولهذا الخطاب خصوصية كونه بصريًا، ولكن خصوصيته لا تتأتى من مستواه البصري فحسب بل تمتد إلى علاقته المتشعبة بثقافة المجتمع اليمني، البصرية وغير البصرية.

أخيرآ، لا يسعني إلا أن أشكر الدكتور منير السعيداني الذي أفادني بملاحظاته القيمة، وشجعني على إصدار هذا الكتاب".

الفصل الأول

"ربيع الفرجة": المشهد الاحتجاجي في اليمن

تمهيد

تم اختيار وتحديد الإطار الزمني لهذه الدراسة(2011-2012) تبعًا لاعتمالات الفعل الاحتجاجي وكان انطلاقته وذروته في مطلع 2011، وخمدت جذوته في منتصف الاحتجاجات وانطفأت مع أواخره ومطلع 2012 تقريبًا، كل هذا التدرج من الحماس الجارف والتدرج في انخفاضاته حتى السكتة الثورية، كان بعد دخول الاحتجاجات نطاق التسويات السياسية ممثلة بالمبادرة الخليجية 3 أبريل 2011، واقتراحاتها بالإنتقال إلى الانتخابات "المرحلة الانتقالية"، من بوابة الشروع بالتهيئة للحوار الوطني وما تخلله من أحداث عنيفة و حروب، وصولًا إلى الحرب المدمرة21سبتمبر 2014، التي ما زالت مشتعلة في كل أرجاء اليمن.

فما طبيعة هذه الحركات الاحتجاجية؟ ما هي أهدافها، ومطالبها؟ وهل تحققت مطالبها من النزول إلى الساحة/ الشارع؟ نعرج في البداية على معنى الاحتجاج وفرجته:

لماذا الفُرْجَةُ Spectacale

لماذا اخترت مفهوم الفرجة، وفرجة ديبور تحديدًا لاستعراض مشهدية الاحتجاجات اليمنية؟ وهل المجتمع اليمني قبل الاحتجاج وبعده مجتمعًا استعراضيًا؟

ستتبين محاولة الإجابة على هذين السؤالين، في فصول الكتاب. ولنعرج قليلًا لتعريف معنى الفرجة سوسيولوجيا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفرجة الـ "Spectacale وما يجلب النظر والـ Spectatorاللاتيني هو مايرى ومن يرى"[1]، يقول بنعبد العالي إن الفرجة هي "انفراج وفوهة وابتعاد. مجتمع الفرجة هو مجتمع يعيش فيه الشيء مبتعدًا عن ذاته، مفوضًا بديله وصورة عنه. إنها لب لا واقعية المجتمع الواقعي، " لب سريالية الواقع".هو إذًا واقع يفتقد شيئًا من الواقعية، واقع يلتبس الوهم، ويتحول إلى سينما"[2]

أما ديبور في كتابه الهام " مجتمع الاستعراض"/ مجتمع الفرجة، فيعرف الاستعراض بأنه " الأيديولوجيا بامتياز، لأنه يوضح ويعرض بشكل كامل جوهر كل نسق أيديولوجي: إفقار، وإخضاع، ونفي الحياة الواقعية. الاستعراض هو ماديًا " التعبير عن الانفصال والتباعد بين الإنسان والإنسان" إنه" القوة الجديدة للخداع"[3] وفي نفس السياق يرى عبد السلام بنعبد العالي أنه:" عندما نقول إن الفرجة هي الأيديولوجيا بلا منازع، يصّور به وما يقال عنه. إن المنطق مفعول ما غريب يمزج بين الحلم والواقع. ويخلق الواقع الذي يتنبأ به فينبئ عنه. الأيديولوجيا هي ما يجعل الأشياء حقيقية بمجرد التأكيد الدائم على أنها كذلك"[4]

ويدخل رولان بارت لتعريف الفرجة من باب المصارعة، إذ يقول عنها، إنها" مزية أنها فرجة جوهرها المبالغة... إنه عرض"

---

(1) بنعبد العالي، عبد السلام، " ميثولوجيا الواقع،" دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى1999، ص9.

(2) بنعبد العالي، عبد السلام "، ضد الراهن"، دار توبقال للنشر الدار البيضاء – المغرب ص6.

(3) ديبور، جي، " مجتمع الاستعراض"، ترجمة، أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط4، 2000، ص94.

(4) مرجع سابق" ضد الراهن"، ص6.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[1]، وعند حديثه عن الروحاني في الديانات، يقول: "كل طقس، من هذا النوع، متخصص ومؤبد، ارتقى في الوقت نفسه إلى مصاف الفرجة (المشهد) اللاذعة والرمز القريب من الرمز المسيحي" [2]

تهتم دراسات الفرجة بأمرين؛ بالبعد التواصلي الذي تتميز به الفرجة، و بالفعل أو "الممارسة الفرجوية".

إذن تتعدد التعريفات،: انفراج وفوهة وابتعاد، الواقع والوهم، أبطالها: الجمهور والمؤدون، في سياق الممارسات الثقافية، عبر أدوات تواصلية، هي التمسرح والأيديولوجيا، هناك تقاطع بين الفرجة واقعًا/ حياة، ومسرحًا، أي تميل الفرجة إلى الفن أكثر منه إلى الواقع بمعنى كما قال ديبور هي "ليست فقط مجموعة من الصور، بل علاقة اجتماعية بين أشخاص تتوسّطها الصور"[3].

الفرجة بما هي استعراض، مشهد، أيديولوجيا، صور، وطقس، لها بعد التواصل وبالممارسة تتحول إلى مشهدية في الواقع، خصوصًا في الاحتجاجات والتثوير بواسطة الصورة، والأداة الإعلامية والتواصل الاجتماعي بشكل عام، إذ يتمسرح الواقع بأحداثه، ويتداخل، بحيث لم تعد للإدراك مقدرة على الفصل والفهم بين الواقع والفرجة. أي يتصنع، وتتميع الأحداث والقضايا كالقضايا الإنسانية، والاحتجاجات، والشهداء، تتسلع القضايا، لتتمظهر عبر الفرجة. وهذا ماكنا نشاهده بحيث لم نعد ندرك، الفرق بين الاستعراض والواقع. إنها الفرجة السائلة.

---

(1) بارت، رولان، "أسطوريات، أساطير الحياة اليومية"، ترجمة، قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، 2012، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص 192.

(3) مرجع سابق "مجتمع الاستعراض"، ص10.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبحسب وصف بوديار عن المشهد بأنه" هو الذي يكيف الواقع وفق نمط مشهديته. وهذا ما يؤدي إلى إفراغ تدريجي للواقع من واقعيته، أو تصحير الواقع "[1].

يتداخل مفهوم المشهد مع الأدبيات والفنون، ويرادف الحضور الإنساني والمكاني في مفهوم الصورة والقضية، بتوقيت زمني معين، وبأنه جزء لا يتجزأ من المجتمع المشهدي الذي يفرغ الواقع. وهذا ما كان باديًا في مشهد الاحتجاجات بساحات التغيير.

والمشهد هو المجال المكاني والبشري، الإناسي تلعب الممارسات والتمثلات الثقافي – سوسيولوجي، له طابع، التكرار، ويلعب الإعلام، الصورة منه، على تضخيمه وإفراغه من مضمونه، بما يسمى المشهدية أي الصورة إذا تمسخ الواقع، فلا يعد الإنسان قادرًا على التمييز بينهما.

مصطلح المشهد كما عرّفه ديبور وآخرون كـ"رولان بارت"، من أنه الاستعراض، الفرجة، الصورة، وهو جزء لا يتجزأ من الأسطورة والمجتمع المشهدي.

فحدث الصورة الفوتوغرافية بصفتها خطابًا، لتفكيك "أسطورتها" بحسب المنهجية السيميولوجية لرولان بارت لاستخراج المعاني والدلالات البصرية من حيث كيفية صنعها اجتماعيًا وتكون مدخلًا من مداخل دراسة الثورة اليمنية سوسيولوجيًا.

---

(1) بودیار، جان، "المصطنع والاصطناع"، ترجمة، جوزيف عبدالله، المنظمة العربية للترجمة مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 2008، ص30.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سؤال الاحتجاجات:

في معنى الاحتجاج وفرجوياته:

الاحتجاج Protests

منذ أواخر سنة 2010 ومطلع سنة 2011، اندلعت الحركات الاحتجاجية التي اندرجت في التناول الإعلامي تحت مسمّيات "الثورات"، و"الربيع العربي" و"الاحتجاجات" والانتفاضات، تلك التي كانت قد اشتعلت جذوتها الأولى في تونس 17 ديسمبر2010 لتمتد إلى مصر وسوريا وليبيا واليمن والبحرين، وفيما تمكّنت بعض الدول من احتواء الأفعال الاحتجاجية مثل المغرب والأردن وسلطنة عمان، دخل السودان والجزائر ولبنان منذ أواسط سنة 2019، ضمن المجتمعات العربية التي تشهد الموجة الثانية من الاحتجاجات.

في هذا السياق، اندلعت احتجاجات اليمن في 11 فبراير 2011*. وقد اتسم الحراك الثوري اليمني بمشهدية قوية طبعت الفضاء الاحتجاجي، تكونت من المنطوق ومن المكتوب ومن المصوّر باليد أو بالآلة الفوتوغرافية، كما تكوّنت من الحركي. لقد كنا نشهد يوميًا مزيجًا من الشعارات والهتافات و"الزوامل"*من جهة (المنطوق)، وكنا نشهد الصور الفوتوغرافية واللوحات التشكيلية ولوحات الكاريكاتور والجداريات ورسوم الجرافيتي (المُصَوّر) من جهة ثانية، كما كنا نشهد الرقصات والمسيرات المليونية والجُمَع والصلوات وتحركات الحشود، وكرنفالات

---

* يعد 11فبراير 2011 التاريخ الرسمي لانطلاق شرارة الاحتجاج، لكن هناك تاريخًا قبل ذلك بدأ في 15يناير2010 بسقوط بن علي وانتصار الثورة التونسية، سنستعرضه لاحقًا.

* الزوامل: مفردها زامل، وهو نوع من أنواع الفنون القولية، وتمارس في المناسبات الدينية والاجتماعية، والحروب والمنازعات والثارات القبلية، تمارسه بصفة أشد القبائل والبدو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشهداء (الحَرَكِيّ)... إلخ، من جهة ثالثة. وقد أسهمت في الترويج لمشهدية الثورة اليمنية منظومات وسائط الإعلام المختلفة، وخصوصًا شبكات التواصل الاجتماعي، حيث ساعدت على توسيع ما لقيته من صدى في وسائل الإعلام المحلية والدولية. ويمكن القول إن الاحتجاجات اليمنية خلقت "فنون شارع" خاصة بها، بل كانت ثمة مبادرات متميزة في ذلك منها حَمْلَة "لوّن جدار شارعك" مثلًا.

تلك المشهدية الاحتجاجية الحيّة والثرية، في اليمن عُدّتْ أحد أهم أبعاد الفعل الاحتجاجي في كل ساحات التغيير في اليمن، بل، و طوال الفترة 2011– 2012، عُدّ المشهد ذا أثر سلطة مُوجِّه في رسم الأحداث وتأطير الأفعال وكذا في تحديد المسار التغييري بحد ذاته.

إن الأمر الذي لاحظناه هو تنوع المشهد البَصَريّ الاحتجاجي اليمني في ساحات الحرية و التغيير وهو ما دفعنا إلى توثيقه من خلال المئات من الصور الفوتوغرافية التي سجّلت ما كان يدور في أفضية ساحات التغيير اليمنية المختلفة ومنها ساحة العاصمة صنعاء وساحات بعض المحافظات التي تم زيارتها مثل عدن وتعز والحديدة وذمار إبان فترة الاحتجاجات.

لقد مكنت الصورة الفوتوغرافية، وبعضها التقطها مصورون صحفيون، من تثبيت لحظات معبّرة عن مشهدية الاحتجاجات في ساحات التغيير اليمنية، وهو ما يمثل رصيدًا بالغ الأهمية يدعو إلى محاولة تحليله وتفكيكه سيميولوجيًا بحيث نتمكن من قراءته سوسيولوجيًا. وقد لاحظنا أن هذا الموضوع لم يحظ بالدراسة الكافية بوصفه تعبيرًا عما يجيش في المجتمع اليمني، وهو نقص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حال دون الفهم العميق لتداعيات الحراك الاحتجاجي اليمني التي لا تزال تعتمل حتى اليوم.

وبالاعتماد على هذا السجل المُصَوَّر، ننطلق من أن تناول مشهدية الاحتجاجات اليمنية كفيل بأن يكشف لنا بعض جوانب الممارسة التواصلية-الثقافية داخل المجتمع اليمني في حالته التغييرية الاحتجاجية بما يمكّننا من فهم بعض أنماط اشتغال المخيال الجمعي اليمني وما يبنيه من تصورات وتمثلات.

الحركة الاحتجاجية، هي حركة مجتمعية مطلبية، تعاني الضيم، خرجت للمطالبة بحقوقها الأساسية والمدنية لإسقاط منظومة الاستبداد. عبرت عنها بالخروج إلى الشارع، ووسعت قضاياها المطلبية بغية الضغط والوصول إلى تحقيق الأهداف عبر وسائل التواصل الاجتماعي. والصورة أهمهم، " أشكالًا متنوعة من الاعتراض، تستخدم أدوات تبتكر للتعبير عن الرفض، أو لمقاومة الضغوط الواقعة عليهم أو الالتفاف حولها هادئة أو هبات غير منظمة "[1]

وبمعنى آخر، يعرفها الباحث، أشتي فارس، "هي فعل الاعتراض(الاحتجاج)، والمعترض(فئة مجتمعية أو تنظيم...) المعترض عليه (فئة مجتمعية و/ أو سلطة...)، وموضوع الاعتراض (سياسيًا، اجتماعيًا، ثقافيًا...) وهي العناصر التكوينية نفسها للحركة المجتمعية "[2].

كان المشاهد هو خروج آلاف المحتجين المدنيين من الشباب، الناشطين، والكتاب والصحفيين، وكذلك بعض الحزبيين إلى

---

(1) الشوبكي، عمرو، " الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2014، ص42.

(2) اشتي، فارس، من موضوع " الجذور التاريخية للحركات الاجتماعية في البلدان العربية"، الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص90.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفضاء العام/ الشارع/ ساحة الاحتجاجات، لينضم إليهم بعد ذلك العاطلون عن العمل، والفقراء والريفيون، وبعض شباب القبائل، وسرعان ما دب الانقسام في القبيلة المهيمنة" حاشد"، والمؤسسة العسكرية، وجهاز "الدولة" برمته لينظم المنشقين عن السلطة إلى الاحتجاجات. لتنقسم اليمن بين ساحتي احتجاج: "ساحة الحرية والتغيير" ضد النظام واتخذ من مربع جامعة صنعاء وشارع الستين موضعًا له. وساحة التحرير قلب العاصمة صنعاء. أتخذها الطرف الآخر ممثلًا في النظام الحاكم، منطلقًا لفعالياته المضادة، وهكذا.

سنعرج على تصنيفات طبيعة الحدث الكبير وما أنتجه من خلخلة وضجة وفوضى معًا، أسقطت أنظمة، فمنهم من نعتها بالثورة، فيما أطلق عليها آخرون حركات احتجاجية/ حركات اجتماعية/ انتفاضة/عصيان مدني/ ثورة الجياع/ هبة شعبية/ هزة ثورية/ فوضى و"فوضى خلاقة".. إلخ من المفاهيم والمصطلحات والنعوت التي عج بها الفكر العربي أثناء فترة "الربيع العربي" وما بعده في المجال العام من إعلام، وفضائيات ووسائل تواصل اجتماعي، ومؤتمرات، وفعاليات وحراك فكري، وإصدارات، وغيره من أشكال التعبير (سنأتي على ذكرها).

لقد كانت الاحتجاجات/ " الثورات" من أجل الحرية والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية والدولة المدنية والحقوق والحريات، والتغيير، ثورات لتغيير منظومة الحكم " إسقاط النظام"، وبالدرجة الأولى من أجل الخبز، والحقوق اليومية المعيشية للغالبية، والتي شكلت المطلب الأساسي للاحتجاج على النظام الذي تضخم وتوحش فساده على مدار عقود من الزمن،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن إهدار الكرامة والتجويع والتفقير إلى أن وصل حال الأغلبية إلى مجاعة مزمنة.

ومن خلال الإشكالية الأولى لطبيعة الحركات الاحتجاجية، أهدافها، مطالبها ...إلخ، يُطرح السؤال: هل كان الربيع حقًا عفويًا، بـ" الصدور العارية " للشباب كما حدث بالفعل، وبعد ذلك اشتغلت عليها البروبوجندا الإعلامية المحلية والخارجية، خصوصًا الجماعات التي سارعت إلى اقتناص جمرة "الشرعية الثورية" للربيع العربي: " الإسلام السياسي"؟ ثم، لماذا بدأت الاحتجاجات/ "الثورة" سلمية " في أيامها الأولى وعفوية و سرعان ما تسلحت " عسكرة الثورة" (اليمن، سوريا، ليبيا) وانزلقت إلى حروب أهلية سقط في أتونها الآف الشباب في مجازر عبثية/ عدمية، لم يكن النظام الحاكم وحده المسئول الأوحد عنها، بل لقد تردد أن بعض جنرالات/قادة "الشرعية الثورية " تورطوا وكانت لهم بصمات في تلك المجازر المرتبطة بصراع سياسي مغلق كـ" مجزرة جمعة الكرامة 18مارس 2011" في ساحة صنعاء بقصد لفت الرأي العام الخارجي للربيع وأوراقه، ولإضفاء الشرعية على دخول الجيش المنشق*عن النظام "الجيش الوطني " 21مارس2018 إلى الساحات "الثورية" وممارسة مهامه، بزعم "حماية الشباب من آلة النظام الدموية "، و"الاصطفاف الثوري "و" القضاء على الثورة المضادة "؟ كما ورد فيما لايحصى من الكتابات حول هذا الفعل، بما فيه بعض الآراء التي استطلعناها في ثنايا هذا الكتاب.

في حالة اليمن، لماذا " انقسمت" القبيلة اليمنية " وتوزعت بين النظام وبين الاحتجاجات"، كما كان عليه حال بعض القبائل

---

* يطلق عليه الجيش الحر، تيمنًا بالجيش المنشق عن النظام السوري وأنضم للثورة السورية 2011.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسلحة الكبيرة كقبيلتي "حاشد" و"بكيل" وغيرها من العشائر ممثلة بشيوخها وأعيانها الذين كانوا لحمة النظام، بالإضافة إلى دخول الجيش المنشق والأحزاب إلى الساحات تحت حجة: حماية الشباب من الآلة القمعية لنظام صالح جهاز " الأمن القومي"؟ برغم أن الشباب منذ نزولهم في 15يناير2011، كانوا بدون قيادة؟

أسئلة كثيرة، سنحاول الإجابة عنها كونها جزءًا لا يتجزأ من سيرة هذا الكتاب. وقبله نعرج قليلًا على مفاتيح اليمن – بشكل مختصر- بعرض بعض المحددات، البنية الجغرافية والثقافية والسياسية والاجتماعية في اليمن.

دوافع محددات المشهد الاحتجاجي:

أولاً: المحددات السوسيو – ثقافية عن اليمن

تقع اليمن في جنوب الجزيرة العربية وتقدر مساحتها بـ 555 ألف كيلو متر مربع، وتوزع إلى 22 محافظة، وتمتلك شواطئ طولها 2200 كيلو متر مربع، تبدأ شمالًا على الحدود البرية للمملكة العربية السعودية وتنتهي في الجنوب الشرقي بملامسة شواطئ سلطنة عُمان، وتمتلك أكثر من 186 جزيرة تختزن التنوع الطبيعي، من نباتات، وأحياء بحرية و..إلخ، (فهي ليست فقيرة كما تشيع وتروج بعض النخب المستفيدة من تسول الخارج) فهي تختزن ثروة سمكية، ونفطًا وغازًا، وطاقات وموارد كثيرة وكبيرة، إلا أن ثروات البلد استنزفت وتستنزف على الدوام من قبل الأنظمة الفاسدة المتعاقبة في حروب أهلية طاحنة عبر تاريخها القديم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحديث والمعاصر، وتصاعدت بشكل محموم وجهنمي منذ ثورة 1962 * ناهيكم عن الأطماع الخارجية.

لقد خاض اليمن الشمالي حربًا أهلية استمرت ثماني سنوات (62-70) وانتهت بمصالحة هشة بين الجمهوريين والملكيين. وتوالت فصول الحرب بمسميات شتى حتى يومنا هذا. والذي جاء فيه الحوثيون كتكرار فج لتلك الفصول القديمة من الحرب، بعد انقلابهم على البلاد والعباد2014، وإظهار مشروعهم الطائفي، الملكي، الذي يعتبر الحكم حقهم الإلهي، كونهم السادة المختارين من السماء، وكونهم من نسل الرسول، وأن مشروع الجمهورية باطل لأنه أخذ حقًا-ملكًا، ليس له، ولم يذكر في كتب الله والمقدسات، كما ذكر الله الهاشميين والسادة، البطنيين والعترة، لهم ولآلهم حتى قيام الساعة..إلخ من أطروحاتهم.

وفي الجنوب لم تتوقف دورات العنف والصراعات إبان الحرب ضد المستعمر البريطاني وبعد إحراز الاستقلال في 30 نوفمبر 1967وصولًا إلى 13 يناير 1986.وفي الأثناء خاض اليمن حربين بين شماله وجنوبه في 1972/1979، وبعد إبرام الوحدة بين شطري البلاد في 22 مايو 1990، اندلعت حرب دامية في صيف 1994على الجنوب، أطلق عليها الطرف المنتصر " نظام علي عبدالله صالح " حرب الردة والانفصال".

ومع مطلع الألفية كانت الحروب الستة الضارية في صعدة بين النظام ضد الحوثيين (2004-2009)، ناهيكم عن حروب يومية بين القبائل وثاراتها وأحقادها البينية التي لا تنتهي، حيث يتنقل شررها

---

* ثورة 26سبتمبر1962م في الشمال التي كان يحكمه الأئمة منذ العام(898 1962)، والجنوب الواقع تحت الاحتلال البريطاني منذ عام (1839 1967).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

باستمرار إلى العاصمة صنعاء التي تحولت في الأخير إلى ساحة للثارات. إلى جانب مقاولة النظام مع الأمريكان في الحرب على القاعدة والإرهاب.

وبعد انهيار صفقة الوحدة المبرمة بين شطري اليمن الشمالي والجنوبي بحرب عام 1994، اندلعت احتجاجات الحراك الجنوبي 7 يوليو2007 الذي كان مطلبه حقوقيًا في البداية، ثم انتقل إلى المطالبة بالانفصال واستعادة دولة الجنوب. وفي العام 2011 اندلعت حركة الاحتجاجات الواسعة في البلاد والتي رفعت شعار إسقاط النظام برمته.

وتوالت الأحداث الجسيمة والخطيرة بدخول الحوثيين صنعاء في انقلاب دام 21 سبتمبر 2014 لتصبح اليمن ساحة مفتوحة لحرب طويلة في الداخل استدعت التدخل الإقليمي والدولي وتحولت إلى حرب بالوكالة ازدهرت فيها المليشيات المسلحة وسلطات الأمر الواقع، ومعهم وبهم، تفككت بقايا الدولة الهشة وتمزق الكيان اليمني إلى أوصال وشظايا وكل ذلك يتم على مرأى ومسمع من المجتمع الدولي، فـ" اليمن دولة صغيرة، تقع على طرف النظام الإقليمي الخليجي، وهو ذو موارد ضئيلة محدودة التأثير الخارجي، إلا بما يمتلكه من موقع جغرافي يعتبر مصدر التأثير والنفوذ الوحيد الذي يمكن أن يؤثر به اليمن في المجال الخارجي... ومن مصلحة الجميع الحفاظ على اليمن كدولة آمنة ومستقة، لأنه بمنزلة صمام الأمان للمصالح الدولية، حتى وإن كان السبيل إلى الحفاظ على هذا الأمن والاستقرار على حساب اليمن ذاته"[1]

---

(1) أبو زيد، أحمد محمد، " معضلة الأمن اليمني الخليجي، دراسات في المسببات والإنعكاسات والمآلات"، دبي الإمارات العربية المتحدة، مجلة المستقبل العربي، العدد 414، أغسطس 2013،ص75 76.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ - شوكة العصبية القبلية:
" الانقسام أساس البنية القبلية " (ابن خلدون)

ارتأينا أن نتوسع في هذا المبحث، كون اليمن تتحدد، بالدرجة الأولى ببنية قبلية شديدة التعقيد تحكمها وتتحكم بها لقرون طويلة، وعقدتها شوكة العصبية والغلبة وما أفرزت البدواة الذهنية من طبقات وتراتبيات حادة مستحكمة، بين الأقوام والأجناس، في الملة والمذهب الواحد، التصنيف الضيق لما هو جنسي، عرقي، طائفي، جهوي مناطقي، ومهني، وهو تراتب حاد ومقدس وفاعل في البنية الذهنية مازال معمول به حتى اليوم.

يقوم التراتب الاجتماعي Social Stratifcation على الفرز بين الناس: السادة، القضاه، المشايخ، القبائل، الفئات الضعيفة في السلم الاجتماعي ك " أولاد الخمس/ الناقصين/ الطرف/ القرار/ الضعفاء، وكلها تعرف بهذه التسميات وهم، " الدواشين، المزاينة، الجزارين، المداحين، والفنانين، الحدادين، اليهود، وأصحاب المقاهي " المقهويين "، والإسكافي، والحرفيين، والأخدام "، وتدخل النساء ضمن الفئات الضعيفة/ الهشة اجتماعيًا*.

ويعيش أولاد الخمس في أطراف القبيلة أو القرى ولا يتزواجون إلا فيما بينهم، ومن تجرأ وتزوج منهم، تتبرأ منه القبيلة، وبالرغم قيام ثورة الجمهورية على أهداف رئيسية ستة، والهدف الأول، " إزالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات "، إلا أن الشقوق لم تردم، وتعمقت الجذور، وظل اليمني، والقبيلي والهاشمي على وجه الخصوص، حتى وإن عاش في المدن، أو غادر

---

* أولاد الخمس، وهي الفئات التي يطلق عليها بلا أصل ولا نسب، ويشتغلون في المهن المحقرة، كالحلاقة، والحدادة، وزراعة الخضار، والجزارة، والفنون بكل أشكالها، ويطلق على هذه الفئة: المزاينة، والأخدام، والدواشين، واليهود.. "والثنائية العنيفة عند الهاشميين" السادة، وبقية فئات الشعب اليمني، فيطلقون على أنفسهم القناديل، مقابل عامة الشعب" الزنابيل ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى خارجها، وترقى إلى مدارج العلم، فإنه يبقى أسير العرق، والأصل والفصل، ويقاتل نسمات التغيير إذا مامست هذا الصندوق النقي/ الإلهي: يستند عبد العزيز مسعود في كتابه " اليمن المعاصر"، على رؤية روبرت ستوكي في مؤلفه" اليمن والسياسة في الجمهورية العربية اليمنية"، إذ يقول، عن المجتمع اليمني: "... بالرغم من تماسكه الظاهري، إلا أن السكان ينقسمون فيه إلى طائفتين متناقضتين من حيث الرؤى السياسية والتشريعية، حيث يعزو كل عضو في المجتمع نفسه للطبقة التي ينتمي إليها- على حد قوله- إما أن يولد سيدًا، أو شافعيًا أو فلاحًا أو حرفيًا" إلخ، هذه هي الهوية الاجتماعية القائمة"[1]، وبالفعل هي هوية توارثية، لم تتغير قط حتى في الألفية الثالثة، وحتى إن هاجر الفرد اليمني، وتحصل على أرقى مستويات التعليم، والثقافة في أوروبا وأمريكا، ليرجع مثلما خرج منها" قبيلي خام، متحصن بالبدواة، متلفعًا بالجذور والأصول والعصبويات..إلخ من متكئات ثقافية-اجتماعية.

ومرد ذلك هو المجتمع المنغلق على ثقافته العنصرية/ العرقية (الطاهر مقابل المدنس)، والتي هي نفس العقلية القبيلية والبدوية للجزيرة العربية والكثير من الدول العربية، ففي العراق والمجتمع العربي، ماقبل دولة، يورد السوسيولوجي علي الوردي،:" البدو، يحتقرون كل المهن، فهم يحتقرون الحائك والحداد والصائغ والصيقل والدباغ والحلاق، وكل من يكسب رزقه بكد يمينه أو عرق جبينه.. إنهم يعدون ذلك دليلًا على الجبن والضعف، فالقوي

---

(1) المسعودي، عبد العزيز،" معالم تاريخ اليمن المعاصر، القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية(1905 1948)"، مكتبة السنحاني، 1992، ص16.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشجاع في نظرهم يجب أن يكسب رزقه بحد سيفه وقوة ذراعه. وهم يحتقرون المهن الفكرية بمثل ما يحتقرون المهن اليدوية فالمعلم عندهم محتقر وكذلك الكاتب والمنجم والمغني والعازف والطبيب"[1]

دخلت اليمن على مر تاريخها القديم والحديث والمعاصر في حروب وصراعات هوياتية دائرية أيضًا مابين سياسية واقتصادية ودينية وطائفية متداخلة بالأطماع الخارجية ليس بسبب جغرافيتها وموقعها الإستراتيجي الهام وحسب، بل وصراعات وحروب أهلية، وقبائلية أكانت بين الشمال والشمال، أو الجنوب والجنوب، أو الشمال والجنوب، وما بينها من حروب دينية، ومذهبية، قبلية تنهل من ثقافة الغزو الغنيمة وتتغذى بالغنائمي الشرس، وبها تعيش وتنتعش شوكة العصبية كلما ذبلت. فـ" المؤسسة القبلية لا تستطيع التعايش مع حكم مستقر، وهي بطبيعتها نقيض السلطة المركزية، حتى في أضعف صورها"[2]

حيث، تُعرف اليمن – بفخر- بالماضي النسب والعرق، والقتال، تقديس الماضي والتقوقع داخله، والتخوف من أي مستقبل، قد يحمل معه إشارات التغيير.

على مستوى الأنساب، ابن من أنت، من هم أجدادك، ومن أين، وماهو دينك، والمذهب، " السمة البارزة التي تتميز بها كل قبيلة هي الإنتساب الأبوي والذي يعرف الفرد في المجتمع القبلي الكبير، القبيلة التي هو منها، كأن يقال هذا حاشدي، وهذا بكيلي،

---

(1) الوردي، علي، "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي.. محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر على ضوء علم الإجتماع الحديث"، ص62

(2) عبد السلام، محمد " الجمهورية بين السلطنة والقبيلة "، ص 63 64.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا، حيث يصل إلى أصغر وحدة قرابية وسياسية قبلية، ينتمي إليها أو يرتبط بها"[1]

كما تعزف على هذا الوتر بعض كتب التاريخ ذات النزوع الهوياتي، خصوصًا تلك المطرزة بأرتال الزوامل الحربية، من: " اليمن المحارب/ المقاتل/ مقبرة الغزاة" حيث دورات الحرب والعنف هي القاعدة في كل تاريخ اليمن، القديم، والمعاصر، أما الاستثناء تلك الهُدن المؤقتة والهشة التي تعقب كل حرب محمومة، أحد شعراء اليمن الكبار، يعرف الإنسان اليمني، بالتالي:

أنا المحارب الشجاع
أجيد إطلاق الرصاص
رصاصتي لا تخطيء الهدف
الحرب حرفتي
(من قصيدة الشاعر محمد أنعم غالب)"

نسيج البنية القبائلية يقوم على ثنائيتي الغزو والغنيمة:" السلطة والثروة" التي تعاظمت وكُرست كثقافة (أصيلة ووطنية) في المدن مثلها مثل الأعراف والتقاليد الكثيرة الأخرى التي اجتاحت مدننا في ظل غياب الدولة.

عُدت اليمن بلا دولة، وبالمفاهيم السوسيولوجية، تتحدد بمرحلة ما قبل الدولة، وإن وجدت في مرحلة تاريخية ما فتكون شبه دولة – إن جاز التعبير- أو كما يطلق عليها التعبير الشعبي "الدّيْوَلة"*، فهي لا تتخطى عتبة الدولة بالمفهوم السوسيولوجي- إذ سرعان ما تستنزف وتمسحها هيمنة القبيلة وأعرافها لترجع إلى

---

(1) أبو غانم، فضل، "البنية القبلية في اليمن، بين الإستمرار والتغيير"، 1985 "، ص91.

* الدّيْولة: مفهوم نقيض الدولة، يشبه ما تقوم به القبيلة، والمليشيات والعصابات، وسلطات الأمر الواقع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرض بلا دولة، ودولتها القبيلة، ومع الحرب فقد أصبحت " سلطة مشاعة" مشتعلة بحروب القبائل ومليشياتها(الجيش البراني التابع لها)، ومن لاحق صارت لها أحزابها ومنظاماتها الخاصة إلى جانب السجون الخاصة، والبلاد برمتها أرضًا وإنسانًا، مشاع للداخل والخارج لتصفية حساباتهم مع أي قوى، وتمتد أذرعها على كل شبر من المناطق اليمنية بما فيها الريف الذي كان بعيدًا عن أي مناوشات، وينطبق بحسب المفهوم السيوسيولوجي "المجتمع المعطل" The Stranded Society، على اليمن تماما، حيث بنية المجتمع المعطل اجتماعيًا واقتصاديًا، وسياسيًا، وتنمويًا، وفكريًا، غارقة بالحروب الهوياتية المغرقة، وبالأمية، والغزوات العبثية والمجاعات المتسلسلة والحقن والتخدير بـ "القات" المُهلك، إنها الأنوميا/ اللامعيارية، كما عرفها دوركايم في كتابه – الانتحار- وهي "فقدان المعايير في المجتمع، تزداد عواطف الأفراد وطموحاتهم، ورغباتهم إلى الحد الذي يعجزون فيها عن إشباعها"[1]، التعطل والتبطل سمة بارزة للمجتمع اليمني، "الصنف من المجتمع يُهادن ويتحمل، ويتنازل ويفاوض من أجل مكاسب محدودة في سوق الغنيمة، ولكنه ينفجر في لحظة من اللحظات، ولكنه حين ينتج الانفجار فلا أحد يمكن أن يتكهن بمآلاته ولا بالنتائج التي بمقدورها أن تحصل... إن التعطل هو إنتاج اجتماعي مبرمج ومقصود يتحول إلى تعبيرات ثقافية، فهو حصيلة ماتم استثماره في بناء الإنسان والمجتمع "[2]

---

(1) مارشال، جوردون، "موسوعة علم الاجتماع"، ص219، ترجمة محمد الجوهري، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2000.

(2) وناس، المنصف،" ليبيا التي رأيت ليبيا التي أرى"، ص80 81، الدار المتوسطية للنشر، تونس،2018.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - المشايخ، مصنع الرؤوساء وخزان المليشيات" العكفة":

تاريخيًا تُعرف الحالة القبلية في اليمن بثلاث قبائل كبيرة:"حاشد، وبكيل، ومذحج" والأخيرة هي الأضعف، وإن حاولت المنافسة في الأونة الأخيرة، لاستعادة دورها القديم. وتعد قبيلة حاشد هي القبيلة الكبيرة الحاكمة وشوكة العصبية القبلية بامتياز" مصنع/مفرخة الرؤوساء"، يتسيد المشهد القبائلي صناعه والفاعلون فيه وهم المشايخ، المعمل الكبير والعميق للبلاد ولحكم علي عبدالله صالح، الذي أتى إلى السلطة عبر انقلاب 17 يوليو 1978، فـ" لا توجد حكومة لم تكن حصيلة سلسلة من الانقلابات"[1] وغيره من الحكام الذين يثبتوا حكمهم ويمدوه، أو يقوض عبر شوكة القبيلة، وزعمائها: المشايخ على مدى أكثر من خمسة عقود وكان يتزعم حاشد "شيخ المشايخ " في اليمن عبدالله بن حسين الأحمر وهو الموصوف بـ: "صانع الرؤوساء". ومنهم علي عبدالله صالح، الذي لم يكتف بالاعتصام بحبل القبيلة الكبيرة العتية"حاشد"، وشيخ مشايخها، بل وقبيلة بكيل، بل عمد على صناعة وتفريخ مشايخ جدد، حتى في المناطق التي كانت بعيدة ومتخففة من عبء القبيلة كمدينة "تعز"، إذ ما تكاد تفيق الصباح إلا وجارك أو قريبك قد عُين بمرتبة شيخ، لتبدأ بعد ذلك ترتيبات العمل المشيخي الذي يورث من جديد وجديد للعائلات، ولاءات وزبونيات لدعم الحاكم، ويعد هذا العمل من التفريخ المسيس من المتنفذين بعضهم دوجما مليشاوية في كل حارة، هدفها ترهيب الناس، وأخذ أموالهم بالحق والباطل، ويجري استعمالهم في

(1) مرجع سابق، "الجمهورية بين السلطنة والقبيلة، ص79.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الانتخابات، والاستقطابات، والتعبئة، وضرب القوى الأخرى ببعضها أكانت حزبية، أم قبلية، أم مدنية، وفي الحروب، والصفقات أيضًا، ويعتبر هذا جزءًا من سياسة اعتمدها رئيس النظام "صالح " الراقص على رؤوس الثعابين" لأكثر من 33 عامًا لضرب الناس ببعضهم، خصوصًا القبائل فيما بينها، والأحزاب لخدمة نظامه، فهو صاحب التعبير الشهير:" حكمت اليمن وكفني بيدي".

رؤوس الثعابين وترقيصها للاستبداد والفوز بمغانم السلطة على سبيل المثال، دعم السلفيين لضرب الحوثيين، والعكس، وتأجيج صراع ديني، طائفي مذهبي، سياسي امتدت آثارها إلى يومنا هذا، وبدعم مادي، وغير مادي، لتغذية صراع القبائل فيما بينها، عملًا بالمقولة الشهيرة للأئمة "ناب كلب في رأس كلب".

وحين عمل علي عبدالله صالح، مثله مثل حكام اليمن، على استمالة القبائل الكبيرة، والأحزاب السياسية الدينية كحزب التجمع اليمني للإصلاح الذي بادر بالتنسيق مع عبدالله بن حسين الأحمر لتأسيسه في عام 1990، فقد صب ذلك في اتجاه أسلمة (الدولة) والمؤسسات والمجتمع، وتنحية التدين الشعبي، ما أفضى إلى استعار الهويات المتناحرة، في المجتمع، والمساجد والصراع عليها ومن يؤمها، وتأجج الصراع المذهبي" الشافعي، والزيدي"، داخل مؤسسات التعليم المهيمن عليها، والجيش، ومؤسسات الدولة برمتها.

في هذا الأتون، اندلعت موجة الأسلمة والحرب على دستور الوحدة، بارتكاب دستور جديد تحت ذريعة التعديلات، وكانت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حرب 1994، تحت شعار (الوحدة أو الموت، الردة والانفصال) نقطة فاصلة باتجاه فرض الأسلمة على كل مناحي الحياة اليومية، خصوصًا على النساء، وعلى العادات والتقاليد، وأصبح المسجد بأئمته وشيوخه ودعاته، هو لسان حال الحياة بكل تفاصيلها الصغيرة والكبيرة، حتى تدمرت الحياة الريفية البسيطة، واجتاح البلاد ريفًا وحضرًا وباء الدعاة الوهابيين، الذين اشتغلوا على بيضة/جمرة الدين الذي يعد الهوية الأولى لليمنيين، فالشعب اليمني متدين بطبيعته واستطاع صالح القبض على جمرة السلطة والثروة وتوحيدهما بفائض الدين والقبيلة والعسكرة في قبضته، فـ" التوحيد جار بين ثلاث مؤسسات: القبيلة والجيش والرئاسة فالسلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية في يد الرئيس "[1]

ناهيكم عن الاشتجارات وتهتك النسيج الاجتماعي داخل اليمن الذي تجلى أكثر في 2011، بانفجار الاحتقانات المتراكمة منذ عقود من الزمن، حيث انقسم البيت الواحد " بين هذا الطرف وذاك، فمنهم من انضم إلى الثورة، ومنهم من كان مع النظام، ومنهم مع القاعدة، أو مع الحوثي، ومنهم مع الجميع.

جـ - الجيش الغنائمي العائلي - القبائلي، كمحدد سياسي

(جيش الثورة) أو (الجيش الحر)، (الجيش المنشق)، وما أطلق عليه، والذي انشق وانظم إلى احتجاجات 2011، ماهو إلا جيش القبيلة، وهو ما يطلق عليه (الجيش الوطني) أيضًا، ماهو إلا جيش القبيلة، والعائلة، جيش حاشد وسنحان، جيش آل الأحمر، (علي

(1) المرجع نفسه، ص80.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبد الله صالح الأحمر وعائلته) و(علي محسن الأحمر وعائلته) و(عبدالله حسين الأحمر وعائلته) والأقارب والأصهار، جميعهم معقودون بمشبك القبيلة أولًا وأخيرًا، والولاء لها في كل ماتقوله القبيلة "سَبر"/نافذ، إنه جيش تتقاسمه بطون وأفخاذ القبيلة، والفخذ الأقوى تاريخيًا وحتى اليوم: "حاشد"، أما ما يصوره البعض في وسائط الإعلام، "سلطة الإعلام الثوري"، من أنه جيش وطني، فتدحضه الوقائع، فأي جيش وطني من بين تلك الجيوش التي تتوزع ولاءاتها ورياتها بين الرئيس والجنرال والشيخ ورجل الدين، وقائد عصابة ومليشيا؟ وتعتبر جزءا لا يتجزأ من تلك الأدوات. الكل يطلق عليه صفة الجيش الوطني، وعداه جيش غير وطني، عميل، مرتزق..إلخ، تلك الحشود المايطلق عليها جيوش، جزء لا يتجزأ من فلكلور الفرجة، الاستعراض الهستيري للقوة والنفوذ، ليس في وسائل الإعلام فحسب، بل وفي الواقع، في المدن، وحتى الأرياف وقراها القصية.

كما هو معروف في اليمن أن الولاء للعائلة والقبيلة ومسقط الرأس، فـ" رجال القبيلة في اليمن والذي يصل في معظم الأحيان إلى حد أن الجنود والضباط والوحدات العسكرية المختلفة من أبناء القبائل يضطرون إلى ترك وحداتهم العسكرية ومراكزهم القيادية وينظمون إلى قبائلهم التي قد تكون في حالة حرب أو نزاع مع الدولة نفسها أو مع قبيلة أخرى، حيث يشترك هؤلاء الضباط والجنود في الحرب مع أفراد القبيلة التي ينتمون إليها حتى تنتهي الحرب أو النزاع فيعودون إلى وحداتهم ومراكزهم من جديد وهم بذلك التصرف والسلوك يشعون بأنهم قاموا بواجبهم نحو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقربائهم وقبائلهم دون أن يروا في ذلك إخلالًا وانتهاكًا لواجبهم العسكري أو ارتكاب مخالفة قانونية في حق الدولة والوطن "[1]

فما زال الجيش، والغالبية العظمى من المجتمع اليمني مصبوغون بالنيلة بحسب "إنجرامس"* الغنائميون التقليديون، توحدوا في هذه المنظومات، مع الغنائميين الجدد، بعد 2011، كقطين سياميين، بل هم أبناء وأحفاد الآباء لُحمة فخذية واحدة.

لقد "اعتمد الرئيس صالح في بناء الجيش اليمني على تسليم الوحدات لأقاربه وخصوصًا الحرس الجمهوري، والذي تضخم كثيرًا، وأنشأ وحدات جديدة تابعة له، وأطلق عليها اسم" الحرس الخاص" القوات الخاصة"، وحظيت بدعم أمريكي، وتوسعت في مختلف أنحاء البلاد، وجمعت كلها تحت قيادة واحدة أسندها صالح مؤخرًا إلى نجله أحمد، بعد عزل علي صالح الأحمر. تسلم قيادة القوات الجوية ابن أخيه محمد صالح الأحمر، والدفاع الجوي قريبه، محمد علي محسن الأحمر، وباقي الوحدات ضباط من قبيلة

---

(1) مرجع سابق " البنية القبلية "، ص52.

* يطلق الرحالة الأجانب من أنثروبولوجين ومستشرقين وغيرهم، في كتبهم، على الإنسان اليمني اسم: " المحاربون المصبوغون بالنيلة "، فينظر لنا –البعض ككائنات شبحية،فأجسادنا العارية النحيلة الضامرة، المحروقة المصبوغة بالنيلة الزرقاء التي تنداح من الملابس على أجسادنا، مكونة رائحة كريهة عند الأجانب، كل تلك الهيئة ولدت عندهم صورة كاريكتورية فلكلورية مطبوعة في الذهن ومتوارثة جيلًا عن جيل. وصورة سوداء أخرى نوصف بها، أننا "مقاتلوا الطلح"، هذه الصورة التي حفرت سحناتنا وطبائعنا الثقافية آتية من طبيعة البيئة المتصحرة التي تنتج اشجار الطلح الشوكية مخلفة عزلة طلحية أقصتنا عن العالم، بل وخصبت فينا قيمًا "طلحية " كالتعصب ضد الأجانب بل وضد أنفسنا، فنحن لا ننفك نتقاتل على اللاشيء، فتسفك الدماء على التوافه، بل والأدهى من ذلك شهوة الانتقام التي لا تخمد، للمزيد من سفك الدم. وصورة أخرى قاتمة نتصف بها، وهي ثقافة الغارات القائمة على النهب فهي عقيدة "مقاتلي الطلح " أكانوا في الشمال أو في الجنوب.

مقولة المصبوغون بالنيلة بحسب تعبير إنجرامس...(انظر كتابه، حضرموت 1934 1935، تقرير حول الحالة في حضرموت سياسيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا، دبليو إتش إنجرامس، مطبوعات جامعة عدن 2001).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صالح الموالية له. لم يحقق التراتبية العسكرية والنظام العسكري انتقالاً من وضعية القبائل إلى وضعية الجيش والدولة، ذلك أن رجال القبائل كانوا يتقدمون للتطوع في الجيش، هم وشيوخهم وتم تكريس الطابع القبلي للجيش والدولة خصوصًا عندما أنشأ علي عبدالله صالح مصلحة شؤون القبائل التي حلت مكان وزارة شؤون القبائل، التي ألغاها الرئيس السابق إبراهيم الحمدي، لعبت اللجان الشعبية المُشكلة من القبائل دور الداعم للجيش في معاركه ضد الانفصاليين في الجنوب، حيث أنشأوا فروعًا لمصلحة القبائل في المدن الجنوبية، كما ساعدوا الجيش في حروبه ضد الحوثيين في الشمال"[1]

باختصار هكذا اشتغل علي صالح مع منظومة الجيش، بخصخصتها واقتسامها مع القبيلة ومشايخها، والتحكم بإدارتها ومواردها في نطاق ما يسمى بـ"السنحنة"(نسبة إلى المنطقة التي ينتمي اليها – صالح الرئيس، ومحسن الجنرال) فالجيش والوظيفة العامة، أو ما أطلق عليها(العسقبلي)، وهو ارتباط ودمج القبيلة بالعسكر/ الجيش،:" اعتماد الحكم على المؤسسة القبلية يتضح في حكم الأقلية المغلقة، التي لا تحاور أحدا، ولا تفتح قنوات اتصال بكيان خارجها، وإن كانت تحاول دائما الاستفادة من خدمات

---

(1) فرحات، إلياس، " الجيوش العربية وأدوارها في دول الربيع العربي"، "أربع سنوات من الربيع العربي"، ص256.

* مصلحة شؤون القبائل،" أسس علي عبدالله صالح في مطلع الثمانينيات جهاز تنظيم توزيع الريع، سمي مصلحة شؤون القبائل، وأسس لها فروعًا في كل محافظات الجمهورية، لايوجد قانون ينظمها وتدار وفقًا لتعليمات شخصية مباشرة، لتقديم عطايا مالية شهرية منتظمة لشيوخ القبائل، وقد بلغ عدد الشيوخ المسجلين بها عام 2005 حوالي 399 شيخًا، منهم 8 شيوخ مشايخ، 69 شيخ ضمان،222 شيخًا، 155 شيخ محل أو عاقل"(د. عادل الشرجبي: القبيلة فاعل غير رسمي في اليمن"، ص45، مركز دراسات الجزيرة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التكنوقراط، وذوي الخبرة عموما، ولكن دون إشراك أحد في اتخاذ القرار"[1]

كل هذا التسليح المبالغ فيه، فوق القوة الفائضة من التسلح للقبائل والشعب، واستحواذ الرئيس على مؤسسة الجيش وإلحاقها بعائلته" الجيش العائلي"، وتسييس المؤسسة العسكرية وتدينها العصابي المُسيس، وانهيار المنظومة التعليمية، وفساد مؤسسة الجيش وانقسامها بين القبائل والقبائل الفاعلة/ قبيلة الصف الأول " حاشد " الأولى، و"بكيل" الثانية.

هذه الزبونية السياسية والقبائلية التي اشتغل عليها علي عبد الله صالح" طيلة فترة حكمه لـ(33)، وكل هذا الفقر، واللادولة، والتعطل الاجتماعي والسياسي، يصاحبه، التسلح الحاد، والثقل الكبير للمؤسسة العسكرية القبائلية، بمن فيهم حتى الأفراد، فبحسب تقارير التوازن العسكري الصادر عن المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية (IISS) في لندن،: "تضاعف حجم الإنفاق اليمني على التسلح خلال الفترة (1993–1996) من نحو 400 مليون دولار إلى نحو 700 مليون دولار خلال الفترة 2001–2004. وقد زاد حجم مشترياته من السلاح من قوى دولية مثل الصين إلى 100 مليون دولار، خلال الفترة 1993–1996 ومثلها في الفترة 2001–2004، كذلك قام اليمن باستيراد أسلحة من روسيا بما قيمته نحو 400مليون دولار خلال الفترة 2011–2004 ووصل

(1) مرجع سابق "الجمهورية بين السلطنة والقبيلة"، ص77.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إجمالي مشتريات الأسلحة اليمن من القوى الدولية خلال الفترة 2001-2004 إلى نحو 900 مليون دولار "[1]

من أين أتى مفهوم الحماة والحماية؟

الحماة أو الحماية، الاستجارة، هي قاعدة مهمة في الأعراف القبلية، وتضطلع بها كل من القبيلة، والبداوة، وتعد جزءًا لا يتجزأ من نسيج البنية القبائلية وفكر الغزو، الغنيمة:" السلطة والثروة" التي تعاظمت وكُرست كثقافة (أصيلة ووطنية)-كما يتم تكريسه في الخطاب الإعلامي- في المدن مثلها مثل الأعراف والتقاليد الكثيرة الأخرى التي اجتاحت مدننا على حساب تهشيم قيم المدنية الهشة في ظل غياب الدولة.

يتحول فكر الحماة إلى اقتصاد قوي يباع ويشترى بحسب الزمان والمكان، كـ: الاستثمارات الأجنبية وحماية القبائل المتحاربة فيما بينها على مر التاريخ، وحماية المدن وإنسانها. فهذه المنظومة (القبائلية -العسكرية - الدينية) وجدت لتصنع العدو والحماية معًا، غزوة إثر أخرى، ومن ثم هي من تحدد نوع الحماية، عادة يكون " الشيخ " هو القطب والفاعل الرئيسي، أما التنفيذ فيرتبط بقوى بشرية أخرى: الرعية والمرافقين، أو الجيش الشعبي، البراني أو أية مجموعات مسلحة، أي " المرتزقة"..إلخ.

فالجيش، أو بالأحرى جيوش الفرجة المعطلة، والتي كل يوم تنتقل إلى زند وغمد الأقوى، لم يكن جيشًا وطنيًا ولم يكن جيش الوحدة، ولم يكن جيش الشرعية الدستورية، كما تتشدق بذلك

(1) مرجع سابق، " معضلة الأمن اليمني الخليجي..."، ص85.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلطة وإعلامها الرسمي وإعلام الأحزاب والنخب الملتحقة بها، خصوصًا أولئك الذين انضموا إلى الاحتجاجات، فكان يطلق عليهم " الجيش الوطني المنظم للثورة"، لا جيش وطني في اليمن في ظل طغيان الولاءات الحزبية (المؤتمر الشعبي العام، وحزب الإصلاح)، والعائلات المصاهرات والقبيلة، لقد صدقوا، "حكماء القبيلة"، عندما يعرفون الدولة، والقبيلة، من أن الدولة هي القبيلة، والشعب كله قبائل، واليمن كلها قبايل.

ليوصم اليمنيون، بـ" المجتمع المحارب"، و" الشعب المحارب"، لتلعب الظاهرة الدينية والتدين المحافظ بل والمتزمت بشدة وعنف، والنفعي في آن معًا، على توصيف الشعب اليمني بكل اختلافاته، بما فيه الدولة التي لعب علي صالح ومنظومته في الغزل على وتر" المحارب/ المجاهد/ المقاتل"، بالشغل على القبيلة وتطييفها واستثمار انقساماتها، وضربها في بعضها، كما فعل النظام الملكي من قبل، لكن مع صالح، توسعت الانقسامات، وللأسف كانت السلطة ترعى هذه الانقسامات وتغذي الحروب، كما كان التمويل الإقليمي يصب في طاحونتها، وذلك الدور الذي لعبته المملكة العربية السعودية، التي أغرقت كل الجماعات، والأعيان والمشايخ، بمافيهم الرئيس صالح بالأموال، وقد ظهرت في 2012، تسريبات لكشوفات بأسماء المئات من أساطين اللادولة، ونشرت صحيفة الشارع، في صفحتها الأولى أسماء الذين يستلمون نقودًا بالملايين من الريالات السعودية من اللجنة الخاصة، وكانت فضيحة مدوية في قنوات الإعلام المحلي والخارجي، حيث نزلت الأسماء كالتالي:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

2700 شيخ وسياسي وعسكري وصحفي، يتلقون 56 مليون ريال سعودي شهريًا من اللجنة الخاصة والمكتب الخاص ووزارة الدفاع السعودية:

40 مليون ريال سعودي لعلي عبدالله صالح، 3 ملايين لصادق الأحمر، علي محسن يستلم 3 ملايين ونصف المليون من اللجنة الخاصة، و10 ملايين من وزارة الدفاع تحت بند" دعم لمحاربة الروافض".

420 فردًا من آل حميد الدين، يستلمون مليونًا ومأتي ألف ريال سعودي شهريًا.

حسين الأحمر يستلم 5 مليون ريال سعودي، و200 ألف ريال سعودي.

وتجمع إصلاح 3 ملايين ريال سعودي،.. إلخ من الأسماء الشمالية، والقادة الجنوبيين"[1]

يعني ذلك أن جل النخبة الحاكمة والمتحكمة بمصير البلاد عبارة عن وكلاء وأذرع تابعين للجنة السعودية الخاصة، وللأسف هذا هو تاريخ المملكة العربية السعودية العابث في اليمن، على مدى عقود طويلة من الزمن، وحتى اللحظة.

لماذا هي ليست دولة؟

يفند الدكتور أبو بكر السقاف، ويسمي " الدولة" في اليمن بقوله، " تدل على ملامحها أنها ليست دولة للمجتمع كله، دولة لمواطنيها، بل تسفر عن أنها دولة حرب على المحكومين، وهي لا تحكم المجتمع، بل تحاربه، إنها ضد على المجتمع، وأقصى درجات

(1) صحيفة الشارع، يونيو 2012، العدد، 237.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فشلها أن تكون حربًا عليه كله ويصبح عندئذٍ دولة الحروب المستدامة الكبيرة والصغيرة. فهي تتوحد بالقوة وحدها وتلغي وظائفها الأخرى، التي هي أساس قيامها، بل إنها تثبت أن القوة والحرب هما وسيلة أصحابها إلى المال والثروة. وبذلك تكون لهذه الحروب وظيفة اقتصادية واضحة فهي غنيمة مستمرة، فتستقر الدولة على هكذا نهج وتقيم عليه"[1] "

وتبعًا لذلك فأن ثقافة الموالاة، من أهم الأفكار التي اعتمدها علي صالح ومنظومته بامتياز، فقد أثقل الجهاز الإداري بالزبونية السياسية والدينية والتجارية والقبائلية، لدعم حكمه "ثروة، وسلطة، حد التضخم المهلك لمدماك ما يطلق "الدولة".

استثمر علي صالح موروث الاقتتال المستديم بين القبائل، مستفيدًا من طبيعتها الانقسامية، ثم ضخ النيران فيها، وفعل الشيء نفسه مع الأحزاب، أي بتغذية الانقسامات واستنساخ الأحزاب على نحو ما فعل انتقامًا بالتنظيم الناصري بتقسيمه وتحويله إلى خمسة أحزاب متصارعة. فانقسام وتصارع الأحزاب فيما بينها، راجع لطبيعة المجتمع اليمني القبائلي، فـ" المجتمع القبلي مجتمع انقسامي تتوزع السلطة القبلية فيه بين كل الأقسام، أي بين كل عوامل البناء السياسي دون أن تتركز في يد شخص واحد أوحتى فئة معينة من المشائخ، مما يعني أن أمور الضبط الاجتماعي كانت قائمة إما على توازن القوى أو الأقسام المتناظرة، وإما إلى إحدى

---

(1) السقاف، أبو بكر" دفاعًا عن الأرض والإنسان"، منتدى الجاوي، إعداد منصور هايل، صنعاء 2011، ص76 77.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القوى الخارجية المحايدة لتسوية المنازعات بين أطراف النزاع عن طريق الوصول إلى حل يرضيها جميعا"[1]

اليمن كدولة فاشلة:

تظهر الصورة النمطية عن اليمن وفق التقارير الدولية، عن تنامي عدد السكان واتساع رقعة الفقر، حيث " بلغ عدد المواليد في اليمن 3.5٪ مقارنة ب 1.5٪ للمعدل العالمي. تدهور مستوى الأوضاع الصحية والرعاية الاجتماعية، وارتفاع معدل البطالة إلى نحو 35٪ وزيادة أعداد الذين يعيشون تحت خط الفقر45٪ من إجمالي الشعب اليمني، انتشار الأمية التي تصل إلى نحو 70٪ من عدد السكان"[2]، ادخل اليمن ضمن تصنيف الدول الفاشلة منذ سنوات قبل الاحتجاج وقد تصدرت على، " قائمة الدول الفاشلة، Failing State، في 2009 بحسب تقرير مؤشر السلام العالمي، حصلت اليمن على المرتبة 138 من أصل153.

اعتقد أن وصف اليمن بالدولة الفاشلة من قبل المراقبين الدوليين، والباحثين، وصفًا فضفاضًا، ممكن ينطبق على مجموع البلدان المشمولة بالصفة، لكن اليمن غير، فأين الدولة بمعايير النشأة وسيرورة التطور والتراكم التاريخي والسوسيولوجي، حتى تصاب بالتدهور كسيرورة طبيعية وتاريخية حين يصيبها الضمور والفشل؟

---

(1) مرجع سابق، " البنية القبلية"،ص 116

(2) Washington Dc: centeral Inteligence Agency.2006 and Sharp, ibid.p.4-
- أخذه، أحمد محمد أبو زيد، " معضلة الأمن اليمني – الخليجي، دراسات في المسببات والانعكاسات والمآلات" مجلة المستقبل العربي، ص83.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهل في ظل القبيلة الحاكمة والمستحكمة منذ قرون، يمكن أن نتلمس دولة، حتى بعد ثورتي 26 سبتمبر 1962، و14 أكتوبر 1963؟

اليس من الأحرى بنا أن نسأل، هل ثمة دولة تخرج من رحم ولحمة وبطون القبيلة والأسرة، والعشيرة،التي طالما كانت ولا زالت راسخة بقوة في اليمن، بل ولا تعرف اليمن إلا بها معنى ومبنى؟

طبعًا لن نتحدث، عن مفهوم المواطنة أو ما يطلق عليها في بلادنا" المواطنة المتساوية"، والمجتمع المدني،..إلخ من المسميات العصرية، إذ تغدو بمثابة فانتازيا!

وبالعودة إلى القراءات التاريخية، كان هناك، ثمة بوادر لاحت لتكوين دولة في عهد ثورات الستينيات/ الجمهورية، لكنها سرعان ما تبددت، حين تعدت عتبة المسموح لها في عرف العصبيات، التي طالما كانت ولا زالت تنقض عليها وتبتلعها، لتقول لكل من يفكر بالتجاوز: نحن هنا، قف أمامك قبيلة لعبة الرمش الذي لايرتفع عن الحاجب.

وحتى في ظل السلطة القوية فإن القبيلة لا تستكين، جمرة تحت الرماد، أو عين مغمضة، وأخرى مفتوحة، تتحين فرصة الانقضاض والظهور في لبوس الشراسة، مثلما حدث في الجنوب إبان حكم اليسار.

لقد ظلت التقارير الدولية ولسنوات، تطالعنا وبخط أحمر أن اليمن ستدخل في حيز الدولة الفاشلة، أو هي الآن تقترب، أو هي الآن على مشارف الدولة الفاشلة، أو اليمن دولة فاشلة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بهذا الصدد لا نملك إلا أن نجيب على هذا المقال السؤال: متى كانت هناك دولة في اليمن، حتى تفشل؟!

فالمعروف أن الاستقرار من سمات الدولة، فمتى حل الاستقرار، أو حتى الهدنة الطويلة لبضع سنوات في اليمن، لتتخلق جنين الدولة، واليمن تاريخها كلها حروب أهلية لا تبقي ولا تذر؟ ثم، ماهي الخلفية الثقافية، والبناءات الثقافية لمفهوم الدولة عند اليمنيين، والسلط اليمنية المتعاقبة على اليمن؟

لنقرب المسافة قليلًا، منذ ثورة 1962، متى استقرت اليمن، بحسب علمي، وأنا المولودة في بلد ما يطلق عليه اليمن السعيد، بعد الثورة بثلاث سنوات، كم من الحروب والانقلابات شهدها هذا العمر الشقي والمنهك؟

1962، ثورة 26 سبتمبر، ثم اندلاع الحرب بين الجمهوريين والملكيين، وما تخللها من انقلاب 5 نوفمبر 1967، وصراعات 1968 بين فصائل الجمهورين والقبائل، ثم معارك الشمال والجنوب1972، انقلاب الحمدي 13ينويو 1974، 1977 اغتيال الحمدي، 1978اغتيال الغشمي، حروب الشمال والجنوب 1972صالح وحروب الجبهة الوطنية من 1983- 1987، مجزرة 13يناير1986، 1994 حرب الردة والانفصال (غزو الجنوب)، حروب صعدة الستة، من 2004-2010، 2011، وانقلاب 21سبتمبر2014، وحروب مستعرة حتى اليوم.

عن أي دولة، ودولة فاشلة وقوى الغلبة هي الحاكمة قولًا وفعلًا؟ عن أي دولة وبرلمانها. وشيخ مشايخ حاشد، شيخ الرؤوساء وصانعهم، ومنذ قيام ثورة الجمهورية يتزعم أعلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المناصب السيادية، كحصة أسد، 1962 عضو مجلس الرئاسة، 1963 وزير للداخلية لثلاث جولات، ورئيسا للمجلس الوطني 1969، وهو المجلس الذي يصيغ الدستور، 1971-1975 رئيس مجلس الشورى، ورئيس مجلس النواب" البرلمان من 1993-2007 حتى وفاته. ثم تكريس وتوريث المنصب القبلي والسياسي-إن جاز التعبير- فغير أنهم مشايخ، هم أعضاء في البرلمان (أربعة من أولاده) ومن المستحوذين الأكبر التجاري ورأس المال في اليمن، والمتبوئين للمناصب السياسية والعسكرية والأمنية الحساسة؟

فأين الدولة التي وجدت، ثم فشلت ووئدت، والمرء يرى دائمًا، تلك الحشود القبائلية وأسلحتهم، تتقدمهم مجاميع الثيران والتي تنحر عند بوابات الوزارات في وضح النهار، وبجانبها عشرات الأسلحة، ومبالغ مالية كبيرة، علامة التحكيم القبلي. بل وتصفى الثارات الدموية في قلب العاصمة والمدن اليمنية نهارًا جهارًا؟

أين الدولة، وفي كل مؤسسة ووزارة يوجد المقيل الواسع تماهيًا مع ديوان الشيخ، ويتصدر ويفصل في جلسة قات القضايا المصيرية للبلد؟

أين دولة القانون، وهذا الأخير - أي القانون- لايستطيع أن يقول كلمته في قضايا القتل بالجملة، والفساد، والتهريب، وو..إلخ، من شدة التدخلات والمحسوبيات للمتنفذين، أكانوا شيوخ قبايل وأعيان، ورجال دين، أو رؤوساء أحزاب موالية، بل إن مجرمين فروا من وجه العدالة، كما حصل في قضية مقتل الشابين حسن جعفر أمان، وخالد محمد الخطيب 2013 في موكب الشيخ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العواضي، بل وأن يعين المُذنب عضوًا في مؤتمر الحوار الوطني، إلى غيرها من آلاف القضايا التي اختفت، أو مُيعت، تحت سيادة العُرف القبلي والتحكيم وغيره، مثل " في وجهي"، و"شرع القبيلة أمضى"، هما قانون الحكم في " الدولة"، التي تستباح بالأعراف البدائية، ونحر مئات المواشي والقات وكرنفالات البنادق والزوامل على أبواب مؤسساتها؟

وجود القبيلة بهذا التغول المنفلت والكاسح في متن وتفاصيل المجتمع اليمني تسوس وترسم محددة حاضرهم ومستقبلهم، يشكل أكبر معوق لمعنى الدولة، ومعنى الحياة إجمالًا.

لن تقوم دولة، إلا إذا أصبحت القبيلة من ضمن مكونات المجتمع اليمني، مثلها مثل اليهود، والبهائيين، والأخدام، أو كأي مكون يمني غير متعالٍ بأي إمتياز، وقتئذ ستكون هناك دولة بمفهوم الدولة سوسيولوجيًا وثقافيًا، وسياسيًا.

وعلى خلفية هذا الوضع المأساوي، خرج الناس إلى الشارع 2011 في احتجاجات شعبية واسعة، تطالب بالحد الأدنى من العيش الإنساني الكريم، ورفعت شعارات"الشعب يريد إسقاط النظام"، "ارحل"، "والشعب يريد بناء يمن جديد"، و"دولة مدنية حديثة"، و"مواطنة متساوية"..إلخ. وإن أرجعت سبب تلك الاحتجاجات – خصوصًا أعوان النظام- إلى أسباب دولية، وشيوع مصطلح "الفوضى الخلاقة"، الذي يردده الكثيرون، ومن ضمنهم علي عبدالله صالح رئيس النظام لـ33عاما، والذي صعقته انتشار الاحتجاجات في العديد من محافظات البلاد، على أثر ذلك ألقى خطابًا ناريًا بتاريخ 24 يناير 2011، في المؤتمر السنوي لقادة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القوات المسلحة والأمن المنعقد بصنعاء، حيث قال، "نرفض التوريث، ونحذر من الفوضى والفوضى الخلاقة التي يدعو لها زعيم اللقاء المشترك"[1]

واضح أنه نظرًا للظروف الاقتصادية المتدهورة، اندرج اليمن (تحت خط الفقر) وبما أن الفساد ينخر المجتمع لعقود طويلة من الزمن فقد سجلت اليمن "دولة فاشلة" من مطلع الألفية الثالثة، ومع اندلاع الحرب وفي خضمها صارت ما يطلق عليها الدولة ما بعد الفاشلة" الفشل المضاعف"، حيث تناسلت المليشيات المزودة بكل العتاد العسكري بما فيه الطائرات المُسيرة والصواريخ البالستية والدبابات كالتي يملكها الحوثيون، وكما يملكها تنظيم القاعدة، والسلفيون، وداعش في اليمن.

اعتمد علي عبد الله صالح الذي سجّل أطول فترة رئاسية أكثر من 33 سنة من (17يوليو 1978– 21 فبراير 2012) وغيره من الرؤساء السابقين من عام 1962م على أن تكون للقبيلة وعصبياتها الفاعل الاستراتيجي في العمل السياسي/ الحكم/ السلطة وأدواتها، من مؤسسات وغيرها، حيث جرى " إشراك رؤساء القبائل في العمل السياسي لضمان استمرار ولائهم، ويمثل ترشيحهم لعضوية مجلس النواب وتعينهم في مجلس الشورى أوضح صور هذه الطريقة. ولا يشترط بعضو هذين المجلسين من المؤهلات، ما هو مطلوب القدرة على القراءة والكتابة لتأهيل الأعضاء، وقد وصل الأمر–

(1) https://www.youtube.com/watch?v=Zw7NXePLH48 ،8:48 ،2020/6/15

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مثلًا- إلى أن يتزايد عدد مشايخ القبائل في البرلمان في كل انتخابات نيابية، لتصل نسبتهم إلى 40٪ من أعضاء برلمان2003"[1]

المحددات الاقتصادية والديمغرافية:

تتضارب آراء النخب الفكرية والسياسية والاقتصادية، عن أسباب الاحتجاجات الشعبية للربيع العربي، وتتفق في الأغلب أن العامل الأول والمفصلي، هو الاقتصادي، وتفشي البطالة والفساد، وتدهور وتوقف التنمية في مرافق الخدمات الأساسية والبني التحتية، وتمركز الثروة والسلطة في يد النظام الحاكم ممثلًا بالرئيس وعائلته، والأصهار والمقربين منه من الأعوان والمشايخ القبليين والقادة والتجار وغيرهم من الدائرة الضيقة للنظام.

واليمن، ذات اقتصاد يطلق عليه علماء الاقتصاد والسوسيولوجيا " اقتصاد الريع"* لشبه دولة، أو بالأحرى "الدويلة" القبيلة، التي مازالت الهويات الأولية تفتك بها بين كل فترة أخرى بحروب دائرية لا تنتهي.

إذ يحتل اليمن " المرتبة الخامسة في دراسة الهروب لرأس المال بين عامي 1990 -2008، ضمن أقل البلدان نموًا... ويضرب

---

(1) الأحصب، أحمد " ما الذي يجعل الأمر مختلفًا في "ربيع" اليمن" - تقييم حالة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة2012، ص3.

* " الدولة الريعية Rentire StateK، أو شبه الريعية بطبيعة تكوينها معادية للتنمية، أي أن فلسفة الاقتصاد والإدارة والتعليم وقبل ذلك وبعده السياسة لا تنظم إرساء قواعد وبنية إنتاجية... والريع في أساسه يقوم على هبات الطبيعة فهو مرتبط بنشاط غير إنتاجي"، " أسطورة الاستثمار في الدولة الريعية"، ص 122، من كتاب" دفاعًا عن الأرض والإنسان"، إعداد منصور هايل منتدى الجاوي الثقافي(1)، صنعاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هروب رأس المال بعائدات الضرائب الوطنية وبالاستثمارات المحلية الضرورية لتمويل تنمية اليمن"[1]

ولأن البلد زراعي وزراعته تقليدية بأدوات بدائية فمعظم مناطق اليمن مازالت تعتمد على الحيوانات في حرث الأراضي الزراعية، وكذلك معظم طرقات البلد غير صالحة، ويتصاحب نضوب مخزون المياه الجوفية مع شحة الأمطار، والحفر الجائر للآبار لسقى منتوج القات"* المخدر الجماعي" والمنتج الرئيس في البلد. فقد صارت بعض المدن في حالة جفاف منها العاصمة صنعاء المهددة بالجفاف منذ بداية الألفية الثالثة، وقبلها المدينة الثانية في اليمن

"تعز " الأكثر كثافة سكانية في البلاد والتي ضربها الجفاف من منذ أواخر الألفية الثانية.

كذلك، ارتفاع في عدد السكان وخصوصًا الشباب، إذ يقدر تزايد السكان في العام الواحد ب3٪، ويصنف المجتمع اليمن" أنه مجتمع فتي، أغلبية سكانه من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15سنة(الزواج المبكر، تعدد الزوجات، كثرة الإنجاب، هناك تحول ديمغرافي، أهم ملامحه زيادة معدل النمو.. فالهيكل السكاني الشبابي يجعل الدولة تحت ضغط شديد لتخصيص المزيد من مواردها لتقديم الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية"[2]

---

(1) هل، جيبني، سلزري، بيتر،" اليمن: الفساد وهروب رأس المال"، تقرير تشاتم هاوس، ص9.

* القات: نبات منشط يتعاطاه الشعب اليمني، وأدرج في عام 1973 ضمن المخدرات، بحسب تصنيف منظمة الصحة العالمية.

(2) الصلاحي، فؤاد، " الثورة اليمنية الخلفية والآفاق"، ص42.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحددات التعليمية والثقافية:

منذ عقود من الزمن، لعب الشأن السياسي، والاقتصادي والاجتماعي والثقافي- الديني دورًا كبيرًا في جعل اليمنيين أمة متأخرة، وتشير الإحصاءات 2010/2009، أن نسبة الأمية تصل إلى(62.1٪)*، من إجمالي السكان، تقدر نسبة الإناث بـ(70.2٪) ونسبة الذكور(29.8). وأن هناك (46.4٪) من السكان من 15 سنة فأكثر هم من الأميين. أما إجمال نسبة من يقرأ ويكتب لا يتعدى (53.6٪) من إجمالي السكان.[1] (سنأتي على ذكر هذا المحدد عند قراءة صورة التعليم سيميولوجيا).

وبالنسبة للمحددات الثقافية، فالبلد يعيش عزلة مزمنة في جل تاريخه، فهو مغلق على نفسه وعلى الآخر، أي على التعددية الثقافية محليًا، والثقافات العالمية، فقد أهمل الثقافي فيه لصالح السياسي والقبلي، فالثقافة عورة، وإن احتفيا بها فعبر السلطة في احتفالات مناسباتية بائسة، كأعياد الثورة، أو مشاركات خارجية. الدولة وإنتاج الثقافة، ولقراءة المشهد الثقافي في اليمن، مقاربة من الأسئلة الرئيسية التي لا شك بانها ستفضي إلى أسئلة أخرى:

سؤال الثقافة وحضوره من غيابه، هل تمتلك اليمن مشروعا ثقافيًا؟ رؤية استراتيجية للثقافة، وتأثيرها في التنمية. وماهو نوع

---

* تتفاوت نسبة الأمية من تقرير إلى آخر.

(1) انظر تقرير، " وضع التنمية البشرية في اليمن"، عرض تقديمي، الجلسة العلنية السادسة، 2013/3/27.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخطاب الثقافي الذي تشتغل عليه اليمن أو بالأحرى أجهزة السلطة المعنية بالشأن الثقافي؟

ففي مجتمع البنى القبائلية والعشائرية والدينية والمذهبية المركبة والمتناحرة. فضلًا عن سيل الانقلابات العسكرية، فلا ثقافة إلا من جنس هذا الكم الهائل من العصبيات، أي مادون الثقافة بالمعنى السوسيولوجي.

فحتى اليوم تفتقر العاصمة صنعاء والمدن الكبرى كعدن وتعز، إلى المسرح المؤهل بمواصفات المسرح العالمي، وصار ماكان يقدم من مسرحيات، من الذكريات الغابرة في عالم اليوم.

وكذلك لا يوجد أي دار سينما مفتوح، برغم أن السينما دخلت إلى اليمن كفرجة في 1918. ومعظم ما كان ولا زال قائمًا من مبانٍ كدور السينما قد أقفلت أو تحول إلى صالات أعراس، ومواخير، ومساجد، وسجلت الأخبار العديد من هذه الأفعال في مدينة الحديدة، وصنعاء وعدن*

المتاح هو مراكز ثقافية يتيمة، بنيت بفعل المساعدات الخارجية(خصوصًا دولة الكويت)، ولا تتحرك عجلتها إلا في المناسبات الوطنية. أما صناعة الكتاب فلا تذكر باستثناء دور صغيرة. وانتهت مع الحروب الجديدة.

كانت توجد معارض للكتاب رغم أنها تشجع في أغلب الأحوال الكتاب الأصولي وتهمش بعقلية بوليسية كتب الفلسفة

• https://www.yemeress.com/alain/13388.(2022/1/16، 4:46 صباحًا)،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والفنون والثقافة النقدية، والجمالية، والعلمية..إلخ من الكتب العقلانية، لكنها هي الأخرى قد انتهت، مع النزاعات والحروب.

الشيء المخيف والمحزن للغاية هو أن اليمن لا تمتلك حتى اليوم متحفًا بمواصفات المتاحف العالمية، برغم الثراء الحضاري القديم، فماهو موجود لايزيد على بيوت وقصور الأئمة والأمراء، حولت إلى متاحف بائسة تقلصت جراء الحروب الدائمة والاستباحة المجانية للمتاحف وغلقها ونهب محتوياتها، والمحزن أن أول متحف كان قد وجد في عدن بأياد بريطانية في الثلاثينيات من القرن المنصرم، وما يسري على المتاحف يسري على بقية الفنون الأخرى، فعلى سبيل المثال، الفرق الفنية للموسيقى والرقص الشعبي، والتي انتشرت شمالًا وجنوبًا في السبعينيات، وكانت موجودة في كل مدينة انتهت ومابقى منها انقرض، ولا وجود اليوم كليات أو حتى معاهد للفنون والموسيقى، أو التمثيل. وليس في خاطر أي مدرسة شيء اسمه المسرح المدرسي، أو فرقة فنية للمدرسة، ولا مدرس موسيقى، ولا أدوات موسيقية، ولا مكتبة فيها الكتب الروايات، غير كتب السلف والجهادية، والنشيد الوطني، والأناشيد الجهادية " لما استشهد بروح الجنة"، والتي تحتفل بها المدارس، وتشجعها المؤسسة التعليمية، والمؤسسة الثقافية، واذاعة صنعاء في الصباح إذ تنقل طابور المدرسة الفقير من المعرفة والعلم والفن، خلا الخطاب الديني المذهبي والمُسيس، وكأن النقل يتم من مدارس في قندهار أو داعش، برعاية ودعم وعناية المعسكر السلفي، الذي انتقل اليوم بيد معسكر لايختلف عنهم، وهم أنصار الله -الحوثي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهل يجوز لنا الإقرار بوجود دولة ومؤسسات، وإنتاج ثقافة، وميزانية وزارة الثقافة التي كانت ذات شبح وزارة أقل 1٪ مما ينفق على المؤسسات العسكرية والأمنية.

في مجتمع القبيلة والبدواة، التي تحصنت بتراث السلف، الذي يحرم، ويفتي، ويحول كل نشاط دنيوي إلى ديني آخروي. مثل هذه الأطر تكرس المزيد من الثقافة التقليدية والعدائية لكل مختلف، فأي نشاط ثقافي يقاس بمدى تناسبه مع التركة الثقافية الدينية والأصوليات وأجندتها الحافلة بالمنع والتحريم والتجريم؟ فكم من الأنشطة لثقافية البسيطة أسقطت بفتوى، مثلما حدثت العديد من مجازر للكتب، ولا ننسى فرقة السيمفونية الألمانية التي عزفت في بستان السلطان في صنعاء القديمة عندما كانت صنعاء عاصمة للثقافة العربية2004.

وكما هو معروف أن الثقافة تحتاج لكي تزدهر إلى دولة ترعى الحريات، مجتمع ننشط فيه الديمقراطية، والعلاقات المدنية،..إلخ، وكل ذلك يفتقد في اليمن.

ولعل مازاد الخراب، ودفع إلى طي المجتمع اليمني في كهف العزلة والنسيان كارثة حرب 1994، التي لم تولد سوى البؤس المضاعف في كل مفاصل الحياة المدنية في اليمن، وانهال دمارها على الثقافة والفنون بشكل خاص، ويكفي لمحة بسيطة راصدة، فكم فقدنا من عمالقة الفن أهملوا وماتوا، وهم في أوج عطائهم الفني، فمن تعرض ويتعرض للاكتئاب تحت وطأة مناشدة العلاج المطرب محمد سعد عبدالله، والفنان التشكيلي هاشم علي، والمطرب فيصل علوي..إلخ، لندرك فداحة بؤس الحالة الثقافية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والفنية التي تزداد قتامة مع اختفاء الصوت النسائي من الفنانات اللواتي سجلن حضورًا يمنيًا.

وندلل على البؤس الثقافي لليمن، متمثلًا بصندوق التراث والتنمية الثقافية الذي تأسس بقانون حكومي رقم"11" 2002، ويهدف إلى تحقيق التنمية الثقافية، والبنى التحتية للعمل الثقافي، والحفاظ على المواقع الأثرية، لكن 80٪ من أموال الصندوق خلافا للمادة (14) من قانونه التي تنص على عدم جواز صرف الأموال خارج نطاق الأهداف المحددة له. وتشير بيانات الصندوق إلى تحويل90٪ من إجمالي نفقات بابه الثالث – المصروفات المخصصة للأنشطة الثقافية- إلى مساعدات وهبات لأشخاص معظمهم موظفون في وزارة الثقافة"[1]. فقد تحول إلى " فيد" بالعرف القبلي.

نخلص:

إلى أن واقع الحياة الثقافية والفنية التي تعيشها اليمن تغيب عنه الرؤية لأبجديات معنى ثقافة. وما يظهر على السطح من أنشطة فهو متواضع حد البؤس، شديدة البدائية والأداء، الذي ينم عن أننا مجتمع فقير بأدواته الثقافية، ولا يمتلك منها سوى الأدوات التقليدية، التي لم يعد لها مكان في الألفية الثالثة. فلا تمتلك أي بنية مؤسسية للإنتاج بصفة عامة، ولا الإنتاج الثقافي بصفة خاصة.

(1) راجع، https://arij.net/ministry of culture.(6:57 ،2022/1/15) ،/

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

فرجويات أشكال التعبير، ودور القوى الفاعلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

سنحاول في هذا الفصل الخاص قراءة المشهد الاحتجاجي ودور الفاعلين في صياغة أبجديات المشهد، ورسم صورة لمنتهاه، ثم نتطرق إلى مقارباتهم حول أشكال التعبير الثقافية والسياسة (خطاب الاحتجاج) التي انتهجها المحتجون من: صور، وشعارات وكتابات، وكاريكاتير وجرافيتي، وإعلام، ودور المنصة في هذا المنحى.

كما سنحاول استقراء دور الفاعلين، وخصوصا دور الفاعل المُهيمن والمُسيطر (القوى التقليدية والإسلاموية) على طقس الاحتجاج وأدواته وعلى الفاعل المهمش/ المقصي الذي صاغ المشهد الاحتجاجي لكن(حلما)! كما صرح بذلك أحدهم ضمن الآراء التي استقصيناها، وسنعرض الكثير منها في هذا الفصل.

أولاً: قراءة المسميات ومدلولاتها:

"ثورة، انتفاضة، احتجاج"

تعددت تصنيفات ما حدث قي 2011 ومفرداته لطبيعة الحدث الكبير وما أنتجه من خلخلة وضجة وفوضى وإسقاط أنظمة، كل ذلك جعل الكثير من يطلق عليه تسميات فمنهم من نعتها بالثورة، آخرون أطلقوا عليها حركات احتجاجية/ حركات اجتماعية/ انتفاضة/عصيان مدني/ ثورة الجياع/ هبة شعبية/ هزة ثورية/ فوضى و"فوضى خلاقة" وغيرها من المفاهيم والمصطلحات والنعوت التي عج بها الفكر العربي أثناء فترة "الربيع العربي" وما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعده في المجال العام من إعلام، وفضائيات ووسائل تواصل اجتماعي، ومؤتمرات، وفعاليات وحراك فكري، وإصدارات.

لكن هل حققت تلك الحركات نجاحها أيًا كانت المسميات، بمعنى هل حققت بعض أهدافها، ليس فقط إسقاط شخص الرئيس علي عبد الله صالح، بل وأسقطت النظام، والسقوط بمعنى تغييره؟ وقبله ماذا يعني مفهوم التغيير في الذهنية اليمنية، وذهنية الفاعل الاحتجاجي؟

لقد كان من أهم أهداف الثورة/ الاحتجاجات:

بناء الدولة المدنية الديمقراطية/ الحديثة، وتحقيق النهضة التعليمية، وبناء اقتصاد وطني، وإعادة بناء المؤسسة العسكرية والأمنية على أسس وطنية حديثة، واستقلال السلطة القضائية ...إلخ من الأهداف التي قامت الاحتجاجات من أجلها.

حاولنا أن نطرح الأسئلة على بعض اليمنيين من ذكور وإناث، وفاعلين في الساحة، ورافضين لها، بمعنى آراء من رؤى فكرية واتجاهات مختلفة، بشأن أي مسمى يطلقون على ذلك الفعل الاحتجاجي الأثير في 2011. وكان كالتالي:

الذين أطلقوا عليها ثورة، لهم مسوغاتهم، من "أنها أسقطت النظام"*، أي النظام الذي تمثل بسقوط صنم صالح، إذن هي ثورة وحققت أهدافها، وكان هذا الرأي للقوى الإسلامية. آخرون، أضافوا بأنها" ثورة حقيقية، لأن القبائل وعلي محسن انضم إلى الثوار أو الساحة الثورية"، وهم إسلاميون، وقوميون، وحزبيون. آخرون قرنوا حدث2011 بـ"مؤتمر الحوار الوطني الشامل" و"مسودة الدستور"، معتبرين ذلك علامة نجاح ثورة فبراير.

* التقويسات/ التنصيبات الصغيرة هي لأصحاب الآراء التي استقصيناها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنتمون إسلاميًا، لا يعترفون إلا بأنها " ثورة عظيمة، وفكر الثورة حي لا يموت".

ثمة آراء تعتبرها: "ثورة لكنها لم تحقق أي شيء"، " ثورة، لكنها فاشلة"، " غير ناجحة"، "غير كافية"، "غير مكتملة"، وترجع السبب إلى "وضع البلاد القبلي وقلة الوعي والفقر وسهولة بيع وشراء ضمائر ومبادئ الناس هنا، طفت وتسلقت فئات دينية وغيرها شوهت الثورة من كل معانيها"، ويرد آخرون من أنها غير كافية، لأسباب، كونها، "نجحت بتحقيق أهدافها المباشرة في إسقاط نظام التوريث وإيقافه... هي ثورة لم تكتمل، ومستمرة لتحقيق بقية الأهداف. الثورات الشعبية لا تحقّق الأهداف دفعة واحدة في إسقاط الحكم لأنها ليست انقلابًا؛ بل هي ثورة وعي وتغيير جذري تواجه بقوى متجذرة عميقة ذات تأثير"، " لا لم تكن ناجحة وكافية، لأنها تحوّلت في منتصف الطريق إلى أزمة سياسية تتطلب وسيطًا يأتي بحلول، وقد يكون الوسيط جزءًا من المشكلة وعدم وجود قيادة وطنية مقتدرة بحجم الحدث".

أحدهم، يذكر، كيف تحوّلت من ثورة إلى انتفاضة، يقول"الثورة هي المقدمة، وإن اعتراها أي ضمور فإنها تدخل طور الانتفاضة، ثم "حراك"، و"هبة" إلخ من مستويات النجاح والإخفاق، ويواصل مستعرضًا بعض الأسباب " كنت ضمن من تحمّسوا لتوصيف الأحداث إثر اندلاعها كثورة، لكن بعد شهرها الثاني أخذت ثقتي بذلك التوصيف تتراجع تدريجيًا"، آخر "ما تحقق هو هزة عنيفة"، آخر، "انتفاضة، لكن لم يتحقق منها أي شيء".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الأسباب التي جعلتها غير كافية"، و"فاشلة" و"لم تكن ثورة" فقد تعددت من وجهة نظر معظم المبحوثين، المنتمين حزبيًا تحت ظلال "اللقاء المشترك"* خصوصا من الاشتراكيين والناصريين، وحزب الحق، وغير المنتمين، جميعهم، أرجعوا الأسباب إلى التالي: "سيطرة الأحزاب، لاسيما الإسلاموية، منها وسمّوها " حزب الإصلاح/ الإخوان المسلين"، بعضهم أطلق عليهم "القوى التقليدية"، " الماضوية"، من: (العسكر والمشايخ القبليين، ورجال الدين)، "قامت القوى التقليدية (قبلية وعسكرية ومناطقية ودينية) باحتواء الثورة وحرف مسارها بالاتجاه الذي يحقّق مصالحها الخاصة. لم تكن مشروعًا للقوى المدنية التي تركته ولم تلتقطه. واستمرت في التنظير، "آخرون" أن التحرك كان عفويًا".

ويرى البعض الآخر من غير المنتمين لاسيما من النساء، بأنها "لم يتحقق أي هدف منها". أحدهم أطلق عليها ثورة، لكنها لم تنجح"، مفسرًا سبب عدم نجاحها، لأنها " مستهدفة من قبل الدولة العميقة، بسبب الأحزاب، وصراع الصفقات"، آخرون عدوها "احتجاجات، لا ترقى إلى ثورة، بسبب تغول الإسلام السياسي وجناحه العسكري والقبائلي والديني في مفاصل الثورة"، معظمهم مستقلون، يساريون، ناشطون مدنيون، حزب ناصري، واشتراكي.

* اللقاء المشترك: تكتل معارضة، تأسس في 6فبراير2003، تكون من عدة أحزاب: الحزب الاشتراكي اليمني، التجمع اليمني للإصلاح، التنظيم الوحدوي الشعبي الناصري، حزب الحق، اتحاد القوى الشعبية، حزب البعث الاشتراكي، التجمع السبتمبري.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أرجع آخرون، الأسباب إلى "عدم وجود قيادة ثورية ونظرية ومبادئ ثورية تلتف في إطارها الغالبية العظمى من الشعب". والبعض الآخر يرجعها إلى "عدم الاتفاق على قواسم مشتركة بين مختلف القوى السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد تم الالتفاف عليها من قبل القوى الإسلامية، والقوى الماضوية وأنها ارتهنت للخارج، وأهمها المبادرة الخليجية".

نخلص:

من سؤال حدث 2011، هل هي، احتجاجات/ ثورة/ انتفاضة، وهل نجحت أم فشلت، ولماذا؟ رأينا، أن معظمهم تركزت إجاباتهم، على أنها "لم تنجح"، "لقد فشلت، ويرى البعض الآخر أنها " نجحت"، ويعتبر آخرون – وهم قلة – أنها نجحت لكنها ليست كافية" أن الإجابات تنوّعت وتعدّدت بحسب الانتماءات، ما بين ثورة، وانتفاضة واحتجاجات، لكن بعضهم أجابوا "بتحقق الهدف الأساسي، وهو إسقاط النظام، وكسر حاجز الخوف، لكن مازالت هناك مراحل لتحققها كاملة حتى يطلق عليها "ثورة حقيقية".

ثانيًا: قراءة في الفضاء المعماري لساحة التغيير:

1) الساحة:

ما الساحة؟ ما حدودها، وجغرافيتها؟ ما وظيفتها؟ من يملكها؟ ماذا تشكل في وجدان الناس؟

ما هي الممارسات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية داخلها؟ أي ما هي المشهدية/الاستعراض/ الفرجة التي صنعتها الساحة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواقع وفي وجدان الناس، وذاكرتهم أيضًا، خصوصًا المشهد البصري؟ ما هي العلامة/ السيميولوجية داخل تكوينات الساحة؟

ما هي أشكال التعبير الفرجوية في ساحات التغيير؟ وما دلالالتها؟ بمعنى إشكالية الدراسة، ما هي مكونات الفرجوي الذي تشكل في ساحات الاحتجاج؟

ما هي مكونات المشهد البصري لربيع الاحتجاجات 2011-2012؟

ما هي الدلالات السيميولوجية لربيع الفرجة في ساحات الاحتجاج؟ وما هي الإشارات السوسيولوجية في ذلك المشهد؟ نطلق على هذه التساؤلات بـ" أساطير الساحة".

- **الساحة: فضاء الاحتجاج**

كان الفضاء الاحتجاجي في الوطن العربي بما يسمى بـ"الربيع العربي" متفجّرًا بمشهديات/ "سرديات كبرى"، فقد سجّلت الأولى من نوعها في تاريخ كل بلد، حيث صاحبت هذه " الثورات/ الاحتجاجات"، استعراضات/ فرجة/ مشهديات للقيم والتمثلات الاجتماعية والسياسية، والثقافية سواء اختلفت أو تشابهت في البعض منها. عدت " الفرجوية" علامتها الأولى، وعنونت سيمياء القرن الواحد والعشرين، قرن احتجاجات الربيع العربي، كانت الميديا، والصورة ومواقع التواصل الاجتماعي والفيسبوك تحديدا أحد أعمدتها، وأكثرهم تواصلا وأسرع انتشارًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان لليمن ربيعها في 2011، تمثّل فيما يطلق عليه" الثورة الشبابية"، "الثورة السلمية"، "ثورة 11فبراير"* "ثورة التغيير" "ثورة الحرية"، و"ثورة الجياع"،.. وغيرها، من المسميات التي أطلقها الشباب، وكانت "ساحة التغيير" بالعاصمة صنعاء هي الساحة الأكبر والأكثر ضخامة عددًا وعتادًا، وعلى غرارها تشكّلت الساحات في أكثر من 17 محافظة يمنية بصفة جغرافية اختيرت قصديًا لتنفيذ الاعتصامات الشعبية؟

وتقول الوثيقة الأولى لـ11 فبراير:" ليلة 11 فبراير الذين صنعوا الثورة وكان لهم الفضل والأسبقية، ووضعت معيارًا ثابتًا لعملها ومستندة على وثائق محددة وخرجت بأسماء سيتم التطرق إليها كصانعين للتغيير، وتم الاعتراف بهم من أغلب المكونات الثورية السياسية لعل أبرزها اللقاء المشترك" (1)

إن ساحة الاحتجاج، أو ما أطلق عليها "ساحة التغيير"، هي فضاء عام، لكنه صغير وضيق وغير متجانس ومكتظ بالسكان، يقع مقابل جامعة صنعاء الجديدة بكلياتها المختلفة، غربي العاصمة، على الخط الدائري وهو شارع لا يحمل رمزية تاريخية في

---

* دخل المحتجون في سجال حول زمن"متى قامت الثورة بالضبط"؟ ومن هم أول من فجروا الثورة؟ البعض يرد بداية انطلاقتها إلى 15يناير2011 إثر سقوط بن علي، وبدأها شباب من مدينة تعز، والبعض الآخر يربطها بتظاهرة الشباب في الشوارع عند السفارة التونسية بصنعاء، و آخرون يؤكدون أن الثورة بدأت في 11 فبراير، إثر سقوط نظام حسني مبارك، وهم جماعة توكل كرمان الحائزة على جائزة نوبل للسلام. وهناك من يعتبر أول الاحتجاجات كان في 3 فبراير " موعد نزول أحزاب اللقاء المشترك المعارضة والتحاقها بالساحة، وظل الخلاف قائمًا، بعد ذلك جرى الاعتراف بتاريخ بدء "الثورة اليمنية"/الاحتجاجات في11 فبراير، بل جرى اعتماد 11فبراير يوما وطنيا، بل ومؤقتا احتفى به كعيد الرئيس عبد ربه منصور هادي بخطاب يتيم، وانتهى.

(1) "صحيفة الشارع"، الأربعاء 13 فبراير2013، العدد 443.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجدان الشعب اليمني كونه حديثًا، وبمعمار غير متجانس وضارب في العضوائية ككل المعمار اليمني، فضلا عن وجود المحلات التجارية، الرمز الوحيد في الساحة هو وجود جامعة صنعاء، ويطلق عليها الجامعة الجديدة.

وتحتوي الساحة على مجسّم صغير يتيم كتب عليه حديث الرسول:" الإيمان يمان والحكمة يمانية"، يشبهه البعض شكله بالخازوق، مقابل من جعله"أيقونة"، وفي المقابل هناك المعسكر الضخم للفرقة الأولى مدرع ويعد أحد شراييها، وكذلك مسجد جامعة صنعاء، وجمعية الإصلاح الخيرية التابعة لحزب التجمع اليمني للإصلاح. بالإضافة إلى العديد من المباني والمؤسسات التابعة للقبائل والجماعات الدينية للإسلام السياسي، ثم توسعت الساحة فيما بعد إلى شوارع مثل شارع العدل، جولة كنتاكي في الخط الدائري، وأيضًا إلى جولة مذبح غربا.

شكّلت ساحات الحرية والتغيير في اليمن، فضاءًا نسقيًا لها دلالاتها ورموزها، وإشاراتها ومعانيها المختلفة، بمعنى الفضاء السيميولوجي، ومورست في ذلك الفضاء تعابير لسانية/ لغوية، وغير لغوية/ بصرية، وشكلت أيضًا فضاءً سوسيولوجيًا من خلال تلك الممارسات وعلاماتها، فقد كان خطاب الساحة اللساني والبصري فرجة مائزة " لغة الجسد، أشكال الفن، بلاغة الخطاب، وسائل الإعلام، الأساطير، التواصل البصري، السرد، اللغة، الآثار، الإشارات، الاتصال البصري، الأزياء، الدعاية والإعلان،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطهي، الطقوس، بمعنى أن كل شيء ينتجه ويستخدمه البشر، ينتج المعنى "[1]

بدأت الساحة بمشهدية صغيرة، مكونة من بضع محتجين ومناصرين لثورة تونس بشعارات متواضعة، أهمها "الشعب يريد إسقاط النظام، وارحل"، وتحولت إلى مشهدية كبرى، حين انجذب إليها الآلاف من الشباب، وغيرهم من مختلف الأعمار والأجناس، والطيف السياسي والاجتماعي والديني والمذهبي بما فيهم النساء والأطفال الذين خرجوا إلى الفضاء العام، بعفوية تامة، إذ كان ينعدم القائد، والرمز، أي المؤطر المُسيّر.

- **فرجة، مجسم الحكمة يمانية:**

اتخذّ المحتجون الساحة عام 2011، ليمارسوا بالانطلاق منها احتجاجاتهم ضد السلطة القائمة والممثّلة بنظام علي عبدالله صالح، ونصبت فيها أول خيمة اعتصام 20 فبراير2011، قبالة مجسّم "الإيمان يمان والحكمة يمانية"، وكان لاختيار المكان- رغم خلوه من الرمزية- على عكس ميدان التحرير بصنعاء، الذي اتخذه أنصار الرئيس علي عبدالله صالح للدفاع عن حكمه من احتجاجات الربيع اليمني"، أو ميدان التحرير لاحتجاجات مصر، أو دار اللؤلؤة في البحرين، والمنقالة بتونس/ بشارع بورقيبة أو ساحة الجامع الأموي بسوريا...، إلا أنه شكّل مع الاحتجاجات رمزية كبيرة، وبالمثل سرت تلك "الرمزية الثورية" على بقية

(1) " Messages, Signs, and Meanings,",p4," A Basic Text book in Semiotics and Communication" 3rd edition, Series Editor: University of, Marcel Danesi, Canadian Scholars, Press Inc Toronto 2004.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ساحات الحرية والتغيير باليمن، في أكثر من 17 محافظة يمنية، وأحيانًا المحافظة الواحدة يكون بها أكثر من ساحة جماهيرية، كمحافظة تعز ذات الكثافة السكانية العالية.

انضم مصمم النصب المهندس عبد الكريم طاهر محمد الذي صمم مجسم " الإيمان يمان والحكمة يمانية عام 1989، وبعد أكثر من ثلاثة عقود على تصميم وبناء المجسم إلى ساحة التغيير، والقي خطابًا، قال فيه:" ليست مصادفة من مصادفات مقتضى الحال أن تكون ثورتكم السلمية واعتصامكم المهيب هنا وأمام هذا المجسم التذكاري للحديث النبوي الشريف... وأثبتت الأيام أنه ليس مجرد نصب تذكاري من حجر، وإنما شاهد حي على أن الحكمة تسري في دماء البشر" مختتمًا خطبته، قائلًا:" ثقوا أن التقاء هذه الثورة السلمية الحضارية ومجسم "الإيمان يمان والحكمة يمانية" في هذا المكان ليست مصادفة بل مشيئة إلهية تبشركم بانتصار ثورتكم" مضيفًا " فاثبتوا واصبروا واصبروا وامضوا إلى الأمام، فغدًا يكون الانتصار، غدًا يكون الانتصار "[1]

"المشيئة الإلهية"، هي التي اختارت مكان الاحتجاج، بلسان حال مهندس المجسم-الساحة" لقد كان هذا لسان الكثير من المحتجين، وخصوصًا، الأصوليات" الفاعل" التي يعج به خطاب الاحتجاجات. وكان هذا التعبير سلطة، قاهرة ونافذة، خطاب " كن فيكون، وبأمر المشيئة الإلهية"حيث يطلق بعض شباب الثورة على المجسم، "الأيقونة"، بالرغم من أنه لم يكتسب رمزيته

(1) https://almasdaronline.com/article/17866

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأيقونيته إلا خلال الاحتجاجات، عدا ذلك كان مجسمًا باهتًا يقع عند مدخل جامعة صنعاء الجديد وكلياتها المختلفة والمكتبة المركزية، وحملت رمزيته عند مداخل أهم الصروح التعليمية، ليعنون معنى التعليم في اليمن، الذي يدور ويقولب من نهج تلك "الحكمة والإيمان" التي يتباهى اليمانيون خصوصًا القبايل أنهم "يمن الإيمان".

هنالك خصوصية استراتيجية – كما يسميها البعض– لشارع الخط الدائري، الذي تقع داخله الساحة إذ تحيطه أجنحة عسكرية وقبائلية ودينية ومشيخية فاعلة تاريخيًا: جامعة الإيمان التي أسسها الداعية الشيخ عبد المجيد الزنداني*، وألوية الفرقة الأولى مدرع التي يتزعمها الجنرال علي محسن الأحمر ومستشفى العلوم والتكنولوجيا، وهو يعدّ من أكبر استثمارات حزب الإصلاح الإسلامي وقيادته – الإخوان المسلمين نواته تحالف قبلي إخواني عسكري – وجمعية الإصلاح الخيرية، ومسجد الجامعة الذي تحوّل إلى مستشفى ميداني، وكذلك مجمع شارع الحصبة موطن شيخ مشايخ القبيلة " عبدالله بن حسين الأحمر"، ويتفرع منه شارع الستين، وهو من الشوارع الجديدة الذي أصبح من ضمن ساحة الاحتجاج للمسيرات الكبيرة وصلاة الجمعة، وتكمن أهميته أيضًا

* داعية ديني، مؤسس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن، وتم تدجينها واستفحالها في المنظومة التعليمي/المناهج المدرسية، ويعد من أكبر المؤسسين لجماعة الإخوان المسلمين في اليمن، أحد المطلوبين دوليًا لمساندته في تمويل الإرهاب. وتأسست جامعة الإيمان عام 1993، بموجب قرارا وزرة التعليم العالي، وافتتحها الرئيس علي عبدالله صالح، بعد أن وضع أيضا حجر الأساس لها. وتؤم بجانب الطلاب اليمنيين عشرات الجنسيات المختلفة من العالم، ولها فروع في بعض المحافظات اليمنية، من أهدافها إخراج علماء ربانيين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنه يحتضن ممتلكات قوى حزب الإصلاح ومشايخ القبيلة والعسكر ورجال الدين.

ومع التدفق الهائل لجموع المحتجين، أصبح وضع الساحة، جائحة فوضى من البناءات العشوائية لمئات الخيم والعشش والبيوتات الصغيرة، ثم التجمعات الممتدة لبيع وتناول القات شكّل خنقًا للمجال العام، (سكان، وسيارات، ومؤسسات، ومحلات، وجامعات، ومكتبة، وأبسطة للبيع،..إلخ) ناهيك عن فوضى اللافتات والشعارات، وصراخ المعتصمين، والمسيرات اليومية، وخطاب الساحة من الميكروفونات ليل نهار، وإطلاق الرصاص، والغازات المسيلة للدموع، وهذا ما أزعج السكان، وجعل البعض منهم ينتقلون من بيوتهم خوفًا من موجات العنف التي كانت تحدث مثل" مجزرة الكرامة 2011"، لقد، أصبحت الساحة "مدينة داخل مدينة"، كما يصفها الكثيرون، وفي هذا الصدد يقول أحد الغربيين ممن عرفوا الساحة، "كانت احتجاجات 2011 في الفضاء العام استثنائية وعابرة للمكان والزمان، ويشير إلى انتقال جزئي في الممارسات من مكان مغلق ومنفصل إلى فضاء عام يمارس فيه المحتجون اللقاءات والتفاعل الاجتماعي داخل خيم، يتناولون القات- المخدر، وهذا مكن النظام السابق من توجيه النقد لهم، لكنها تعتبر ممارسات احتجاجية جديدة داخل فضاء الساحة الرمزي والمادي معًا"[1]

(1) Bonnefoy,Laurent Poirer,Marine, "The Structuration of the Yemeni Revolution, Exploring a process in notion", Presses de Sciences Pol"Revue FRANC aise de Science Politique ",Volume 62lssue 5,2012lfrom 895 to 913,Page183.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالنسبة لجموع المحتجين، كانت الساحة أو بالأحرى مجتمع الساحة، ككل البدايات. إذ كانت تشيع في أجوائه روح الحميمية كما يصفها أحد الشباب المستقلين، وهو لسان الغالبية من المحتجين، بأنه " الحلم"، حتى أولئك الزوار الذين كانوا يأتون إلى الساحة بين حين وآخر، أو لحضور صلاة الجمعة، يعدّونه "حلمًا". ويواصل بعضهم إطلاق التشبيهات والمسميات، أو الوصف الربيعي، مثل، "مضخة ثورية بكل الألوان والأطياف ومثالًا للتعايش والالتحام" هذه كانت صورة الساحات والعمل الاحتجاجي في "ربيعه الغضّ".

لكن، هل استمر ذلك الحلم، والصورة القشيبة، المتخيلة، والمدموغة بأطياف الساعة السليمانية أثناء نوبات تخدير القات في الخيم وما شابهها من مقايل وتجمعات؟

مع بداية العسكرة اختلفت الصورة، وبدأت الرؤى تتشظى، وتحمل اللون الرمادي، ثم الداكن، ثم الأسود القاتم، والكاتم كشراشف النساء "المعكومة" بالعنف والحرام، والمجاعة الإخلاقية، ثم الأحمر القاني المتمثل بالحرب الإهلية، من انقلاب الحوثي، وتناسل المليشيات المسلحة في كل شبر من اليمن.

نحاول أن نقتطف بعض الآراء التي دخلت في طور من الثنائيات المتداخلة والضاجة، التي هي جزء لا يتجزأ مما يعتمل في الواقع، فأجمعت بالآتي، " قبل الثورة/ الاحتجاج، وبعد". تحوصلت الرؤى ب"كانت" و"لكن"(اللاواكن)* التي تقلب المعادلة الاحتجاجية/ الثورية رأسًا على عقب.

---

* كان، ولكن، ثيمة طبعت جل آراء المبحوثين/ات، أطلقنا عليها " اللاواكن".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول أحدهم، "صورة تقارب وتعايش واجتماع وطني كبير بوجود هدف جامع، وفي نفس الوقت هناك ضبابية في الهدف النهائي وضعف في مستوى القيادة حد تسليم الأمور بالكلية للقيادات السياسية نفسها". رأي آخر، " في البداية، وقبل استيلاء التجمع اليمني للإصلاح، كان التنوع والتعدد حاضرًا وقويًا، ولكن باستيلاء حزب التجمع اليمني للإصلاح وحضور قوات الفرقة الأولى مدرع لحماية الساحة بدأ الانحراف والتفرد والإقصاء، وبرزت دعوات التبشير بالخلافة الإسلامية من قبل الزنداني والحزمي وأتباعهما، وهم جناح متشدد في الإصلاح، ووجه من وجوه الإصلاح المتعدد الوجوه". وبالمثل يعنون خطاب الثنائيات، "ماقبل ومابعد"، فمن الحلم ومكان للتعايش، والحميمية إلى أتون الصراع، لتلبس الساحة لبوسا قمعيًا، إقصائيًا، وهما أداتان من أدوات الانتهاك على المحتجين عند دخول جماعات الإسلام السياسي، والجيش المنشق، والقبائل ومشائخها، ليصبح الفضاء الاحتجاجي الساحة فوضى عنيفة تغرق الجميع. ثمة رأي مغاير يصف مجتمع الساحة على أنه" صحبة عابرة، ومصنع للمخبرين، الذين يتحكمون في القرار اليوم"، رأي آخر "كان يسودها الفوضى والعشوائية والحماس الشديد والغضب والرومانسية الثورية".

أما بالنسبة للفاعل المهيمن، يقول بعضهم: "لقد كان واضح الهدف، لأنه الحزب المسيطر على عملية الاحتجاج"، "يعرف ما يريد" إنه "محدد الهدف"، و"منظم".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نخرج بحوصلة، أن ما كانت عليه الساحة، وما كان عليه الفعل الاحتجاجي في اليمن، جملة من التباينات والتضادات، بما فيها التناقضات المشهدية هي في الأصل جزء لا يتجزأ من واقع الفعل الاحتجاجي، كما كان مشاهدًا، إذ تتماشى مع بعض الآراء مسلّمة بالثنائيات المتكررة "قبل، بعد"، "في البداية"، "بعد ذلك"، الأول" و"الأخير"... من هذه التناقضات والتقابلات، وهو ما يسم الحياة اليمنية التي تجمع كل التناقضات. "مثال على ذلك "السلمية" التي طبعت الساحة في بداياتها الأولى، ثم تعسكرت، لتدخل جلها- الآراء- ضمن تعبير" لقد كانت حلمًا جميلًا سرعان ماتحولت إلى كابوس".

2) الفاعل الاحتجاجي في الفضاء الرمزي

شكلت فرجة القبيلة باتحاداتها وانقساماتها الفخذية والبطنية أهم الفاعلين حضورًا لافتًا، داخل بينة الاحتجاج وأشكال الممارسة الاحتجاجية، ودخولها السافر المعلن كان بعد مجزرة الكرامة 18 مارس2011، تحت حجة الدفاع عن الشباب، من بطش الآلة الجهنمية لنظام صالح، لكنها كانت قد أعلنت انضمامها إلى ساحة الاحتجاج في 22فبراير 2011 إن لم يكن قبل ذلك منذ أن دخل اللقاء المشترك قبل ذلك في 3 فبراير 2011، عندما تواجدوا مع شبابهم في الخط الدائري، والجامعة " ساحة التغيير"، وربما قبل ذلك بكثير عند هندسة الاحتجاج.

حملت الجموع الاحتجاجية، التي يطلق عليها في الخطاب الإعلامي المسيرات وخصوصا "المليونيات" في ساحة "التغيير"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بصنعاء والساحة الثانية "الحرية" بتعز، خطابًا ثوريًا، يحدد العمل الثوري منذ بداياته الأولى، ويتجلى في شعاران:"الشعب يريد إسقاط النظام" و" ارحل"، فتمثلهما المحتجون بحسب ما يشتهون، ووفق رؤاهم، ووفق رؤى أحزابهم أيضًا، وانتماءاتهم الهوية، (سياسيًا/ دينيًا ومذهبيًا/ جهويًا/ مناطقيًا/اجتماعيًا) كان الفعل والحَكم في آن معًا للمسيطر، وهي الجماعات التقليدية من القبائل ومشائخها الكبار كقبيلة حاشد، وبكيل، والقوى الدينية(الإسلام السياسي)، والأحزاب بما يسمى المشترك الذي يقودهم، حزب التجمع الإصلاح(الإخوان المسلمون)، والجناح العسكري لهم وهي الفرقة الأولى مدرع، المنشقة عن النظام التي حكمت واستحكمت باليمن لعقود من الزمن. وفي الجانب الآخر، كانت الأطراف الأخرى من القوى المدنية، والشباب والنساء، والشخصيات الوطنية،...، وإن كان عددها كبيراَ، إلا أنها لم تكن فاعلة، وإنما كانت مُستَخدمة، (الجزء الكبير منها)، كان صوتها ضعيفًا، رغم أنها هي التي بدأت بالاحتجاجات، وسيّرتها لفترة وجيزة، قبل دخول تلك القوى المسيطرة.

والقوى الفاعلة للاحتجاجات، كالتالي:

القبائل(القوى التقليدية):

كانت مفردة "السلمية"، و" الصدور العارية" بارزتين بقوة في الخطاب الاحتجاجي اليمني، وتتضادان مع الفكرة الرائجة التي يتداولها معظم الباحثين في الشؤون اليمنية، وكذلك في مؤسسات الإعلام المحلية والدولية، مردّه أن اليمن تمتلك (60) مليون قطعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلاح، ومع ذلك أبى القبيلي/ المُحتج إلاّ أن يأتي أعزلَ من سلاحه إلى ساحات التغيير المنتشرة في ربوع البلاد، فأسبغت عليهم الكثير من الصفات الفجئية، وكأن الثورة تجب ما قبلها(كان الخطاب الثوري يزدان بهذه المقولة) فتصنع إنسانًا جديدًا وتصنع ثقافة في غمضة عين، فيغدون – أوصاف المبحوثين – " سلميون"، " تركوا السلاح"، "تناسوا ثاراتهم"، "مدنيون أكثر من المدنيين أنفسهم"، "حضاريون "متحررون"، وبالمثل سحبت هذه الثنائيات على كل العمل الاحتجاجي برمته، رغم أن السلاح عند القبلي/ القبيلة يعد" هوية، ورجولة، وشرف، ونخوة...

احتشدت تحت هذه المفردة والتغني بالسلمية في معظم قنوات العالم، فتلاحمت مئات الآلاف من أهالي القبائل لاسيما في المناطق الشمالية ذات الطابع القبلي المسلح، وأغرقت ساحات التغيير بهم. وكانت أيام الجُمع والمسيرات المليونية تضخ بالمزيد من الحشود الهائلة لأبناء القبائل، ولأن حزب الإصلاح قاعدته الساحقة من القبائل ومشائخها، وباعتباره الفاعل الرئيس والمهيمن في الساحات والعمل الاحتجاجي برمته، فكانت القبيلة أحد عناوين الساحة القوية والصارخة، بما فيها المنصة والخطاب الاحتجاجي برمّته، حتى عمّم هذا المد القبائلي للإسلام السياسي في المناطق المتخففة من ثقل القبيلة كتعز والحديدة، وعدن.

الطرف الأول، وأكثر من كان يروج في الفضاء الإعلامي والشعبي،" أنهمّ سلميون، مدنيون،... ليس فقط قواعد حزب الإصلاح، وإنما حتى الأحزاب والقوى اليسارية، آخرون:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ينشدون الدولة ومن السهل انصهارهم ضمن دولة القانون لقد تخلوا عن السلاح وحضروا يمارسون الثورة السلمية، وهو ما يعكس أن الطبيعة القبلية تصنعها القوى المهيمنة لإبقاء القبيلة بُندقًا للإيجار بعيدًا عن المواطن بما له من حقوق وعليه من واجبات".

ويصبح تعبير/ وصف "بُندق الإيجار" هو عنوان للقبيلة على مر التاريخ، لكن مع ربيع الاحتجاجات في اليمن أضحت هذه الصفة في ظرف ليلة مطموسة، ولبست لبوس المدنية، والسلمية والحداثة، ولم تطلق هذه النعوت على العامة من أبناء القبيلة، بل وعلى مشائخ القبائل الذين يمتلك كبارهم منهم ترسانات أسلحة وسجون خاصة بهم.

وعن مشايخ القبائل، تقول إحدى الرؤى: "كانوا يتبرؤون من القبلية، ويظهرون مدنية أكبر ويحرصون على تقديم "مرافقيهم" "حاشيتهم"بنفس المدنية". يصف أحدهم مشهدًا داخل ساحة التغيير، إذ يقول: "أظهر المشايخ مدنية عالية، ولفت انتباهي في أحد المساءات تجمعات القبائل وهم يؤدون الزامل وكانوا من مأرب ومن قبيلتين، بينهم ثأر، لكنهم كانوا في الحلقة نفسها يزملون متناسين ثاراتهم، ويتناولون القات ويأكلون في الخيمة نفسها"، أو" أنهم أظهروا مدنية أكثر من أبناء المدن"..إلخ.

لكن الطرف الآخر، له الرأي المناهض والمناقض، - بما فيه بعض من أبناء القبائل- هذا الرأي يتكرر دائمًا، في التجمعات والمقايل، والمؤتمرات، وحتى في وسائل الإعلام، من أن: "القبائل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتت بأمر أحزابها، خصوصًا حزب الإصلاح، الذي يمتلك أكبر قاعدة قبائلية، "أتت بأمر مشائخها": "إنهم تابعون للأحزاب"، "قوى تقليدية سيطروا على الساحة والمنصة"، "استخدموا أداة للثورة المضادة"، "دولة داخل دولة"، قبائل "نفعية"، "انتهازية"، "أنهم مخبرون"،... يقول أحد الآراء، ممن عايشوا الحدث في ساحة التغيير بذمار: "لاحظت من خلال مشاهداتي في ساحة الثورة في ذمار أنّ جمهور القبائل كان يمثل القاعدة الحزبية للإصلاح في أغلبه، ما عدا أفراد من أحزاب أخرى كالحزب الاشتراكي، لكن القاعدة العريضة من جمهور القبائل – الذين تركوا قُراهم ومزارعهم وانضموا للعيش في الساحة لمدة سنة كاملة – كانت من قواعد الإصلاح الذين كانوا ينفذون أمرًا حزبيًا".

آخر، "حرصت السلطة والمعارضة اليمنية على توظيف الولاء القبلي من خلال حشد القبائل إلى ساحات الاعتصام سواء الساحات المناوئة لصالح أو الساحات المساندة له، حيث كانت القبيلة جزءًا من لعبة التوازنات في المشهد السياسي، إذ أن انضمامها إلى صف أحد الأطراف السياسية يمنحه ثقلا أكبر، يساعده على تحسين موقعه التفاوضي وتغيير شروط اللعبة السياسية لمصلحته. وقد أخذ إعلان قبيلتي حاشد وبكيل انضمامهما إلى الاحتجاجات الشعبية الحيز الأكبر، نظرًا إلى قوتهما وكبرهما، بالإضافة إلى تصاعد وتيرة الاحتجاجات الشعبية التي أدت إلى تراجع القبائل الموالية للنظام السياسي والقبول بمبادرة تسليم السلطة".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا تخلو إجابات أغلبية المبحوثين عدا أولئك الذين ينتمون إلى الحزب الإسلامي وبعض المتعاطفين معهم من حزبيين وغيرهم، من الدهشة/ الصدمة التي ألغت الصورة الأولى: سلميون، مدنيون، أحرار... "بعد مضي بعض الوقت، وخصوصًا بعد دخول القبائل والجيش المنشق عن النظام، وجدنا الأسطوانة وقد تغيرت... تغيرت طباعهم وأصبحوا أكثر مدنية لكن ما لبثوا أن رجعوا، إلى طبائعهم".

الفرقة الأولى مدرع:

شكلت القبيلة والفرقة الأولى مدرع ثنائيًا فاعلًا لايستقيم أحدهما بدون الآخر، في الاحتجاجات، فقد كان لوجود الفرقة الأولى مدرع بزعامة الجنرال علي محسن الأحمر، ويوصف بـ" رجل الإطفاء" من الحرائق المشتعلة في الوطن، وهو من أبناء القبيلة التي ينتمي إليها الرئيس، والحليف الأقوى لعلي عبدالله صالح، منذ بداية صعوده إلى الرئاسة، وبطل العديد من الحروب في تاريخ اليمن بعد 1962، وأهمها حروب صعدة الستة (2004-2010)، وحروب الجنوب 1994.

عند انضمامه إلى ثورة 2011، أصدر بيانًا، يوم الثلاثاء بتاريخ، 22 مارس 2011، قال فيه، وهو يصف المحتجين، "يا من وصفتم بالإيمان والحكمة ورقة القلوب والأفئدة...أناشدكم جميعًا يا أبناء شعبنا اليمني المجيد أن نُغلب جميعًا مصلحة الوطن وأن نتمسك جميعًا بخيار الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة، والتمسك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحقوقنا الديمقراطية من خلال مطالباتنا السلمية بالتغيير والشراكة الوطنية والانتقال السلمي للسلطة باعتباره الخيار الأمثل والأوحد لبناء الدولة اليمنية الحديثة التي لا مجال فيها للعنف والتسلط وسفك الدماء، الدولة المدنية التي ننشدها جميعًا، وعلى أساسها قامت الوحدة وتحقق الحلم الكبير الذي راودنا جميعًا جيلًا بعد جيل... مؤكدين أن عهد الانقلابات العسكرية قد ولى، وأن العصر عصر نضالات الشعوب بالطرق السلمية والمطالبة بالحقوق بالطرق السلمية التي هي عنوان الشعوب الحرة الحديثة... إن قوة الشعوب من قوة الله، وأن شعبنا الذي حزم أمره على النضال السلمي للتغيير لا ولن يتراجع، والله غالب على أمره"[1]

وتفيد المصادر المختلفة من أن محسن كان، "يسيطر على 50٪ من موارد القوات العسكرية، ويعد الرجل الثاني والأقوى في اليمن"[2] ثم أن كثيرا من المؤشرات، تؤكد أن له دورًا حاسمًا في اختيار الموقع الجغرافي للساحة كون محيط الساحة يحتضن معظم قوى الهيمنة على الساحة وأدواتها، كمحيط الفرقة الأولى مدرع، وعدتها- كما ذكرنا سلفًا- القبائل، جامعة الإيمان، حي الحصبة وهي من المعاقل الحاضنة للمتشددين ومعقل أهم قادة القبيلة الحاكمة " شيخ مشايخ حاشد عبدالله بن حسين الأحمر. في تلك الآونة، كان ينشر ويذاع على الملأ أن المعتصمين وقادة الساحة

---

(1) https://akhbaralyom ye.net/news_details.php?sid=66186 ،2022/1/18) .(6:51، صباحا)
(2) AL Qarwi. Hisham, " The Yemeni Revolution: replacing Ali Abdulla Saleh, or replacing obsolete, institutions", P7,Arwab center for Research,policey Studies. Doha,May 2011.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانوا يريدون أن يأخذوا ساحة التحرير، مكانًا للاعتصام، لكن أنصار الرئيس صالح استولوا عليها قبلهم، ما اضطرهم إلى أخذ ساحة نصب "الإيمان يمان والحكمة يمانية" مكانا لممارسة الاحتجاجات، وتمكن المعتصمون وعلى كثرتهم من تحويل شارع الجامعة وتفرعاته بما فيه الأزقة، وكذلك تمددهم إلى شارع الستين الشريان الأهم في صنعاء بعد شارع السبعين (الذي تعتصم فيه جماعة علي عبدالله صالح) إلى خيام ومساكن وكنتونات صغيرة تهيّأت لتكون منازل عامرة لزمن طويل لاسيما بعد دخول القبائل والفرقة*

انقسمت الرؤى حول دخول الفرقة إلى ساحات الاحتجاج، فكانت مابين موافق على دخول الفرقة الأولى مدرع لحماية الشباب من الآلة القمعية لعلي عبدالله صالح، خصوصًا مجزرة الكرامة في 18مارس 2011، وما بين معارض، بحجة أنها "عسكرت" الساحة والاحتجاجات برمتها، "هيمنوا" على الساحة، ونشاطاتها، و"قيدوها" المتحزبون والمنضوون داخل الأحزاب(اللقاء المشترك)، فقد رحبّوا بوجود الفرقة، ويرددون أجندتها/ حجتها المعروفة، ويعدونها "نصيرة للساحة" و"حامية للشباب"، " الجيش المقاوم"، "الجيش الحر"، "هي الجيش الوطني"، مقابل "الجيش العائلي" لصالح، "جيش وطني" لكل اليمن، مقابل "جيش طائفي جهوي"، وهو الطرف الأول المرحب المهلل لوجودهم -الوجود

* لقد تم بناء بعض أماكن الاعتصام، بالبُلك والإسمنت، وبنوافذ، والأبواب، وكأنها للسكن على مدى أطول.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضرورة: أحد الآراء تقول، " الفرقة الأولى مدرع مع كل ما يمكن أن يقال عنها، لكنها كانت هي الجيش الوطني بعد بناء الحرس الجمهوري الذي كان عبارة عن جيش عائلي، وسحبت كل الإمكانيات لصالحه بقاعدة مناطقية وعائلية، حيث مسكت بقياداته العليا العائلة والمقربين بصورة صارمة، إضافة إلى القيادات الوسطية التي بقت محصورة بمنطقة جغرافية محددة لم تخرج على سنحان ومحيط صنعاء وتمددوا إلى ذمار... بينما بقت الفرقة الأولى مدرع تحتوي بقايا الجيش الوطني الذي ترى فيه مضاد اللون الطائفي والجهوي وبنسبة واضحة".

بعض الآراء رددت مفردة" توازن" بين الأطراف المتصارعة" في أكثر من موضع من أكثر من اتجاه، آخرون طرحوا الجانب المشرق منها والجانب السيء " من الجيد مناصرتها للثوار، وخلق موقف يحقق قدرا من توازن الرعب للطرف الآخر. ومن غير الجيد فرض أجندات وسياسات تحد من الحريات وتصبغ الثورة بلون ليس هو لونها الحقيقي" هذه الثنائيات التوازنية، واللاتوازنية في الوقت نفسه كانت تمور في عقول الكثير من المحتجين بتنويعاتهم الفكرية والحزبية، لكن سرعان ما تقطع " شوكة الميزان" بعد أن بدأت الكثير من السلوكيات التي تتضاد مع مفهوم التغيير، والحرية والاحتجاج برمته(سنأتي على ذكره فيما بعد). يذكر آخرون ممن مسكوا العصا من الوسط، " بـ" مع" و"ضد"، أنه، " فور صدور بيان اللواء علي محسن بانضمام الفرقة الأولى مدرع ودعمه السلمي للثورة وحمايتها أعلن عن تشكيل" جيش أنصار الثورة"،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي تعهّد بحماية ساحات الحرية وميادين التغيير... هذا الانضمام كان عامل توازن بين الأطراف المتصارعة، فهو من جهة حمى الثورة والمعتصمين في الساحة من بطش النظام وعدم الدخول في حرب أهلية بسبب أحداث التوازن في القوات المسلحة بين المؤيدين والمعارضين للتغيير، وسحب البساط من الثوار لصالح القوى العسكرية التقليدية وإسقاط النظام". يشاركهم في هذا الرأي، موقف بعض السلفيين، هو المراوحة.

وينحو الطرف الثالث: في هذا الاتجاه" قبل" و" بعد"، "كانوا... ثم انقلبوا"، (اللاكن). " بدأوا أكثر تمدّنا، ثم سرعان ما انقلبوا وعادوا إلى همجية العسكر"

أمّا الطرف الرابع، من الآراء فأخذت الجانب الرافض القاطع لوجودهم والتحاقهم بالساحات جملة وتفصيلًا. حيث تصفهم بأنهم من "شقوا الساحات، "عسكروا الثورة/ الساحات"، "أضعفوا الثورة"، "أحدثوا النزاعات بين الثوار"، "بداية الانكسار". " اختلف مع من يذهب إلى ان انضمام الفرقة بقيادة علي محسن كان مفيدًا للثورة وبأنه حماها، بل على العكس شباب الثورة هم من حموا الفرقة، وهم من حموا علي محسن من المحاسبة على تاريخه الأسود الشريك لصالح"، يقول أحد الآراء،: "انشقاق على محسن بفرقته وأمنه ومحاربيه شق الساحة بأكثر مما صدع السلطة. كانت بداية إعادة إنتاج السلطة المحتضرة، وقطع الطريق أمام انتصار ثورة الربيع العربي في اليمن".

ولأن أساطير الساحة والعمل الثوري بأيدي قوى الإسلام السياسي الذي يجنح للخرافات، ويستقوي بها عقائديًا، ويفرضها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الجميع، أطلقت الخرافات، كما أطلقت على الساحة والمنصة" المشيئة الإلهية، فقد راج بين المحتجين، من أن الجنرال علي محسن، بمثابة خالد بن الوليد، بل أن انضمامه علامة أن الثوة انتصرت، أحد الآراء، يقول، " سماه محاربوه يومها خالد بن الوليد، واعتُبر الـ22 من مارس 2011، يوم انضمام محسن، انتصارا للثورة. إن سقوط جزء من جدار السلطة على ساحة التغيير بزعامة علي محسن نجم عنه صراع في الساحات بين مؤيد ورافض، وهو ما أضعف الموقف". "أن أصابعهم موغلة في دم الشباب"، "كانت قوه موازية منشقة غير مرحب بها من قبل الشباب، تسبّبت – كغيرها- على قتل الكثير من شباب الثورة. مشاهد جمعة الكرامة وكل التضليل الذي حصل".

ولأن الفرقة هي الجناح العسكري لتنظيم الإخوان المسلمين/ حزب الإصلاح، فقد أسبغوا على قائد الفرقة علي محسن، مثلما أسبغوا على قادتهم أسماء الفاتحين والأبطال في العصور الإسلامية، وعلى المعارك إسباغا دينيا يرجع إلى زمن الغزوات: خيبر، وأحد، وبدر... كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص...، و" طنطاوي اليمن"* كما وصفه الدكتور عبد الملك منصور، مندوب اليمن الدائم للجامعة العربية، في كلمته أمام المندوبين الدائميين، في 31مارس 2011[1].

* نسبة إلى المشير محمد سيد طنطاوي وزير الدفاع المصري، الذي قام بحماية المتظاهرين السلميين أثناء ثورة 25 يناير، وأنقذ مصر من الفوضى.

(1) https://marebpress.org/articles.php?id=9705.،2022/4/5)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهنا يتردد مصطلح ما يسمى "الثورة المضادة" الذي ألصقوه على كل مناوئ لوجودهم، وكانت الآلة الإعلامية، والمليشيات" الثورية"، هي من اشتغلت على هذ اللقب المائز.

رؤية على القبيلة والفرقة:

فرجة، عكفة "حماة الثورة"، إذ تحيل إلى جيش وطني:

" بُندق للإيجار"، تجدد التعبير الذي كان يطلق على القبائل والعساكر، أما اليوم، فقد، أضيف إليهما جموع الثوار المؤدلجين وجنرالات العقيدة، ومن قبائل وعسكر ودعاة، إنهم الحماة للثوار والشعب!

سنعرج لقراءة الإشكالية والجدلية التي كانت تمور أثناء الاحتجاجات مابين مضاد ومعارض، ومتخفٍ. وبرغم أن ثوار اليوم(المهيمنون) وما يطلق عليهم سخرية" ثوار الغفلة"، الذين بين يوم وليلة، نسوا حروبهم، والدماء المعلقة في رقابهم، وقفزوا يحمون الاحتجاجات.

كما ذكرنا سلفًا، أن القبيلة في اليمن تعد، هي النظام السياسي والأساسي، بل والمجتمعي، والثقافي، والاقتصادي، كلهم معًا يمهرون الحياة في الماضي والحاضر ببصمتهم المغلقة على أصفاد الماضي، واللاقانون، والتراتبية، والتعصب،..إلخ، ف" الدولة هي القبيلة والقبيلة هي الدولة" كما يقول قادة القبيلة، بلسان شيخ المشائخ بل ولم يتردد صالح رئيس الدولة عن القول، إن"اليمن كلها قبائل"، أو"نحن كلنا قبائل".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف حدث هذا في الألفية الثالثة، فبين ليلة وضحاها خرجت القبيلة ممثلة بمشايخها، وفقهائها، وجنرالاتها، والتاريخ المثقل بالغزو والفيد والأعراف، والتراتبية، والعصبيات السلالية، والأصول، والفصول، وتاريخ المنع والتحريم لما تراه وفق منظومتها الاستبدادية، تاريخ ثقيل ومكدس تمييزي تجاه المرأة وأصحاب الحرف والمهن، والفنون، والثقافة، ومع زواج الطفلات، وجهاد النكاح، تاريخ مثقل من الانقسامات والتشظيات العمودية، والأفقية الأكثر عنوانًا، لتنشق من جلدها الصخري لتكون مع التغيير، والحرية، والسلمية، والدولة المدنية، والديمقراطية، ومطالب الشباب، وقضايا النساء، والدستور، والحداثة..إلخ، فكان استعراضًا سحريًا خارج المألوف، وخارج جلدتهم، التي خاضوا من أجل تسميكها معارك الشرف والعرض، والدين والمذهب، إلى قبل ساعات من دخولهم الساحة، كانت حالة شيزوفرينيا داخل الحياة/ الحالة اليمنية، والمجتمع اليمني برمته.

كيف اختفى كل ذلك، وباسم الحماية كان وجودهم شرعيًا صفقت له معظم فئات المجتمع اليمني والخارجي، بمن في ذلك المثقفون، واليساريون..إلخ، بزعم أنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع اليمني، وأن الثورة تجب ما قبلها. " كيف اختفى تاريخ اليمن عن أبناء العروبة، واليمن مهدهم الأول، ومنشأ لغتهم، وموطن أمجادهم، فلم يكن هذا الاختفاء راجعًا إلى أبناء اليمن أنفسهم، وإنما مرجعه في الغالب إلى تقاصر الهمم، وتخاذل العزائم عن اقتحام ذلك السور المنيع الذي نصبته الطبيعة دون هذا البلد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغامض حتى عاشت اليمن في عزلة لاعن العرب فحسب، بل عن العالم أجمع، ولم يعد يعرف الناس شيئًا كثيرًا عنها منذ أن تداعت حضارتها وتهدمت سدودها، ودق الشقاق والخلاف بين أبنائها... المأساة التي عاشتها اليمن عبر الأجيال، وتتجلى هذه المأساة في هذا الصراع العتيد بين اليمنيين أنفسهم تارة بينهم وبين من يأتي إليهم خارج بلادهم تارة أخرى، وحتى ظلت اليمن كالنار المستعرة تأكل نفسها، وإذا لم يكن هناك هدف تسعى إليه أو غاية تعمل من أجلها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ماتنطوي عليه شخصية هذا الشعب من حيوية تعوزها القيادة الواعية والعقل البصير "[1]

أراق الحُماة وتلاعبوا بدماء الشباب الذين خرجوا من أجل مشروع الحياة، والكرامة الإنسانية، والدولة، والقانون والعدالة، من أجل مشروع شهيد بسقوف ربيع الشريعة، والزحف المسلح وجُمع المليونيات إلى صندقة " الثروة والسلطة " هم أنفسهم وبآليتهم الذين التهموا مشروع الدولة والدستور، والكرامة، والتنوير قبل أكثر من 60 عامًا من ثورة سبتمبر 1962.

فكر الحماة/ الحماية* متعارف عليه في الثقافة اليمنية خصوصًا القبائلية، اقتصاد أثير يباع ويشترى بحسب الزمان والمكان والمصالح حيثما تكون الغنيمة، كحماية القوافل، وتطورت أشكال

---

(1) مقدمة من كتاب " تاريخ اليمن المسمى" بهجة الزمن من تاريخ اليمن"، تأليف تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني"، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، ص 5 6.

* نظام المؤخاة/ الحماية، وهو " عرف قبلي، يعد من أسس النظام القبلي، حيث يلتجئ الإنسان الضعيف أو القبيلة الضعيفة، إلى قبيلة أخرى قوية فتمنحه الأمان، وهو عرف في النظام القبلي، موجود في العراق، وليبيا، وأفغانستان.. إلخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحماية اليوم، كمن حماية: الاستثمارات الأجنبية وحماية القبائل المتحاربة فيما بينها على مر التاريخ، إتاوات الشركات، حماية الأجانب، حماية المصالح الاستراتيجية" كآبار النفط، والموانى، والسفن، ومحطات الكهرباء، وحماية المدن وإنسانها، فهم من يصنعون المليشيات لتنهب وتسفك، وتدمر، وهم بنفس المليشيات يدافعون ويحمون. إنهم يصنعون الحرب والحماية وأدوات المجالس والرعاة والأعيان لتأجيجها، أو الحد منها، أو انتقالها إلى مربعات أخرى، أو المراوحة هنا وهناك.. هذه الشغل المدر للربح، الاقتصاد الريعي للقبيلة وأدواتها. إذ تقفز بكل ثقلها إلى قلب ساحة الاحتجاج، بحجة حماية " شباب الساحة واحتجاجاتهم"، فتوغلوا في نسيج الاحتجاجات وأصبحوا هم الثورة، وبالمثل أيضًا هم أنفسهم وبمليشياتهم دخلوا مؤتمر الحوار الوطني، وهم من انقلبوا ضده، وهم من تولوا السلطة بعد الحوار، وهم من حاربوا واحتربوا بالبشر والشجر والحجر.

فعلى سبيل المثال، قيادة جامعة الإيمان، وطلابها ومليشياتها، هي التي كفرت الدستور مرات عديدة، وهي التي تقاتل من أجل ألا ينص الدستور أو القانون على تحريم وتجريم زواج الصغيرات، أو الخروج على الحاكم، وأفتت في حروب 1994 للحرب على الجنوب بحجة أنهم شيوعيون، ومرتدون، على سبيل المثال أفتى وزير العدل آنذاك عبد الوهاب الديلمي والمنظم إلى ساحة الاحتجاجات، بقتال أبناء الجنوب،: " إننا نعلم جميعًا أن الحزب أو البغاة في الحزب اشتراكي اليمن، المتمردين... إنهم الردة والإلحاد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والبغي والفساد والظلم بكل أنواعه وصنوفه...أجمع العلماء أنه عند القتال بل إذا تقاتل المسلمين وغير المسلمين، فإذا تترس أعداء الإسلام بطائفة من المسلمين المستضعفين فإنه يجوز للمسلمين قتل هؤلاء المتترس بهم مع الضعفاء والشيوخ والأطفال. ولكن إذا لم نقتلهم فسيتمكن العدو من اقتحام ديارنا وقتل أكثر منهم من المسلمين ويستبيح دولة الإسلام وينتهك الأعراض. إذًا ففي قتلهم مفسدة أصغر من المفسدة التي تترتب على تغلب العدو علينا. فإذا كان إجماع المسلمين يجيز قتل هؤلاء المستضعفين الذين لايقاتلون فكيف بمن يقف ويقاتل ويحمل السلاح، هذا أولًا. الأمر الثاني الذين يقاتلون في صف المرتدين أن تعلو شوكة الكفر وأن تنخفض شوكة الإسلام. وعلى هذا فإنه يقول العلماء من كان يفرح نفسه في علو شوكة الكفر وانخفاض شوكة الإسلام فهو منافق.أما إذا أعلن ذلك وأظهره فهو مرتد أيضًا"[1] وتباشير هذا النوع من الفتاوى وتحت هذه الرايات شنت الحروب الست على صعدة، وفي وقت سابق كانت هذه الجماعات والقيادات هي التي قامت بالتعبئة الجهادية لنصرة أفغانستان والشيشان والبوسنة، وسوريا..إلخ، بمن فيهم جهاديون من الأطفال مادون 18، حيث" غادر 27 ألف يمني لشن الجهاد على القوات السوفيتية في الثمانينيات..إلخ"[2] ومع اندلاع الاحتجاجات انضمت إلى

---

(1) http://www.yafa news.net/archives/4142.(ظهرا 1:25، 2022/1/19)

(2) راجع " تقرير العنف المسلح في اليمن مبادر يديرها مسح الأسلحة الصغيرة، وهو مشروع بحث مستقل تابع للمعهد العالي للدراسات الدولية والتنموية في جنيف – تقرير اليمن، العدد(1) مايو 2010 .Yemen Armed Violence Ass essment

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ساحات الاحتجاج لتدعو للخروج على الحاكم، - سنتحدث عنها في فرجة الفتاوى- وفي وقت لاحق انخرطت في حروب عمران للانقضاض على الحوار والوثيقة والدستور، باسم الخلافة وسقف الشريعة الإسلامية، للعودة إلى مربع 2011: " ارحل "، و"الشعب يريد الخلافة"، "الشعب يريد إسقاط الدستور" فهم الشعب ونحن الآخر! وهم في غمضة عين يهتفون للدولة المدنية، والحرية، والحوار..إلخ.

دخول الحماة إلى الساحة، بهتافات منتشية حد الهوس، واستقبالاتهم بالزوامل والتحية القبلية" "حيا بهم، واحنا تشرفنا بهم" كانت الفرجة الأهم والأخطر في تاريخ الاحتجاجات في اليمن، وفي تاريخ اليمن في الألفية الثالثة، وأعادت إلى الذاكرة، تواريخ أليمة، في حياة اليمن، إبان ثورة 1962، 1967. والصراع الدامي، بين الملكيين، والجمهورية، وتأجيج القبائل، بين هذا الصف، والصف الآخر تبيع وتشتري، في دماء اليمنيين. فتسجل الكتب والمذكرات، والآراء والتحاليل حول هذه التشظيات،: " القيادة العسكرية للجمهورية حاولوا أن يكسبوا ود وتعاون بعض القبائل إلى درجة معينة. لكن لم يرحبوا بتلك الروابط القديمة التي يعاد فرضها فسرعان مالم يعد ممكنا الاعتماد عليهم، ودرجوا على الاستمرار في تغيير ولائهم لأي من الجانبين(يقصد بين الملكيين والجمهوريين) باعتباهم حلفاء ميدانيين فغالبًا ماغازلوا كلا من الجمهوريين والملكيين سواء بسواء عندما طالت الحرب. وقد وقفت القبائل المحيطة بصنعاء في عزلة تامة، ربما ممنية النفس بدخولها من جديد والقيام بنهب المدينة إذا ماتحولوا فجأة عن تأييد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمهوريين. وقد تم توزيع الحقائب والأكياس المليئة بالأموال كرشاو فكان لها تأثيرها المحدود لأن الشيوخ طلبوا المزيد باستمرار. وعندما بدأت أموال الملكيين تجد طريقها إلى الظهور في أواخر شهر أكتوبر قبلتها بعض القبائل التي كانت مترددة أو تغير مواقفها من حين لآخر. وكان على السلال أن يدفع الكثير من الأموال في محاولة لإقناعهم بالرجوع إلى حظيرته مرة أخرى. وقد ظنت بعض القبائل أنها قد أصبحت في وضع طيب ولهذا غيرت الكثير من ولاءاتها لأي من الفريقين لاعتبارات مالية عندما كانت تلوح لها الفرص "[1]

وهكذا هو تاريخ القبائل وبنيتها الانقسامية، ويحفل قاموسها يومياتهم المبثوثة في كتب اليمنيين والعرب والأجانب سوا كانوا أنثروبولوجيين، أو سياسيين، أو عسكريين، بتجدد الولاءات، ونقضها، وتبني في ظرف مصلحة زبونية، بطرفة عين ولاءات جديدة، وهلمجرا.

- **فرجة حيا بهم حيا بهم**

تحت شعار " **حيا بهم، حيا بهم، وإحنا تشرفنا بهم**" فتحت أبواب الانضمامات إلى الساحات المختلفة، حيث أنضم إليها الآلاف من الجيش وقادة الألوية والقيادات الأمنية والعسكرية، من الألوية والضباط بما فيهم ضباط وجنود من الحرس الجمهوري التابع للرئيس صالح، الذين انخرطوا في المسيرات تحت شعار السلمية، وكانوا يتجولون بعتادهم المسلح في أروقة الساحات

(1) أوبلانس، إدجار،" اليمن الثورة والحرب حتى عام 1970"، ترجمة وتعليق عبد الخالق محمد لاشيد، ص156 157، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، 1990.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشعارات حولهم تنضح بـ"سلمية.. سلمية"، بل ويرفعونها وهم بكامل عتادهم المسلح. كما انضم و"بلا سلاح- السلمية" شيخ مشايخ حاشد صادق الأحمر وإخوته، والشيخ أمين العكيمي رئيس مؤتمر قبائل بكيل، والوزراء والسفراء والقضاة بما فيهم، النائب العام، والبرلمانيون وأشهرهم، أحمد سيف حاشد، محمد الحزمي، وقادة أحزاب معروفة، بمن فيهم أحزاب اللقاء المشترك وغيرها، وتجار ورجال أعمال معروفين، هذه الفرجة كانت بمثابة الحدث المشهدي الذي كان تفتتح ساحة الاحتجاجات بباقة من هؤلاء، وهم يدخلون بقبائلهم وفيالقهم في استعراض مشهدي خارج العصر والأوان، يختلط فيه الواقعي بما فوق الواقعي مولدًا مشهدية وفرجة استثنائية قلما نراها في المدن، إنها فرجة استثنائية، كرنفالات استعراضية عجائبية.

هذه المسرحيات الفرجوية اليومية في بلد لا يمتلك مسرحًا، ولا يمتلك متحفا للمقتنيات التاريخية من آثار وغيرها، ولا سينما، حتى معارض الكتب انقطعت، بلد مناهجه التعيلمية تلغي التفكير وتقدس الخرافات،..إلخ، ذلك الاستعراض كُرس ليس فقط لإخافة نظام صالح، بل فرجة فلكلورية لإبعاد شبح الملل والإملال، الذي كان ينخر صلب الساحة من تكرار المشاهد نفسها في اليوم الواحد، وتطويل زمن الاحتجاجات لأشهر.

أصف مشهدًا من بين مئات المشاهد التي عشتها، وعايشتها، من خلال تواجدي اليومي في الساحة، على سبيل المثال في 2011/6/28 أعلن المئات من أبناء القوات المسلحة، من جنود وضباط من الحرس الجمهوري والأمن المركزي الانضمام للثورة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى الساحة لتتحول الساحة إلى كرنفال وأعياد، وزوامل ورقصات البرع، والاحتفالات الإنشادية، والزغاريد، حتى منتصف الليل حيث يقوم المحتجون بحمل العسكر والقادة على الأكتاف، ويدورون بهم مطلقين الهتافات الهيجانية..إلخ، والأناشيد الحماسية: "حيا الله حماة العرين، سلام للأحرار، موجهة للجيش، ثورة ثورة بالشعبية الحرة، يايمن حان تغيير النظام"، " احنا الجيش والشرطة يجمعنا ظلم السلطة"، وأبيات شعرية" لست أبالي حين أقتل مسلمًا على جنب.. كان في الله مصرعي"..إلخ.

لتتسابق المحطات الإعلامية والصحفيون في نشر هذه الاحتفالات المشهدية محليًا وعربيًا ودوليًا.

وبالمثل عندما أنضمت قبيلتا حاشد وبكيل إلى الساحة في 2011/2/26، وكذلك في 2011/3/8 حيث أعلنت قبائل خولان انضمامها إلى ساحة التغيير، وشعارات،" يد عظيمة من أجل ثورة،"، "تحية لخولان"، وسط هياج الجمهور، والنساء والأطفال، وهم يصرخون، ارحل، ارحل، وشعارات أخرى، " قبائل مع الصمود السلمي"، وإعلان الاستقالة من المؤتمر الشعبي العام"، وأثناء انضمام قبيلة مراد مأرب إلى الساحة، على سبيل المثال*

واستمرت الوسائل الإعلامية المحلية والدولية، تلوك تعبير: "قبائل بلا سلاح"، و"الثورة السلمية"، "القبائل المدنية والمتمدنة أبت إلا أن تتخلى عن سلاحها لتلتحق بأفواج الثوار"، "سلمية تضرب بالنار"(إذ كيف يتم ضرب المسيرات بالنار وجموع الثوار

*https://www.youtube.com/watch?v=oNmIIu0j51c.(2021/12/22، الساعة 10 صباحًا)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من القبائل والشباب سلميون)*. كل ذلك كان يتم والساحة المحاطة بأقوى معسكر: الفرقة الأولى مدرع أحد أهم الألوية العسكرية في اليمن، وكان المرء يشاهد مئات من جنود الفرقة وهم مدججون بالأسلحة يتجولون في الساحة، ويعتلون المنصة*، بمن فيهم المرافقون المسلحون للقادة والمشايخ، ويعتمرون المنازل والمؤسسات، والجامعة والكليات، والمكتبة المركزية، أكبر مكتبة في اليمن، وكذلك مبانيها المشيدة التي لم تستكمل، والمدارس، والمحلات، ناهيك عن الدبابات وترسانات الأسلحة الموجودة في أفنية/ساحات الجامعة والتي كانت تشاهد بالعين،..إلخ، وكذلك بإمكانك أن تشاهد فرقًا بلباسها العسكري مكدسة في منطقة الحصبة معقل القبيلة الحاشدية والبكيلية، ناهيكم عن المساكن، والمقرات للمشايخ والعسكر والضباط..إلخ، وبجانب اللباس العسكري كانوا أيضًا يتجولون باللباس المدني وكانوا يتجولون في الساحة، ويمارسون التفتيش، والعنف، وكانت بيوت الجامعة والجامعة معاقل لهم وكانت تحدث العديد من المشاكل الصراعية بينهم وبين الكثير من الشباب المحتجين، الذين يرفضون تواجدهم، وتدخلهم. وكانت التهم المتبادلة، أن الإصلاح يكدس الأسلحة داخل الساحة، وفي مقابل ذلك توجه جماعة الصمود الحوثية إلى استثمار شقق وأقبية لتكديس السلاح. فماذا ستعمل

* ظلت هذه الأسطوانات تمور في الخطاب الإعلامي في الداخل والخارج حتى يومنا هذا، تكثف هذا الخطاب المنبري أثناء الاحتفالات بالعشرية لثورة 11فبراير 2021.

* دخول الداعية عبد المجيد الزنداني 1 مارس 2011 إلى الساحة واعتلاؤه المنصة وسط مرافقين مسلحين، وحماية عسكرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غرف وشقق الأسلحة أمام معسكر الفرقة الأولى مدرع. والأقسى والأنكى من هو التجول المشهدي للمجندين الأطفال داخل ساحة التغيير.

مشاهد لا تنسى خلال المسيرات الفرجوية "المسلحة/ السلمية" التي كانت تتم قبالتهم وتشاهدهم وهم متكدسون في طوابق مباني الجامعات، والمدارس، والمكتبة، والجبال المحيطة، وهم يبادلون المحتجين إشارات النصر أو الشهادة، وقبضة الأيادي، والأفواه المحشوة بالقات، والتلويح بالورود البلاستيكية، وتهديهم المحتجات والأطفال تلك الورود وسط الفرح، والهتافات تنهال بصوت واحد" حيوا الفرقة حيوها وعلي محسن قايدها"*

وقد كان انشقاق الجيش في 19 مارس 2011، بعد يوم من مجزرة الكرامة 18مارس2011، وانظمامه إلى ساحة التغيير بـ21 مارس 2011. ويذكر أحد المحللين من أن قائد الفرقة الجنرال علي محسن الأحمر، " ينتمي إلى حركة الإخوان المسلمين الذي يملك50% من موارد الجيش اليمني "[1].

وعلاوة على حضور دور الفرقة كجناح عسكري للقابضين على ساحات الاحتجاجات، فقد برز إلى السطح دور هيئة تابعة

---

* في المقابل كان بعض المحتجين من الشباب المستقلين وكذلك الحوثيين، يرفضون تواجد الفرقة وقائدها، وكانوا يرفعون شعارات مكتوبة على بعض جدران الساحة وعلى الخيم" انضمامك إلى الساحة لا يعني نجاتك من المحاسبة ".

(1) القروي، هشام" ثورة اليمن: استبدال علي عبدالله صالح أم استبدال مؤسسات مفوّتة"، ص8، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقييم حالة، معهد الدوحة، 2 مايو 2011.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لحزب التجمع اليمني للإصلاح، و لها وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان قد أسسهها عبد المجيد الزنداني عام2007:"... جنود الفرقة الذين جعلوا من أنفسهم هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل الجامعة... فوقوف طالب مع زميلته في الحرم الجامعي هو تصرف مشبوه، وخروج طالبة على عجل من باب الطلاب هو أمر يستدعي إقامة الحد عليها، لا تستغربوا فالعسكري هو الآمر الناهي وما على الجميع إلا السمع والطاعة"(1)

وتكرر حدوث الانتهاكات اليومية على المحتجين ذكورًا وإناثًا، بل اعتقل بعض الشباب في سجون الفرقة الأولى مدرع في الساحة، وبعضهم في مقر اللجنة الأمنية بساحة التغيير" -الكاتبة" شاهدت أكثر من موقف ومنعت من التصوير- فقد كان بعض الشباب بين حين وآخر يقومون بالاحتجاجات من أجل الإفراج عن المحتجين المسجونين.

بالفعل كانت مشهديات الجماعات المسلحة من مليشيات وغيرها، تصدح في ظاهرها بطابع السلمية، وإظهار الود، وتوزيع الورود على العسكر من قبل المحتجين والمحتجات، الترويج الإعلامي.. إلخ من طقوس الاستعراض المجاني. لكن سرعان ما يخرجوا من جلودهم. نعم، كانوا يتغنون بالسلمية ويمارسون الحرب والإرهاب والتكفير.

(1) صحيفة الشارع، الأحد 3مارس2013، العدد 458.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد شكلوا بنية إرهابية داخل الفعل الاحتجاجي لـ 2011، فكان إرهابًا جديدًا- قديمًا يعتمد على تجييش الشارع للزحف، والحسم تارة، وتارة أخرى الهدن المختلفة تبعًا للمصلحة منفعة (الحماة) وبحسب ما تقتضيه المتطلبات الخارجية ونفوذ الداخل.

للأسف، لقد انطلى الخداع على كبار الكتاب والمثقفين اليمنيين والأجانب، لدرجة أن القبيلي انضم إلى الساحة وقد ترك سلاحه في البلاد، وأتى يثور سلميًا، كما تغنت الساحات واعلامها في الداخل، والإعلام الخارجي، وكانت بمثابة الإعجاز/ المعجزة اليمنية التي "أدهشت العالم".

حماة الثورة(القبائل وجنرالات الحرب، والفقهاء) ليس هم المحتجون الموازون، أو كما كان يطلق عليهم الدولة الموازية، أو الجيش الموازي، أو ساحة داخل ساحة، بل صاروا هم الساحة كلها بعد أن ابتلعوها واختطفوا الاحتجاج بكل أدواته، مثلما كانوا هم لحمة ما يسمى، الدولة، والبرلمان، والدستور، في 2011 هم المنتفضون الانتقاميون من نظام الرئيس الذين اختلفوا معه على الغنيمة والتوريث، ليس إلا.

- **فرجة عفاش* عصبية وعصابية العرق:**

أضحت الساحة والحركة الاحتجاجية برمتها قبلية متدثرة بالدين والعسكر، والزامل، والمنصة، واستعراض الاصطفاف

---

* علي عفاش، لقب للرئيس علي عبدالله صالح، ظهر جديدًا أثناء الاحتجاجات، من قبل القوى القبلية التقليدية، وهو لقب عنصري عرقي (بلا أصل) مقابل الأصل، وظهور لقب عفاش أثناء الاحتجاج ضد نظامه، لكسر شوكته بالانتقاص من أصله الوضيع مقابل العرق المشيخي/ أو الإلهي (المنتسبون) للرسول، منهم السادة/ الحوثيون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والقوة والعنف. وكان من الطبيعي أن تفرز تقاليد وإرث وأعراف هذه المنظومة، إحدى العلامات الأساسية لها، ظهرت وتفجرت حدة وقسوة وثارات التراتبيات الاجتماعية والنعرات العصبية والعرقية مع منتصف وأواخر 2011، وغدت قاتلة، مع 2014، عشية الاحتلال الحوثي للبلد. اخترعت من لب ثقافة القبيلة عنصرية العرق، لقب " عفاش" كان بمثابة الاكتشاف الخطير، والنصر الساحق على العدو/ صالح، وبه سينتقم منه الحماة من قبيلة وعسكر، ورجال الدين من صالح/عفاش، الذي اختلفت الجماعة معه على كرسي الحكم، فخطورة اللقب، الذي أبهر اليمنيين، إذ كيف يحكم اليمن لثلاثة وثلاثين عاما رئيس "ناقص"، رئيس "غير أصل"، رئيس "مُزيّن"، "عنضيل"، وتأججت مع تزايد وانغماس جماعوية "ثورية" مشدودة لعرق التاريخ "الأقيال"، المقدسة بل ولقد توسع القيل باجتراراته الحفرية ليتسقط القاب الجذور من اللاجذور، ويدلقونها على حتى مشايخ القبائل بنعرات مذهبية سنية ضد شافعية، والعكس، زاد أجيجها بعد انقلاب2014.

لقد انطلقت عملية التفتيش المهوس بالعرق، ومعارك الأصل والفصل، والفرع، والنقيصة،..إلخ من قبل الرموز المهيمنة (Dominant Symbols) على الستين والسبعين واستعرت في المقايل، وقبلها في خيم الساحة ومنصتها وفعالياتها، التي كانت تتباهى باكتشافها الخطير والنوعي لـ" عفاش"، وهذا الاكتشاف مرده زعماء قبيلة حاشد المنظمة إلى الاحتجاجات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي ثنايا الاحتجاجات برز هذا النوع من هوس التفتيش عن الجذور بهستيريا كثقافة قبائلية أصيلة كأنها" كهف مظلم" " جرف/ حيد". كانت دوامة الأصول، إحدى الجبهات الجديدة، التي تعلي من شأن الانتصار الذي بات قريبًا، وبأن صالح/عفاش المكلل بالعار قد بات في رمقه الأخير، ولذا أتت خطبه كالذبيح، وهو يستند على عرقه الحميري، وألقاب "الأقيال" و"العباهلة".إلخ طوال تاريخه، وانتشرت الفيديوهات والكتابات في إعلام صالح ونظامه من خلال مليشياته الفيسبوكية ووسائل التواصل الإعلامي في الاشتغال على الماكنة الزواملية في نسب صالح العفاشي إلى حضارة حمير..إلخ مثل " قالها الحميري عفاش لن يرحل"[1]، وعلى لحن الزامل الشهير، ياحماة سبتمبر وأكتوبر، وهو لحن من التراث الشعبي، وأشعار مشهورة " سلام الله على عفاش".

وعلى سبيل المثال قام الرئيس السابق علي عبدالله صالح أمام حمأة مايطلق عليها ثورة "الربيع العربي "2011 وجماعته في نبش السيرة الذاتية وفاخر بلقب جديد عفاش الذي استنقصته " المعارضة" في الساحات و" الإسلام السياسي"، وبالرد أطلق الرئيس بأن ينتمي إلى عفاش هو حميري، وأن اسمه علي عبدالله صالح عفاش الحميري، وينحدر من منطقة حصن عفاش أهم المعاقل الحميرية، بل وإن بعض الكُتاب يقولون إن " الحميري" لقب مناطقي.

وانغمس الناس بجنون في نبش الألقاب الماضوية، من بطون التاريخ والدين والمذهب، والسير الشعبية، كسيرة" سيف ابن ذي

(1) https://www.youtube.com/watch?v=0AtuafoKwrk.(1.33 الساعة ،2021/2/23)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يزن"، و"أسعد الكامل"، و" علي بن إبي طالب"، و" زيد ابن علي""، والحسن والحسين"، وانتشر هذا الهوس حتى في المناطق غير قبلية، فأصبحت تجمح مع هستيريا الألقاب..ك"تعز، عدن" على سبيل المثال، زاد الانهجاس بخرافة الألقاب مع " الربيع العربي "و " حروب الحوثية" ومرد حربهم ليس السلطة والثروة فحسب بل يزعمون بتحدرهم سلالة الجنس الإلهي الذي يجب أن يسود بأمر الله والقرآن والتاريخ.. إلخ، واقترنت ألقابهم، بـ " قرين القرآن"، و" القرآن الناطق".

كانت صورهم وهم يتهافتون إلى الساحة، بأنهم الثوار، الذين ينتصرون للدولة المدنية بحسب جمعتهم المليونية، مثل صورة عمياء ومشوهة، " يقدم النسب هوية أقوى، أكثر تشويقًا من الهوية المدنية، وأكثر طمأنة أيضًا لأن التفكير في الأصول يمنحنا السكينة، بينما التفكير في المستقبل يثيرنا، يقلقنا"[1]

هذا هو المستقبل الذي تريده، جماعات الإسلام السياسي "الدولة، الشوروية، الإسلامية، الحضارية..إلخ"، الذي يتبناه الزنداني وأنصاره، ولأن البنية القبلية كانت حاكمة وتتحكم بالساحة "الستينية" مثلما هو حال الساحة "السبعينية" التابعة للنظام الحاكم، فقد ظهرت أيضا نعرات مضادة، أشرس، شاع بأن عائلة شيخ مشايخ حاشد عبدالله بن حسين الأحمر التي كانت المكتشف الأبرز لعرق" عفاش" والمروجة الأشهر له، تنحدر من بلاد الألبان، وأيضًا انطوت الأذية، على المنضمين إلى الساحة من الإعلاميين الكبار، في حزب التجمع اليمني للإصلاح، أمثال،

(1) بارت، رولان، الغرفة المضيئة، ص96.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نصر طه مصطفى أنه ينحدر من سلالة عثمانية، وكلاهما غير يمنيين.. وهكذا.

وضاع مشروع ثورة شبابية حالمة، لتدخل البلاد في أتون حرب أهلية، ما استدعى تدخل دول الجوار الخليجي والمجتمع الدولي ورضوخ اليمنيين وقبولهم التفاوض تحت سقف "التسوية السياسية " لتجنيب البلد من خطر الاقتتال الأهلي، وكانت "المبادرة الخليجية " في 21 أبريل 2011 لوقف الاقتتال وما تضمنته من اقتراحات بانتقال السلطة سلميًا.. وإجراء انتخابات رئاسية في 21 فبراير 2012 وحكومة تقاسم ومحاصصة، سميت بحكومة الوفاق، ثم عقد مؤتمر الحوار الوطني، 18 مارس 2013 بالتزامن مع هيكلة الجيش بل والكثير من المهام/المبادرات التي لم يكتب لها النجاح.

نخلص:

صناعة الألقاب وتدويرها واختراعها، في اليمن صناعة قبلية بامتياز، فاحتياجنا للأول "الشيخ"، كوننا جماعات ضعيفة/ "المعورات " وفق ذهنية الحماة القبائلية المسلحة بالبندق والدين والشرف والأصول، أي في مرتبة:اليهود، والمزينين والأخدام والنساء، ولذا استحقاق وجودنا يتعلق بحماية الشيخ القوي/الضلع المستقيم لحماية الضلع الأعوج، الهش، غير مسلح، المواطن المتعلم والمدني..إلخ.

وظهرت تعابير/ القاب في الإعلام والمقايل، " الشيخ الرئيس"، و"شيخ القوات المسلحة"، و"الشيخ البرلماني"، و"الشيخ الثوري الماركسي"، و"الشيخ العلماني" وقبلهم "الشيخ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمهوري"، و"الشيخ القانوني"، والشيخ رئيس البنك، والشيخ الفقيه/ الداعية و"الشيخ أستاذ الجامعة"، والشيخ "المفكر" والشيخ "الأديب"، والشيخ "الطبيب" والشيخ "الحقوقي الناشط" والشيخ "النقابي والشيخ الصحفي..إلخ. إنها فرجة الفراغ أو ما يطلق عليها باللهجة المحلية" الفرغة"، وبالمفهوم السوسيولوجي" المجتمع المعطل".

- القادة السياسيون والشخصيات الوطنية

كان من ضمن الفاعلين في الساحات – بنسب متفاوتة– القادة السياسيون، والشخصيات الوطنية، الذين كان بعضهم ولاسيما ممن ينتمون إلى الحزب المهيمن على ساحات الاحتجاج كحزب الإصلاح (الإخوان المسلمين)، يشكلّون ثقلًا من ثقل حزبهم، وكانت هناك شخصيات سياسية ووطنية وبعض القادة ممن عاصروا الحركات الثورية في الاستقلال أو الثورة (ثورة 26سبتمبر1962، وثورة 14 أكتوبر1963) لكنهم لم يتمكنوا من تكوين ثقلهم الخاص، بحكم دخول أحزابهم، في اللقاء المشترك، فأضعفهم ذلك مثلما أضعف الكيانات التي ينتمون إليها. بعض الآراء التي استقصيناها، تقول، إنهم شكلوا "حالة إيجابية ثورية"، " صفاء ثوري"، وأنهم "حريصون على الاحتفاء بالناس"، و"حققوا أهداف الثورة لإحداث التغيير".

ثم يصفهم الشق الآخر وهم الأغلبية ويمثل بعضهم الأحزاب، وبعضهم الآخر ناشطون، بأنهم "انتهازيون"، "أصحاب مصالح شخصية للوصول إلى السلطة"، "تنظير"،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ظاهرة صوتية"، "تابعون لأحزابهم"، "فرضوا وصاية على الساحات"، ركبوا الموجة، خذلوا الناس، مثلوا "الثورة المضادة"، و"انهم" يفتقدون للحنكة السياسية، ولاستراتيجية ثورية" و"كلهم أدوات تحركها قوى" كما يقول أحدهم.

ويقول آخر،: "حضرت الشخصيات الوطنية بقوة في الثورة لكن تم تشويه بعضها، وعندما أغرقت الثورة بالمال والإعلام الخليجي وتحديدًا "القطري" كانت بداية لتواري بعض هذه الشخصيات أو فضلت الصمت، حتى التي استمرت لم يكن لها صوت مسموع، كان صوت قناة الجزيرة وأموال قطر هي المسموعة... أحزاب مجتمعة "المشترك" بداية الثورة كانوا يطمحون بتقاسم السلطة مع صالح، وكانت شعاراتهم التي رفعت يوم3 فبراير هي إصلاحات سياسية واقتصادية، ولم يكونوا مع شعارات إسقاط النظام...القادة انضموا إلى الثورة باعتبارهم "مشتركا"، لكن كانت مطالبهم تختلف، مطالب الإخوان عن مطالب الاشتراكي، حتى في إسقاط النظام كان الإخوان يرفضون الشعار، لأن لديهم حساباتهم ومصالحهم مع جزء من النظام علي محسن الأحمر مثلا، بينما بقية الأحزاب والشباب كان مطلبهم إسقاط النظام".

"لقد كان "كوكتيلا" من القادة السياسيين، يتواردون في المناسبات العامة، وصلوات الجُمع المليونية، أو الحشود التي يتقدمونها، حيث كانوا يأتون بزفة تشترك المنصة بتمجيدهم، ومن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم تطلق الصور كسيلان في الأجهزة الإعلامية لهم، وفي رأي أحدهم، أنهم" ظاهرة صوتية".

إن آراء قلة من المبحوثين وتخص الشخصيات الوطنية حملت البينية، فمنهم الإيجابي ومنهم السلبي، أو"آثروا الحياد" أو" تم تشويههم".

كانت صورهم- كما شاهدتُ- تطبع بشيء اسمه الحنين، حيث كانت تأتي ببعض الشخصيات الوطنية" المهمشة" التي ناضلت في ثورتي 26 سبتمبر1962و 14 أكتوبر1963، ترى الدمع ينسكب، وهم يجترون ذكريات، لقد فرحوا في بداية المد الثوري الذي كان يتقاطع مع بداياتهم آنذاك- الماضي-. كان هذا باديًا على سحناتهم أثناء عزف النشيد الوطني، أحدهم، كان يقول لي، ولأحد الأصدقاء: "هذه الثورة -يقصد2011- أرجعتني إلى ذكريات ثورة سبتمبر ثورة الجمهورية، كان يتكلم وهو يرتجف وتخنقه العبرة، وأردف، أحضر هنا لأجل أن أنتعش، وأرى الشباب يواصلون ما بدأناه".

القوى الإسلامية(إصلاح، حوثيون، سلفيون)

الإصلاح:

اضطلعت القوى الإسلامية بأدوار قاطعة جنت ثمارها في الاحتجاجات وما بعدها، وما قبلها أيضًا، فحزب التجمع اليمني للإصلاح كان القوة المستحكمة وذا القبضة البوليسية على جمرة الاحتجاجات 2011 وأصبح كذلك القوة المهيمنة في حكومة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التوافق 2012-2014، حتى انقلاب الحوثي2014، ويواصل دوره اليوم بتصدير نفسه باعتباره مقاومة.

لقد كانوا الضلع الهام في النظام الحاكم، بل وحسموا الكثير من المعارك الأهلية الطاحنة، وأهمها حرب 1994- التي أطلقوا عليها حرب "الردة والانفصال"، وحروب صعدة الستة، فمثلاً، انتشرت فتاويهم بتكفير الجنوب وعلى أثرها شنتّ الحرب بفتوى الحرب ضد الشيوعيين- ناهيكم عن قضايا الدستور، ومؤتمر الحوار الوطني 2013، والنساء، والتعليم والفنون والحياة برمتها... كانت الفتوى والتحريض والتكفير، وممارسة العنف أدواتهم للتحكم بالمجتمع والحياة. يقول أحد الآراء، "مواقفه الفاضحة من دستور الوحدة بل ومن الوحدة، نفسها ومن حرب 1994 الظالمة، ومن علي عفاش ونظامه، تكررت أيضا بصفتها مأساة خلال الانتفاضة وأثناء إدارة مهام المرحلة الانتقالية، عبر ممارسات الهيمنة والإقصاء للحلفاء والآخر عموما، وتنكره المفضوح للقيم المدنية - الديمقراطية حتى وهو يدعيّ ممارسة مهمة إنسانية داخل المستشفيات الميدانية لساحات الانتفاضة، ناهيك عن مواقفه في المحطات الحاسمة لمؤتمر الحوار الوطني الشامل".

يجمع الكثيرون من اليساريين والنساء والشباب والقوى المدنية، والمستقلين، وممن انضوت أحزابهم في تحالف معه (اللقاء المشترك)، بأن حزب الإصلاح (الإخوان المسلمين) "قوى منظمة"، وبرأي أحدهم، "قوى منظمة تولت ترتيب حركة الساحة وإدارة الفعاليات والمناشط"، أنهم " الأكثر تنظيمًا وحضورًا في مختلف الساحات بالبلاد، ويكاد يكون أكثر تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجماعات وضوحًا في قناعاته ونظرته إلى الدولة والتغيير وشكل النظام القادم المراد الوصول إليه".

وكما هو معروف في الأدبيات السياسية، وعلى مستوى الواقع أن حزب الإخوان المسلمين/ حزب الإصلاح أحد أسرار قوته تكمن في امتلاكه قاعدة ضخمة من ترسانة مشايخ القبائل الفاعلة، والفقهاء الدعاة، والسياسيين، لديهم قدرة خارقة على التحشيد، والتعبئة والاستقطابات (المليونية)، فحركت الساحة والعمل الثوري في كل المدن التي شهدت احتجاجات 2011، استطاع حزب الإصلاح أن يكون المُهيمن والمُتحكم والفاعل ولسان حال الاحتجاجات، بل حتى اللسان الوحيد المتحدث باسمها، وهو من ترأس الحكم بعد ذلك سواء كان باسمه جهارًا، أومن خلال أدواته الفاعلة تحت مسميات أخرى، أو أدواته المخفية، والمؤقتة. رأي آخر يقول، "إن الإصلاح التهم أحزاب اللقاء المشترك، وأصبح هو الفاعل وأصبحوا تابعين له".

يصبح المشترك بأحزابه المختلفة شماعة، ظلًا باهتًا، بل لقد كانوا يضفون شرعية على أعمال حزب الإصلاح بما في ذلك حروبه، فنزلت قواعدهم من أبناء القبائل وغيرهم، إلى ساحات الاحتجاج جميعها بما فيها المدن التي يطلق عليها" غير قبائلية"، أو نسبة القبلية فيها غير طاغية مثل المناطق الشمالية، كصنعاء، وذمار، وحجة...، بل وأعلنت دولة الخلافة الإسلامية من على المنصة، بقيادة الزعيم الديني عبد المجيد الزنداني... وكانت خيمهم متواجدة في الساحات، التي احتوت تنظيم القاعدة أيضًا، كما تقول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعاراتهم التي تملأ الساحات "وما الحكم إلا لله"، و"تكفير الدولة المدنية"، و"إقامة الخلافة الإسلامية"، وتطبيق "شريعة الرحمن"، يؤيد أحد الآراء، " هُمش" الطرف الأقوى في "المشترك" حلفاؤه، وأُقصي الشباب والمرأة والمستقلون، ونزل الزنداني إلى الميدان مبشرًا بالخلافة الإسلامية".

اشتغل الإصلاح على بروبجندا قاعدتهم الأثيرة والصالحة لكل زمان ومكان، " التقية" من بداية العمل الاحتجاجي في الوسائل الإعلامية وخطابها الموجّه، ومنها المنصة، والقنوات الفضائية للفاعل الاحتجاجي وفي ثناياها الاشتغال على قاعدة التقية كأيديولوجية بل وتعد التي تعد ركنا أساسيًا في نهج منظومة الفكر الإسلاموي بشقيها الديني والسياسي، والتي كانت نهج عمل وحياة ليس في الساحات فحسب. بل وفي مؤسسات الدولة وشئون الحياة اليومية أيضًا. ففي البداية كان الاستغراب واضحًا من قبولهم بالمختلفين وبمشاركة النساء واختلاطهن بالمحتجين، والسماح لهن بالصلاة في الفضاء العام، ويسمح لهن باعتلاء المنصة، كان مسموحًا به في الأيام الأولى، ووفق أحد الآراء الشبابية، يقول " كان قبول عجيب بالآخر الحوثي والسلفي"، يضيف أحدهم، من أن قواعدهم" كانوا يظهرون تقبلًا للاختلاف ما لبثوا أن عادوا إلى التعصب والهيمنة والازدراء"، آخر، يضيف من واقع تجربته، "شاهدت الإصلاح كعادته منذ قدّم نفسه باعتباره حزبا سياسيًا مستقلًا، شاهدته يرفع راية الله (وأحيانا يرادفها براية الأمة) ليواصل خوض معركته الخاصة لبلوغ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأهداف الخاصة (لجماعة الإخوان). لقد بقى هو هو، رغم كل ما ظل يتقمصه من أدوار ويغيره من أهداف وتحالفات وفقا للمستجدات، وسعيًا نحو حلمه بدولة الخلافة الإسلامية، بقيَ كذلك أثناء استحواذه على زمام قيادة الانتفاضة، حيث لم تكن الدولة المدنية الديمقراطية أكثر من شعار يردده بعض أعضائه المتنورين خلافا لمشروعه الحقيقي. لكنه وفي كل منعطف سياسي وتاريخي هام كان الإصلاح يكرر دوما وبأشكال مختلفة ظهوره عاريًا عن أقنعته أمام حلفائه وأنصاره وعامة الناس".

بعض الآراء ترجح، أن" حزب الإصلاح اتخذ الاحتجاج للوصول إلى السلطة"، لكن أقرب وصف ما ذكره أحدهم من أن: "الإصلاح، والحوثيين التحق شبابهم بالاحتجاج بعد الإدانة في البداية، والتردد، ومن ثم الالتحاق بعد انضمام قيادتهم. إن قيادة الإصلاح، والأحزاب المتحالفة معهم (مجلس التنسيق)* كانوا لحظة انفجار الاحتجاجات يساومون صالح على الحصول على نصيب من الكعكة مقابل التمديد له في تعديل الدستور، ولكنه أعلن "قلع العداد"* للإعلان عن التأبيد في السلطة، ومن دون الاحتياج لموافقتهم، وفي لحظة قلع العداد التحقوا بساحات الاحتجاج التي

---

* يقصد به أحزاب اللقاء المشترك.

* تصفير العداد/ أو قلع العداد"، حاول صالح أن ينتزع فتيل الاحتجاج تارة بالتهديد والوعيد والحرب على "الأعداء" من خلال تعبيره الشهير " ترقيص الثعابين" وتارة بالبحث عن خيط المهادنة والاحتواء، مثلا في 24 يناير 2011 عندما خطب صالح، بأن اليمن ليست تونس، ولا للتوريث... والأشهر من هذا وذاك تتراجعه صفير العداد بخطابه الشهير أمام البرلمان" لا للتمديد، لا للتوريت، ولا لتصفير العداد". أما سلطان البركاني القيادي والبرلماني الأبرز في نظام علي عبدالله صالح، فقال " ليس فقط تصفير العداد بل إلى قلعه، بمعنى، ليس فقط التوريث بل التأبيد لصالح مدى الحياة. ويعد هذا التعبير" تصفير العداد تجسيدًا لقوة المجتمع المعطل وإنتاج عطالات جديدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تضمّ غالبية الشباب والشابات المستقلين، وأعدادًا من شباب الأحزاب خارج توجيه أحزابهم، ويواصل صاحب الرأي، من أن: "انشقاق الفرقة الأولى مدرع بقيادة محسن، وانضمام الإصلاح، والأحزاب الأخرى كان بداية احتواء الاحتجاج وفرملته، وكانت مبادرة التعاون الخليجي بمثابة مصالحة بين قطبي النظام: صالح، ومحسن- المؤتمر الشعبي العام، والإصلاح- وتمت إعادة إنتاج النظام بمباركة خليجية".

الحوثيون:

مثلت الساحة في بداياتها فرصة مثالية بتسجيل دخول الحوثيين ومشاركتهم في الاحتجاجات، بالانتماء على مظلمة الستة الحروب، التي شُنت عليهم، والاتكاء على مبدأ "التقية" كأي جماعة إسلامية مسلحة تمرست في القتال، والحروب كجزء لا يتجزأ من ثقافتهم، وانغلاقهم بعصبية وعنصرية على "العرق المقدس" "السادة"*، ومن أنهم ينتمون إلى "نسل الرسول" الأطهر. في البداية راوحت مواقفهم بين الصمت والتكتيك، وقبول الآخر، أي كانوا غير متشددين، كما تقول بعض الآراء " قدرتهم على إظهار عكس ما يبطنون من مواقف سياسية ومن أفكار عمومًا (التقية) فلقد ظل الحوثيون طوال مرحل الانتفاضة على وئام مع غالبية الأطياف الحزبية والسياسية والاجتماعية

* السادة ينتمون إلى الأشراف/ الهاشميين، هم الطبقة الأولى/ الأعلى ضمن التراتبية التميزية في المجتمع اليمني، ويمتد نسلهم إلى الرسول صلى عليهم وسلم ولعلي بن أبي طالب، ويستأثرون بالحكم والثروة، ولا يزوجون بناتهم من أي فئة، سواهم، ويأتي بعدهم القضاة، ثم القبائل، ثم الحرفيون، الجزارون، والحدادون، والفنانون، والصناع (أصحاب المهن) والأخدام (المهمشون من ذوي البشرة السوداء)... وهم الطبقة الدنيا، ثم اليهود، وغيرهم من الفئات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"استطاعوا أن يستثمروا جيدًا تعاطف غالبية الناس مع مظلوميتهم خلال حروب صعدة الستة، ولم تظهر نواياهم السلالية والعنصرية بشكل صريح إلا بعد أن تيسرت لهم الفرصة الكاملة للسيطرة العسكرية، وبعد أن أكملوا بناء تحالفاتهم مع إيران ومع نظام صالح... كان تواجد الحوثيين محصورا في صنعاء وبمخيمات محدودة نظرا إلى الحساسية تجاههم بعد حروب ستة مضت ولتوسّعهم باتجاه الجوف وحصول معارك وقتها "

آراء متعددة، "لقد مرروا ما يريد الإصلاح، لكن بعد ذلك " ركبوا الموجة واستولوا على الكعكة برمتها"، بأنهم" أكلوا كل شيء"، "أن الصراع كان على أشده في الساحات، " حيث بدأ الصراع بين الإسلام السياسي (الإصلاح وأنصار الله) من قلب الساحات، وكانت ساحة التغيير معركة، وأصبحت المواجهات شبه يومية بين "الإصلاح" و"أنصار الله"، وجرت مسيرات غير مدروسة وغير مخطط لها قتل فيها العشرات من الشباب".

ومن خلال مشاهدتي والاطلاع، يتضح أن الجماعات الإسلاموية جميعها، مؤمنة بفكرة التقية، كمعتقد دين- سياسي وكانت ملازمة وتنفذ بحذافيرها في العمل الاحتجاجي على مستوى ساحات الاحتجاج، وفي العمل السياسي والحربي، ولذا استطاعت الجماعات الإسلامية والمتصارعة مذهبيًا (الإصلاح والسلفي، والحوثي) الوصول إلى مآربها، لقد كانت التقية إحدى أهم وسائل الوصول إلى السلطة والغنيمة، وما أن يتيسر ما يصبون إليه، أي تنتهي المهمة حتى يرجعوا إلى نسيجهم الأصلي فيقتلون ويقتتلون بشراسة، ويخوضون حروب/ غزوات الردة والانفصال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ودماج، حروب اليوم(انقلاب الحوثي- أنصار الله) إلاّ العلامة التي تسمهم، الصراع بينهم قاد العديد من الشباب إلى الموت أثناء المسيرات.

السلفيون

خاض السلفيون، صراعات عنيفة مع الحوثيين، منذ حصارهم في دماج 2011، وقد حصدت الحرب بينهما الضحايا، بل انتهت بتشتتهم وتهجيرهم في منافي اليمن(2013-2014).

تجمع الآراء على اختلاف انتماءاتهم السياسية والثقافية، بما فيهم السلفي، من "أنهم مازالوا في صراع فكري بين من يقبل العمل السياسي، ومن يحرمه ويجرمه، فبعضهم مع "طاعة أولي الأمر"، والبعض الآخر ضدّه، وأولئك الذين انضموا إلى ساحات الاحتجاج ظلّ حضورهم باهتًا، وكان يتقوىّ تحت ظل حزب الإصلاح، وبالمثل كانوا بالهيئة نفسها في مؤتمر الحوار الوطني 2013.

يشير أحد الآراء، إلى دور السعودية ودور الخليج، في تأجيج الصراع، والحروب في اليمن، بما فيها عسكرة الثورة عند دخول الفرقة الأولى مدرع إذ يقول "كان حضور السلفيين أقل من الآخرين نظرًا إلى عدم حسم قضية علاقتهم بالسياسة والتغيير، على حين كان الآخرون لديهم تصورهم المسبق، وقد تشكّلت أحزاب سلفية جديدة من الذين حسموا أمرهم تجاه قضية التغيير والعمل السياسي. كان تواجد الحوثيين محصورا في صنعاء وبمخيمات محدودة نظرا إلى الحساسية تجاههم بعد حروب ست مضت، ولتوسعهم باتجاه الجوف وحصول معارك وقتها".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوجز أحدهم رأيه بالسلفيين، إذ يقول، "ضعف نشاطهم المستقل وصعوبة تمييزه عن نشاط حزب الإصلاح".

النساء

حرائر الثورة، الفرجة السوداء

كانت فرجة مائزة لساحات اليمن جميعها بلا استثناء، مشهدياتها المختلفة تشذ عن تقاليد المجتمع اليمني المتحفظة جدًا وثقافته، لقد شكّل حضور النساء وممارستهن لأدوار جديدة في الساحة، صدمة، حيث شوهدت مئات النساء بنقابهن، ومسيراتهن، وصلواتهن، وخطاباتهن، في محيط مشترك مع الرجال ولأول مرة في اليمن وتحديدا في صنعاء، الواقعة في محيط مربع القبائل، والإخوان المسلمين " من حزب الإصلاح والسلفيين".

منذ بدء الاحتجاجات كانت النساء في مقدمة الصفوف الأولى، أمام تسونامي الأجساد/المليونية التي تعج بها الساحات، بالرغم من أن البداية تمثلت بدخول النساء إلى الساحات- خصوصًا - المستقلات، أو الناشطات في المؤسسات المدنية بناء على هدف التغيير بإسقاط النظام، ومنظومته القيمية الفاسد، وإقامة دولة مدنية، تضمن المواطنة المتساوية بين الجنسين.

في البدء سمح لهذا التيار بالتواجد والانخراط في مسيرات الساحة، وكان الاحتفال بيوم المرأة العالمي 8مارس 2011، من قبل " تحالف وطن - نساء من أجل السلم الاجتماعي"، حيث شكلن مسيرة جابت أرجاء الساحة، ثم عدة مسيرات مشتركة مختلطة، إلى أن بدأت الأحزاب المهيمنة (إذ رجعت إلى جلدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي نحته جانبًا ومؤقتًا) تشتغل ضمن منهجية صارمة مع الفصل بين المحتجين والمحتجات بإقامة الأسوار بين النساء والرجال، وكذلك برزت أدوات لتمييز نساء فيما بينهن، مثل نساء حزب الإصلاح عن غيرهن، وبين النساء والرجال، وهكذا.

عمومًا لم تخرج اليمنيات بهذا الشكل إلا في الساحة في 2011، وكنّ مشهدًا فرجويًا، بامتياز، أما الشباب فقد شكلوا أرضية الساحات كافة، كلاهما بحسب الإجابات: " كن الأصدق والأجمل في 2011"، أحد الآراء، يجيب عن النساء والشباب معًا "كانوا هم الحلقة الأضعف وهم من قدموا التضحيات في مظاهرات 2011، وللأسف ما كانوا يعرفون أن من سيستفيد من دمائهم هي الأحزاب (عجائز الأحزاب)".

وجد في ساحات الاحتجاج نوعان من النساء، فمنهن المنتميات إلى الأحزاب، وأخريات من اللامنتميات ويغلب عليهن النشاط المدني، والمدافعات عن الحقوق والحريات، وينضوين بعضهن في مؤسسات/ منظمات مجتمع مدني. حملت الرؤى من مختلف التيارات والرؤى الثقافية ذكورًا، وإناثًا، "هن الأصدق"، "ركيزة الثورة"، "عنصرا رئيسا في تحفيز الشباب"، "أجمل مافي الثورة"، "النسيج المدني"، "أدهشت الداخل والخارج"، ثم تأتي الصور السلبية من حالات العنف، مثل، " الحلقة الأضعف"، "جرى تهميشهن"...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النساء: جدار العزل، بدء العنف

بدأت مشهدية التهليل للنساء تخفّ، وتُستخدم رقمًا رابحًا إثر دخول الأصوليات والعسكر بشكل علني، واستقوائهم بالمنصة وكل أدوات الخطاب المحلي والخارجي، فارتفع جدار العزل الجسدي حراس، والإسمنتي والحديدي والبلاستيكي، فمثّل اقتصادًا فرجويًا نوعيًا، "حُشرت كتل سوداء" في كنتونات/خانات/ مربعات تحيطها نسوة من المراقبات الصارمات اللواتي كن ينتصبن عند مداخل التفتيش، (وربما كنّ الجناح المدرب المنفذ لمهمات حزب الإصلاح)، وكان أحد أشكال الهيمنة، والعنف معا، والتسيس، والتدين العنيف، مصحوبًا بالعسكرة الفجة. وما سرى على النساء سرى على الشباب والقوى المدنية، وعلى العمل الاحتجاجي كاملًا.

لقد كان العنف هو الوجه الآخر للفرجة. صورتان تطبعان بنية العمل الاحتجاجي في بداياته، وما آلت إليه من حالات الانقلاب من السلمية إلى العسكرة، وتفشي البؤر الصراعية التي حوّلت مسار الاحتجاجات إلى أجواء عنف وعنف مضاد، "لكن ما أن قبض حزب الإخوان المسلمين والقوى التقليدية، حتى بدأ التهميش، وممارسة العنف ضد النساء، كان الفصل عن الذكور، واستخدام الحرام والعيب، هما الاستشراس الأكبر... البداية، قبل أن يسيطر عليها حزب الإصلاح وعندما كانت النساء يتحركن في كل الساحة بكل حرية ودون أذى، بالعكس كان كل الرجال المتواجدين في كل الساحة يشكلون درع حماية للنساء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت مطالب النساء المنضويات في الأحزاب، من مطالب أحزابهن، ويتحدثن بصراحة فيما يعلنه أو يفعلنه"، وورد في أحد الآراء "هي مطالب حزبهن وجماعتهن، البعض، جرى تهميشهن، وقد خرجن من أجل أحزابهن (الإصلاح والحوثي)،" كانت النساء الموجودات في الساحة ناشطات، لكن أيضا بحسب انتماءاتهن، فالناشطات المدنيات مارسن مشاركة فاعلة وحضورا جيّدا في المطالبة بالتغيير والعدالة والمجتمع المدني، والحزبيات رضخن لأوامر أحزابهن خاصة المنتميات إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية"، فقد "شكلن عددًا/ حشدًا بالنسبة إلى أحزابهن، وقام حزب الإصلاح بممارسات عنفية داخل ساحات الاحتجاج ضد النساء اللواتي رفضن الوصاية وهُمّشْنَ، من أوائل أفعال الحزب، جرت، عملية الفصل بين الذكور والإناث، بسواتر حديدية وبلاستيكية في كل المحافظات، واشتغلت مليشياته النسوية في كل أعمال الساحة بما فيها اللجان الأمنية والتنظيمية والتبرعات..."، " إن حزب الإصلاح، فرقّ النساء وعمل الحواجز، وتحكّم باللجان الأمنية والثورية، لقد كان لموجات العنف الأثر الكبير في انهزام النساء وتقلص مساحة الحلم الكبير في الحرية، تفند أسباب هذا الانهزام،" فكانت غالبية النساء يتأثرن ويتبعن أحزابهن، فمثلا النساء التابعات لحزب الإصلاح كنّ أكثر التزاما برؤية الحزب الذي ينتمين إليه وأيديولوجيته، ووقفن ضد النساء المدنيات ولم يدافعن عنهن حينما تعرضن للإساءة إلى سمعتهن بل وعلى الإهانة والضرب بأعقاب البنادق من قبل بعض القبائل والقوى العسكرية التابعة لحزب الإصلاح، الفرقة الأولى مدرع".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشهدت الساحة في هذه الأجواء المشحونة العديد من الانتهاكات كالمنع من المنصة، والضرب، وإطلاق الرصاص، كحادثة 16 أبريل2011، بحجة منع الاختلاط، وكانت المسيرة بهدف الرد على خطاب علي عبدالله صالح 15أبريل 2011، حين جاء في خطابه الشهير الموجه إلى الساحات، "أدعو إلى منع الإختلاط المخالف للشريعة".

خطاب القصف ما بعد الربيع:

عندما قال جمال بن عمر المبعوث الأممي إلى اليمن، عن فرقاء الحكم، من أنهم: " يختلفون في كل شيء، لكنهم يتفقون على المرأة "، لم يأت حديثه من فراغ، بل من واقع معاش، اتفق (الإخوة الأعداء) على التفنن في تعنيف النساء، فهذا، حميد الأحمر (شيخ الثورة وممولها وحاميها) يهاجم نساء الساحات، إذ يقول " كانت هناك سلوكيات سيئة حولت الساحة إلى مرقص ديسكو، تريد تلك النساء أن تسير يدًا بيد أصدقائهن وعشاقهن في المظاهرات، هذا ليس.. وهو ضد دينيًا "[1] وقد قامت بعض الناشطات برفع قضية عليه في المحكمة بصنعاء بتهمة القذف في يونيو 2012. وهو هنا لا يختلف عن رئيسه في النظام السابق-صالح- فقد كان جزء منه بخطاب واحد وموجه ضد النساء ضمن لعبة السياسة الثأرية الغنائمية، وبختم "الشرع والدين".

لقد كان هناك حتى انفصال بين النساء المحتجات، فجماعة توكل كرمان بتكتلها النسائي "حزب الإصلاح" والناشطات

(1) https://bidayatmag.com/node/401(دراسة الباحثة من" اللاحبل إلى الجدار، قراءة في أوراق الربيع النسوي اليمني"، نشرت في مجلة بدايات، العدد السادس، صيف 2013).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللواتي يتبعنها يقمن بالمسيرات والأنشطة خاصتهم، ولا تلتقي بجموع النساء الأخريات، والنساء من التكلات الأخرى والمستقلات يفعلن نفس الشيء.

كانت النساء المحتجات واللواتي شكلن الأغلبية الساحقة أخرجتهن أحزابهن، خصوصًا الأحزاب التي لها حشودها الجماهيرية، كحزب الإصلاح، وهذه قاعدته الأثيرة، للعمل، والفصل بين القضايا والأحداث، والحسم من خلال أذرعها التي تحركها في المكان والزمان، والنساء إحدى فعالياته الأثيرة باسم إحدى أجنحته الفاعلة والخطيرة في الساحة "المنسقية".

تذكر إحدى الفتيات من ساحة تعز، من أدلين برأيهن، ما تعرضت له قائلة: "أنا شخصيًا تعرضت للضرب والتهديد بالسلاح بـ"السكين" من قبل امرأة منهم كانت ترتدي السواد من رأسها إلى قدميها، لم أتمكن حتى من رؤية عينيها. كل هذا كان سببًا في أنني لا أريد الالتزام بالتشكيلة والتقسيم الذي يريدون رسمه للناس في التظاهرة.. ولكنني تمّردت لآخر نفس، أملًا في تلك الثورة قبل أن أسقط في بحر الإحباط والخذلان بعدها".

كانت أعمال النساء بشكل عام، وخاصة المنضويات في لواء المنسقيات التابعة لحزب الإصلاح، فاعل بشكل منظم، على سبيل المثال: الحشد للمسيرات، والهتافات، الشغل في لجان التفتيش، والتطبيب، عمل الكعك والتغذية، وجلب التبرعات،.. إلخ من الأعمال.

دخلت النساء في الاحتجاجات بمسمى تقليدي- ديني "الحرائر" وكان ينادى عليهن، في البيانات أو الخطابات بـ"الحرائر"، والنساء أنفسهن يعرفن بأنفسهن بالحرائر، وهذا مرده إلى شيوع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللفظ في الخطاب الثقافي اليمني، وخصوصًا الخطاب الديني، فضلًا عن عدم معرفة خلفية اللفظ "الحرائر" في المعرفة السوسيولوجية والفكرية عمومًا.

بالإضافة إلى السماح لهن بإلقاء خطبهن من على المنصة كما في بداية الساحة، في احتفال8 مارس، عندما خطبن، هدى العطاس، ونبيلة الزبير، ورنا غانم، ونبيلة المفتي وغيرهن، بجانب، طبعًا، النساء القائدات كـ"توكل كرمان" وأنصارها.

في المسيرات الأولى عندما كان الاختلاط مسموحًا، كانت النساء/ الحرائر يتصدرن المسيرات، ربما كان ذلك شكليًا في البداية حتى يشجعن غيرهن من النساء على الانخراط أو لإظهار صورة أن الاحتجاج يحمل الطابع المدني، والقبول بالآخر المختلف، والجانب الآخر ربما، كحماية للمسيرة، إذ يقضي العرف القبلي بمنع التعدي على الذكور في حضرة النساء والأطفال ولأن ذلك يعد "عيب أسود". واشتغل الديني في جانبين مع، وضد، على سبيل المثال، فرجة الفتاوى التي كانت تشتغل ماكينتها ليل نهار، فيما يجوز، وما لا يجوز، فالدعاة السنيون كانوا يمنعون النساء من المبيت في الساحة، ثم أتت فتوى مناهضة من الجناح الدعوي الشيعي* التابع للحوثيين، كـ فتوى المحطوري، "وأن مبيتهن شبيه بالمبيت في منى مزدلفة، ولا حرج فيه"(1)

---

* هل يجوز على النساء المبيت في الساحة*، وكيف اقتضت الفتاوى كسر التابو الثقيل والمكبل للنساء والخروج حتى للضرورة كحرمة بدون محرم، وفقه المحضورات والضرورات، وفتاوى الخروج للمسيرة الفلانية من عدمه، وإتباع الجموع ومن يخرج عن شور الجماعة..

(1) دار المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، 2011/4/16

http://www.sahafah.net/show386143.html

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرجة الأستار" سيميولوجيا الجسد والملبس:

لم يكن فضاء الساحة مفتوحًا إلا في برهة البدايات وبعدها صار فضاءً مغلقًا بامتياز بالحدود والأسيجة -كما ذكرنا- بما في ذلك الستار الأسود للمرأة اليمنية "الشرشف الجلباب/ النقاب"، وقبل كل ذلك مصفد بالأيديولوجيا.

اتخذت الساحة شكل القفص الكبير، داخلها أقفاص وكنتونات صغيرة، والقفص الأبرز الصغير والمحتجب هو قفص النساء، فيبرز القفص المدجج بالأسود بين جموع المحتجين بأرديتهم البيضاء والملونة، والخناجر" الجنابي"، فبعض المصورين، اختاروا لقطات سجلت عالميًا بوصف "الدهشة"، كتلك الصورة المنتشرة عالميًا، كتلة من السواد، تظهر طفلة صغيرة بين بحر السواد وبوجه مفتوح، أو طفلة تلبس حجابًا أحمر، أو أبيض، فتكون نقطة بيضاء وسط الظلام.

أستعرض بعض صور البدايات، قبل انسدال الأستار، والحبل والعصا الغليظين، كنت ترى النساء والرجال في الساحة بجانب بعض بل وكانت تقام الصلوات وهم بجانب بعض، ولأول مرة في تاريخ اليمن المعاصر كن يؤمن الصلاة في الفضاء العام أمام الرجال، ويركعن ويسجدن أمام الملأ، بل والسماح بالتقاط صورهن، التي ملأت الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي المحلي والخارجي.

لكن سرعان ما بدأت العصا الحديدية لسلطة الساحة تظهره، وشرعت مليشيات الساحة من اللجنة الأمنية والتنظيمية، بإعلاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السواتر الخرسانية والبلاستيكية والفصل بين الجنسين بشكل فج وهستيري عنيف في المسيرات وفي الحضور إلى الساحة، وحدد مكان النساء وأماكن الرجال.

سواتر وقفصنة على الجميع والنساء يتحملن ثقل القفصنة المضاعفة كون القفص الأسود سجنًا قائما بذاته. أقفاص مغلقة عليها الهتاف، وصورهن تنشر على الملا، وهن يهتفن "الشعب يريد بناء يمن جديد"، أو "نريد دولة مدنية" وهن كتلة سوداء، فرجة الأقفاص السوداء، هو نفسه القفص قبل الاحتجاجات، القفص الدوراني المكرور، صناعة الشهداء بتقديم فلذات اكبادهن في بلاط الشهادة، والتثوير المجاني ليتحول الدم إلى رقم، كون النساء، والمحتجون بدو بشكل عام هم مجرد أرقام في ميزان العمل الاحتجاجي برمته.

مسيرات النساء مثل مسيرات الرجال، الدوران في أروقة الساحة ذهابًا ورجوعًا، حيث، تبدأ من عند المنصة، المسجد والخيمة، والدوران حول الخيم والهتاف بالتحية لهن من قبل المخزنين المحتجين وهم يلوكون القات، ثم المصورين والمصورات، الدورانية الاحتجاجية في ساحة التغيير، من وإلى، وفي نطاق حدود ذهابًا وإيابًا، هكذا كان التنفيس لزمن الاحتجاجات المقفصة، وأيضًا المكفنة. فكان استعراضا مبتذلًا، وسيكوباثيًا حتى المدنيات مارسنه دون أن يعين ذلك، في ظل حمأة الثورة هناك اتجاه وهدف واحد هو إسقاط النظام بأي الطرق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأجساد المحشورة داخل السواتر السوداء/ الشرشف/ النقاب، والأقفاص الحديدية والخرسانية في محيط تسونامي الرجال، لا يختلف عن المجال الثقافي والعرفي الديني لليمنيين واليمنيات، زمن دائري وفعل دائري لهذه التسونامية العجيبة والعجائبية، معروف لبس النساء اليمينات السواد الخالص مع وجود "شق العينين" ما خلت إلا من وجوه مفتوحة وهي نادرة أمام التسونامي في الفضاء العام، أكان قبل الاحتجاجات أو أثنائها.

أما عدد الفاتشات شعورهن/ السافرات، فلا يزيد عن نصف أصابع اليد الواحدة، ثلاث نساء، إحداهن الباحثة. كان بعض الأجنبيات يأتين بشعورهن قبل الاحتجاج، وبعد ذلك كنا نراهن بالأغطية في الشوارع، والمدن اليمنية التاريخية، وفي الساحة بالمثل في بداية الاحتجاج وقبل العنف، أتين بلا أحجبة، وسرعان ما تحجبن، بل وارتدين النقاب.

وأنت ترى النساء في المسيرات تجد طوفانًا من السواد، محشورًا في مربع، أو خط طولي ضيق أمام طوفان التسونامي الرجالي(انظر صورة جمعة الدولة المدنية)، يقوم على الفصل شباب وشابات، منظمين، يصطفون بأجسادهم وأياديهم، مكونين جدارًا صلدًا، يمنع الاحتكاك، وعندما تقترب تظهر لك العيون فقط، أما كل الجسد فمغطى وغير قابل للانكشاف مطلقًا، بل يعد انكشافه جريمة وحرام دنيوي وأخروي أيضًا، ناهيك عن العيب الاجتماعي المضاعف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هناك مسيرات نادرة للنساء استخدمت الستارة الصنعانية كشكل فلكلوري، منها مسيرة عن التعليم، والمطالبة بعودة الخدمات الأساسية الاحتياجات اليومية للمواطنين، كالماء، والكهرباء، والوقود.. إلخ.

أما فتيات المستشفى الميداني فغالبًا يلبسن الأبيض مع النقاب، وبعض الشابات اللواتي يلبس بالطوهات قصيرة، وهن لا يتعدين على الأصابع، ويتعرضن لكل أنواع التحرش، والعنف والتكفير.

الطفلات وحدهن من يتنفسن، فيرتدين الملابس الشعبية الملونة وعصبات الرأس وهن قلة أيضًا.

هناك أيضًا، النساء من فيالق " مليشيات المنسقيات والقبضة الأمنية للحزب المهيمن على الساحة يتحركن كأنهن مدربات في فرقة عسكرية يلبس السواد ويتميزن أحيانًا بلبس القبعات، وكن يشكلن السياج القابض على المسيرات النسائية أو المفتشات عند البوابات، مثلهن نساء الحوثي "جماعة الصمود-الحوثي".

وأمام فرجة الزي الأسود ينبري الزي الرجالي المعروف وللغالبية العظمى: الزنة البيضاء والجاكيت والجنبية وغطاء الرأس "كوفية والغترة/السماطة"، أما البقية فكانوا يلبسون البنطلون والقميص. أما الشعر فقد كانت "القعش" القبائلية، واللحى أيضًا لجماعات القاعدة والسلفيين التي كانت تتواجد في ساحة التغيير، والجبال والمعسكرات التي تحيط بالساحة، وينظر لها باحترام، أما طول الشعر المسيب/ المَسرح أو القصات المختلفة فكانوا ينظرون إليه بمجون أو لبس الجينز الضيق، كذلك ذوي السُماطات،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجنابي، والزنة، المئزر، وأحيانًا يلبسون السواتر ذات الألوان الصارخة، كما السواتر التي تتبع العمال. أحيانًا طلاب وطالبات المدارس الذين يجلبونهم إلى الساحات كانوا بلباسهم المدرسي. وكانت الجنبية هي الفرجة بجانب ورم وجناتهم المحشوة بالقات.

كما أسلفنا، حضرت الأكفان أيضًا في المسيرات وعلى المنصات من كل أصناف المعتصمين (ذكورًا وإناثًا وأطفالًا) خصوصًا حضور الأجساد بملبس الكفن ومكتوب عليه "مشروع شهيد، الشهيد القادم"، انظر فصل سيميولوجيا الصورة "مشروع شهيد- يوم الوداع".

وحضر العلم اليمني أيضًا، أحيانًا كان يستخدم عصابة للرأس، وشارات، أو كلباس كامل "زنة رجالية"، كان حضور فلكلور الأزياء الشعبية في بعض المسيرات، كمسيرة"عيد الوحدة"، فرجة مائزة.

أما فرجة الجسد، فقد اتخذت الأجساد في ساحة الاحتجاجات أشكالًا متعددة حملت العديد من العلامات والرموز، فقد ظهرت أولى صور الاحتجاجات لشباب تعز بالصدور العارية، وهي أجساد عزلاء مفتوحة في المسيرات لتواجه الرصاص والضرب، والنيران، والقنابل الحارقة، والغازات المسيلة للدموع، والترهيب اللفظي والمادي بكل أشكالهما.

لم تكن الأجساد العارية تخلو من الكتابات والرسومات، والرسائل، قُمعت الأجساد، والقمع الجسدي شغل يمني بامتياز،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهو يستند على ثقافة ذات منبع ديني واجتماعي، وأيديولوجي سياسي.

وظهرت أيضًا الأفواه المغلقة تنديدًا للقمع، وكتم الحريات، وتنديدًا بالصمت الدولي تجاه المجازر التي ارتكبت، أيضًا ظهرت أجساد بأيادٍ مغلولة إلى الخلف، تضامنًا مع المختطفين في سجون النظام. وكانت الساحات أيضًا لا تخلو من جرحى مبتوري الأطراف، ووجوه اقتلعت أعينها.

نخلص:

لقد وجدنا أنفسنا أمام صور عديد لتمثل الأجساد وحركاتها والملبس، صور الرسم وكتابة الشعارات عليها، وللحركات كالصلوات والرقص، والتمثيل، والرياضة، شكلت حشود مليونيات الأجساد مادة فرجوية ثرية، أجسادًا فورانية في المسيرات، والمعارك، سرعان ما تهمد في دائرة القات والملل.

لقد شكل فضاء الجسد والملبس علامة فرجوية لكل من المعتصمين الذكور والإناث، وحتى الزوار للساحة، وكان بمثابة هوية داخل ساحة التغيير، مستقى من الثقافة المجتمعية، فلا فرق بين ملبس الفضاء العام في الشارع، وساحة الاحتجاجات، إلا بزيادة الأكفان، والقبعات، والملابس المكتوبة عليها شعارات.

وقبل أن نختم سنورد رأي أحد المستطلعين على جزئية الجسد والملبس وسياسة العزل، " لم يكن العزل الذي حدث في الساحة هكذا، بل نظر إليه على أنه النهج الذي ستغدو عليه الساحة في المرحلة القادمة، وبالتالي الحلم بخلق دولة مدنية يتساوى فيها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النساء والرجال في المكان والعمل. كان مؤشرا أنّ هذه القوى ستسيطر وتعيق كل شيء...وبالفعل "انكسر الحلم" بما يطلق عليه الدولة المدنية، وهم يرون دولة طالبان كما كانوا يطلقون عليهم في الساحة".

"كُسر الحلم"، كما ختتمت أحد الآراء "خلاصة سيناريو فصل النساء".

الشباب الناشطون المدنيون

كان الشباب العمود الفقري للساحات في كافة مناشطها الاحتجاجية، وخصوصا في المسيرات، وفي توجيه الرأي العام. فقد كان الكثيرون منتمين إلى الأحزاب والطوائف التي كان التحشيد من مهامها الاستراتيجية في لعبة التوازنات لصالح الطرف الذي تريد نصرته أو إخفاقه" الولاء القبلي".

وقد نحت معظم الآراء التي تقاسمها الشباب مع النساء في اتجاه رسم صورة الشباب بالتالي: "الحلقة الأضعف"، "مصدر التضحيات"، "المحرّك الحقيقي للثورة"، "جرى الالتفاف عليهم واحتواؤهم من قبل الأحزاب، واللقاء المشترك، والقبيلة والمناطقية"، "أكثر المطالبين بالدولة المدنية الحديثة، أصدق مافي"2011، "أكثر المضحون في الثورة". "عصب الساحة، "رفعوا شعار الدولة المدنية"، "طاقة عفوية"، "الفاعلون في الثقافة والفنون"، وهناك بعض الطرافة حملها أحد الآراء "استفادت من دمائهم "عجائز الأحزاب".

كان الناشطون الحركيون المدنيون، إناثًا، وذكورًا أول من نادوا بالتغيير من قبل 2011، من خلال كتاباتهم ووقفاتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاحتجاجية، ويتفق الكثيرون من أن وجودهم في الاحتجاجات قبل 11 فبراير2011، اتسم بـ"حضورهم المميز/القوي"، "فاعلين"، "قادة وقاعدة الاحتجاج"، "ألهبوا الساحات وحشدوا الشعب"، "إيجابيين وصادقين"، "ينشدون الدولة المدنية".

يذهب أحد الآراء، "توزعت القوى الشبابية بين مختلف التيارات السياسية والحزبية والقبلية والمناطقية، ولم يتشكل كيان نقابي مستقل من غالبية الشباب يعكس احتياجاتهم وطموحاتهم وتطلعاتهم ولذلك تعددت الخيام والمسميات للمنتديات الشبابية وتنوعت أهدافهم وبرامجهم لدرجة التناقض وتحوّلت الساحة الثورية إلى ساحة صراع واتهامات متبادلة بين مختلف المكونات الشبابية. فهناك مثلا خيمة رقم(4) يشاع أنها تتبع "شبابًا" من النظام السابق يتجسسون على ساحة التغيير في العاصمة صنعاء، وهناك خيام تتبع شبابًا من حزب الإصلاح، وأخرى تتبع شباب من الحوثيين وبعضها شباب من اليساريين وقلّة من الخيام لشباب يدعون الاستقلالية وبعضهم يتبعون منظمات دولية تدعمهم. نتاجًا لذلك سادت الروح العدائية وانعدمت الثقة فيما بينهم. وقد حاول الشباب المستقلون -على قلتهم- أن يجدوا لهم خيامًا ومنتديات مستقلة بهم، ولكنهم واجهوا التنكيل والتضييق عليهم، ولم يتمكنوا من حشد القوى الشبابية من الجنسين نحو أهداف عامة مشتركة".

ويقول آخر، "لقد تحولوا إلى موظفين في الدكاكين الخارجية"؛ كناية عن العمالة والارتزاق للخارج، وهذه كانت صفة تطلقها الأحزاب الأيديولوجية، كحزب الإصلاح، على الفاعلين من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نشطاء ومؤسسي منظمات مجتمع مدني، كانت هذه التّهم تطلق جِزافًا على الذكور والإناث، وواصلت لصق التهم إبان العمل الاحتجاجي، فاستعر التخوين وإطلاق التهم بعشوائية بعد مجزرة الكرامة 2011، أي بعد سيطرة القوى التقليدية على مفاصل العمل الاحتجاجي.

القوى السياسية غير الإسلامية:

تهشّمت الأحزاب السياسية غير الإسلامية وتشظّت إلى مجاميع صغيرة، كـ"الحزب الناصري على سبيل المثال"، في عهد النظام السابق، وخصوصا بعد الوحدة 1990، ودخل الحزب الاشتراكي الحاكم شريكًا في السلطة، إلى أن صفيت كوادره تدريجيًا، وشنت عليه حرب الردة والانفصال 1994، ثم تشكلت من هذه الأحزاب صيغة " اللقاء المشترك"، ليستحوذ عليهم حزب الإصلاح ذو القوة المهيمنة على مفاصل الدولة، ومؤسساته كالجيش، والتعليم. وكان دخولهم الساحة تحت هذا الجناح " المشترك". فيما يلي سنرى بعض الآراء حول هذه الأحزاب غير الإسلامية*.

تنوعت الآراء، " حضورهم كان قويًا، لكنهم " يفتقدون لاستراتيجية واضحة المعالم"، " كانوا منفتحين، متحررين"، "مشتتين"، "لم يمتلكوا الدعم الكافي، بلا خطط"، "ضعفاء سهل احتواؤهم"، "اللقاء المشترك التهمه حزب الإصلاح"، و"شكّل المشترك عائقا".

* امتنع عن الإجابة العديد من المبحوثين، من منتمين وناشطين غير سياسيين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"مجرد أبواق" انضوت تحت اللقاء المشترك، ومن يقودهم حزب الإصلاح، هذا الرأي يتردد في كثير من آراء المبحوثين/ات، من مستقلين، وناشطين، وحزبيين.

في الاتجاه الآخر، يقول أحد الآراء، كانوا، "مجرد أبواق، لم يكونوا كالمؤتمر والإصلاح، فهما القوتان الوحيدتان في اليمن"، يعارضه أحدهم،:"جميع الأحزاب، خاصة المنخرطة في اللقاء المشترك من اليمين حتى اليسار، انخرطت كرافعة سياسية الثورة ودافع إلى استمرار الزخّم الشعبي في الساحات واللقاء المشترك بدا مبكرًا بالتهيئة للثورة وتوعية الشارع وتحريضه وتقدم برنامجًا وطنيًا واحدًا. لقد كانت هذه هي الفترة الذهبية للتجربة الحزبية اليمنية وعملت على إعادة الاعتبار للتجربة الحزبية المشحونة الأيديولوجية السلبية والطاردة لنجاح مشاريع التغيير، لكنهم نجحوا في حشد الشارع وانتخابات الرئاسة في 2006م والوصول إلى توحيد الثورة والوقوف وراء دعمها بشعارها الذي تحوّل إلى عامل قوة وطنية لم تتقدم الأعلام الحزبية ولا الشعارات، بل العلم الوطني وشعار الثورة حتى مع وجود تفاوت في القدرة على الحشد الذي تقدم فيه حزب الإصلاح لكن التفاصيل الحزبية كانت غائبة مع بقاء التناسق الثوري قائمًا بين الجميع وكانت كافة القوى تتحرك كثورة بعيدًا عن التصنيفات".

انضوت هذه الأحزاب تحت اللقاء المشترك، ويقودهم حزب الإصلاح، هذا مايطبع جل آراء المبحوثين/ات، من مختلف الرؤى. في الاتجاه الآخر، هنالك رأي،: "تشتت تلك الأحزاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليسارية، فمنهم من انضوى تحت عباءة الإصلاح ومنهم من تحالف مع الحوثيين ونسّق معهم. وقلة منهم انضموا إلى القوى المستقلة، وكان ما يسمى أحزاب اللقاء المشترك وهي تحالف يضّم كل القوى المعارضة في الساحة للحزب الحاكم من اشتراكيين وناصريين وبعث وحزب الحق الموالي للحوثيين وحزب الإصلاح، وكان اللقاء المشترك هو العائق الأكبر الذي أدى إلى سيطرة حزب الإصلاح عليه"، ولا يخرج عن السياق رأي يقول،: " ظهرت أو عبرّت عن التغيير بانفتاح أصبح يؤخذ عليها لاحقًا، ولم تكن خاسرة سياسيًا حتى بميكروفون الساحة إلا قليلًا ثم اختفت ومنها من دجّنه الإصلاح ليظهر دعمه للآخر".

أحد الآراء، صنف حزب التجمع الوحدوي بأنه هو"الحزب الذي كان خارج اللعبة".

وبناء على ما سبق، رأينا أن الفاعل الاحتجاجي، صُنف إلى التالي: ما بين فاعل حاسم، وهم الجماعات الإسلاموية، ذات الرافعة القبائلية والعسكرية، والمنظومة الدينية، وتمثل بحزب الإصلاح". وما بين فاعل لكنه غير حاسم، بل يخدم الطرف الأول الفاعل، من حيث يدري ولا يدري، مثل الشباب من قوى اليسار، ومن غير المنتمين مثل الناشطين والقوى المدنية، والنساء.

لقد كان الإجماع، على أن الشباب والنساء والقوى المدنية، هم الوجه الأجمل في الساحة لكن استخدموا رقما/حشدا، والبعض الآخر كان غير فاعل، ومنهم من أصيب بالإحباط نظرا إلى تغول الجماعة المهيمنة على كل مفاصل الساحات والعمل الاحتجاجي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهنا لاحظنا مشاعر الإحباط لدى المشاركين في الساحات، سواء كانوا من المنضوين في أحزاب أو غير منتمين حزبيا، مثلا، تقول إحدى الفاعلات في الساحة والعمل الاحتجاجي وممن تعرضن للاعتداء الجسدي، والتكفيري: "كان حضورهم قويًا لكن بسبب انعدام الدعم المالي والإعلامي، إضافة إلى التشويه المتعمد الذي تعرضّوا له والاعتداءات من قبل شركاء الثورة جعل أصواتهم غير مسموعة وخافتة، ومنهم من أحبط وفَقَدَ الأمل ورأى أن البديل لصالح سيكون شريكه السابق الإصلاح". تصف بألم إحدى الفاعلات في الساحة والعمل الاحتجاجي ما كان يمور بالعمل الاحتجاجي، لقد " أثر فيني"، "انكسر الحلم".

المشهد الاحتجاجي أكثر من مسار وأعنف من سلمية

مرت احتجاجات الربيع اليمني بتحولات مختلفة، من السلمية إلى العسكرة، لتندرج في نسيج المعيش وعسكرة الحياة الاجتماعية في اليمن، وخصوصًا ذات البنى القبلية، والتي اشتدت بشكل خطير فاجع بعد 2011، حيث تعسكر التعليم والجامعات. وكما أشرنا سلفًا نحت الاحتجاجات إلى منحى العسكرة بعد مجزرة جمعة الكرامة 18مارس 2011، ودخول "الفرقة الأولى مدرع/ حماة الثورة إلى الساحة". ومن هنا نستطيع القول، إنّ احتجاجات 2011 ترحلت نحو مسارين، بداية الشرارة الأولى لـ"لثورة"، وإعلان بيانها الأول من تعز 15 يناير2011، ثم بعد 18مارس2011، حين تحولت من السلمية، إلى العسكرة والارتهان لـ"حُماة الثورة".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تدخّل الفاعل الديني الدعوي في الثورة، وقد سحب التثوير الديني والمذهبي وتلغيم المجال الديني المجتمع في أتونه، وجعل إنسانه أسير التمظهرات الدينية بمذهبياتها التناحرية، وهذا ما كان يظهر في ساحات الاحتجاج، وإن توشى في الظاهر بملمس التعايش، لكنه يحتدم في أعماقه.

فالإسلاميون " ليسوا مجرد فقراء أهملتهم التنمية وليسوا كذلك أغنياء أسكرتهم أموال النفط المبددة، ولا فتنة نتاج تكاثر سكاني غير منضبط، ولا "برجوازيين أنقياء ولا " مثقفين"، ولا مجرد "مدنيين" أو "عسكريين"، أو "رجال دين ذكوريين"، أو نساء "مسحوقات "، إنهم كل هذا معا، ضمن تنوع مشابه لتنوع فاعلي تعبئات أخرى ولدت كرد فعل على شكل أو آخر من أشكال السيطرة"(1)

لقد كانت الساحة مدينة داخل مدينة، لسانها المنصة، وسواء كان مصطلح الربيع العربي آتيًا من المخيال العربي أم أنه مستوحى من ربيع الدول الأوربية كربيع براغ 1968، وربيع أوروبا الشرقية في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي ضد الهيمنة السوفيتية، لكن الربيع تيمنن، وبالفعل بدأ بمجاميع شبابية صغيرة، وبأعمال عفوية تحاكي وتستلهم من ربيع تونس ومصر، وسرعان ما دخلت في طور التنظيم أو الإلحاق في كنتونات/ مجاميع حزبية تفرخت عنها مئات المنسقيات، وكانت لها تنظيمها وبرنامجها وأدواتها القوية – وإن كانت المنسقيات تختلف مسمياتها الشكلانية- لكنها تتشابه في

(1) بورغا، فرانسوا، "الإسلام السياسي في زمن القاعدة"، ترجمة سحر سعيد – ط1، 2006، ص36.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مكونها ووظيفتها، إن لم تكن كلها واحدة، فهي جماعويات تتبع الحزب المهيمن على ساحة التغيير بصنعاء أو الساحات الاحتجاجية في اليمن "الإخوان المسلمين" حزب التجمع اليمني للإصلاح. المُشكل أن السيناريو الذي حدث للربيع العربي في العديد من البلدان العربية، انسحب إلى اليمن، وهو، "في اليمن مثلها مثل بقية الدول التي حدثت فيها الاحتجاجات، انقض الإسلاميون على جمرة الاحتجاجات في صورة صراع شرس على السلطة، كونهم القوة التي تعد أكثر تنظيما، وهم أيضا جزء لا يتجزأ من السلطة والجيش، فالفرقة بألويتها تساندها القبيلة، وذراعها الحامي"[1]

نأتي في هذا السياق على ما حملته آراء المقابلات، عن مآلات الحلم(ثورة/ احتجاج/انتفاضة)، والانكسار، أي لماذا لم يتواصل ويتحقق حلم من خرجوا لإسقاط النظام؟ سؤال يحمل في طياته أكثر من وقفة، ونعتقد أن إجاباته، لم تتحدد حتى اليوم في لجة الفوضى، والحرب، وعن انسجام سؤال الاحتجاجات مشهدياته، ولماذا لم تنسجم مخلفة كل هذه الحروب، والتشظيات في البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، لم تخرج إجابات المبحوثين/ت عن سردية "الماقبل/ البدايات" و"في الأثناء/ الما بعد" أو في النهاية (اللاكن/ اللاواكن)، فمنهم من يقول، إن مشاهد الاحتجاجات منسجمة مع بعضها البعض، ربطوها في

(1) RashidK,Tahiraa/ Farhatullah " ،Yemen Crisis since 2011،"page 5 ،Jopic of Assignment ،Section A 2 ،Gcu Lahore.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مبتدأ الحدث،" كانت منسجمة في البداية"، "في الأيام الأولى"، بعضهم، خصوصًا من: اللامنتمين، والناشطين، يفسرون لماذا كانت منسجمة في بداياتها الأولى، "لأن الهدف الأول معروف إسقاط النظام"و"كانت منسجمة جدًا لأنها تتوافق مع أحلام الشباب الذين خرجوا صادقين لا يريدون إلا وجه الوطن".

أحد الآراء،:" نعم منسجمة، لأن هذه المشاهد هي حقيقة الشعب اليمني، والمفترض أن يكون بعيدًا عن الضعف أو التفرق وراء عناوين جهوية أو حزبية، فالعصبيات تكون مدخلا لضعف الشعب، قوة الشارع كانت على هذا النحو من الوعي. بهذه المظاهر التي تمثل الحلم العام المتصلة في رفض الحكم بالغصب. ومطلب دولة ذات حكم رشيد ووسيلة التبادل السلمي للسلطة وبمعايير عامة يصنعها الشعب على قاعدة المساواة، وهو أمر تجلى في الحوار الوطني ومخرجاته بصورة مكثفة، الأمر الذي ساهم في تحرك القوى المضادة والثورة المضادة لمنع مسار هذا القطار الشعبي بما تملك من وسائل وإمكانيات هائلة للإعاقة والتدمير تحت عنوان الثورة المضادة هي تملك إمكانية الإيقاف، على حين تملك الثورة في جوهرها الاستمرار في التدفق وبصور شتى والمسألة مسألة وقت، و سينتصر في النهاية الشعب و قيم الثورة". أحد الآراء، أنها "منسجمة جدا، كونها جسدت الفكرة المركزية للثورة وهي السلمية".

ثمة آراء وهي كثيرة تقول، إن المشاهد لم تنسجم، وهو ما أدى إلى التشظي العنيف في دار السلمية التي خرج المحتجون يرفعون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعارها، كانت إجابات بعض المبحوثين غير المنتمين من ناشطين وغيرهم، كالتالي:

- "غير منسجمة نتج عنه صراعات وتشتت القوى الثوري".
- "بسبب دخول الأحزاب والفرقة الأولى مدرع، والقوى الدينية والالتفاف على أحلام الشباب".
- "بسبب الاختلافات والمصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمذهبية، ولكن جمعتها المصالح سلطة (بقاء النظام) أو معارضة(سقوط النظام ولو أدى إلى سقوط الدولة).
- "لم تكن منسجمة كما البداية عندما كانت الصورة مدنية، قبل "استدعاء المحكمين والمحللين الشرعيين".
- "قوى فاسدة دخلت ضمن إطار الثورة"

رغم أن الإجابات حملت الثنائيات قبل وبعد، إلا أنها صورت المشهد بتكرارية" ودخول الأحزاب، وخصوصًا الأحزاب الإسلامية، و"سيطرة القوى الدينية"، وتكررت عند معظم، الآراء باختلاف انتماءاتهم، على سبيل المثال، أحد الآراء يقول،: " على الإطلاق، لم تكن منسجمة، لكن الجو الثوري جعل الكل يتناسون التناقضات الجوهرية، تباين المشاريع بدرجة أساسية، اليمين واليسار والليبراليون، كل لديه مشروعه المغاير تماما، ومخططات الإسلاميين الخاصة، وغير المعلنة للالتفاف على الجميع "، رأي آخر يقول، "لا يوجد أي انسجام يُذكر، لأن كل طرف أراد السيطرة وحاول إقصاء الآخرين على الساحة"، ويضيف رأي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آخر: "لا، لم ينسجم، ما وصلت إليها الساحة في النهاية من انعزال وسيطرة للقوى الدينية، مع ما بدأت في الساحة من بدايات من أنشطة ابتدعها الشباب بما كان يحلم بدولة مدنية معهم، وكانت هذا لا ينسجم مع ذاك...لأنها بدأت بمطالبات مدنية ديمقراطية، وكانت تبدو الساحة في كل فعالية فيها تجسّد هذه المطالب من الاختلاط، من عدم سيطرة اللون الواحد عليها، وانتهت بسيطرة القوى الدينية وتغّولت، وأصبح للساحة سجن، وبالتالي من يخالف هذه القوى المسيطرة ممكن أن يذهب به إلى التحقيق وإلى السجن تابع للفرقة أولى مدرع، التي أنضمت إلى الساحة وبدأت الساحة بممارسات ديكتاتورية وممارسات غير ديمقراطية من داخلها وهذا نتيجة سيطرة القوى الدينية على فعاليات الساحة وعلى توجيه حتى ما يسمح وما لا يسمح داخل الساحة، فكان مالا يسمح من وجهة نظرهم يتم احتجاز الأشخاص وأخذهم إلى التحقيق وقد تم سجنهم أيضًا، وهذا لا ينسجم بالمطلق مع ما بدأته الساحة"

رأي آخر، " لا، لم تكن منسجمة، ربما في البداية، بعدها أخذت منحنى آخر وأصبحت المشاهد لا تنسجم مع الثورة وقيمها، أصبحت ترى القادة من العسكر والشيخ ورجل الدين على منصة الساحة، حتى دبت الانقسامات والشللية والغياب التدريجي للصورة المدنية التي كنا نراها في البداية دون إي حكام أو محكمين أو محللين شرعيين وغيره".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرى آخر، " أن انسجامها أو عدم انسجامها، يرجع إلى الطابع الاجتماعي للحدث فالانسجام الكامل أمر صعب، فحتى في إطار المشهد الواحد يمكن أن نجد عناصر عدم انسجام كأن نجد مثلا بعض من الشباب يتقبلون القيام بدور عميل النظام وهم بلباس ثائر، لكن هذا لا يعني أن الغالبية الساحقة من الشباب كانت كارهة حقًا للنظام، لكن حالة انسجام خاصة يمكن تأكيد وجودها في هذا الثلاثي الشباب والنساء والناشطين المدنيين لقد ظهر الانسجام بينهم خلال مختلف مراحل الانتفاضة وكان واضحًا أيضًا طوال مرحلة الحوار الوطني الشامل".

يقول أحد الآراء، " كانت منسجمة، لكن حينما دفع النظام بالأحزاب إلى تمثيل شباب الثورة والساحات بدأت التباينات"، ويورد آخر من غير المنتمين سببًا آخر، " ليست كلها مشاهد منسجمة، لاختلاف مكوناتها وتنوعها وضعف الثقافة الديمقراطية".

نخلص:

رغم أن الآراء حملت الثنائيات قبل وبعد، إلا أنها صورت المشهد بتكرارية، كـ" دخول الأحزاب، وخصوصا الأحزاب الإسلامية، و"سيطرة القوى الدينية"، وتكررت عند معظم، الآراء باختلاف انتماءاتهم.

كان الإقصاء علامة مميزة للجماعات القابضة على مفاصل العمل الاحتجاجي، وبدورها خرجت الكنتونات الصراعية حتى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك التي كانت صامتة كـ"الحوثيين" وغيرهم، حيث تشير إلى ما استدعاه رولان بارت عن المصارعة والمصارعين، إذ يقول:" هم أناس متمرسون، يعرفون تماما كيف يحولون الجولات العفوية للصراع إلى الصورة التي يكونها الجمهور عن الموضوعات الغرائبية في أسطورته... في المصارعة لا يمكن أن تعثر إلا على الشمولية، حيث يغيب الرمز والإيحاء وكل شيء يقدم إليك كاملًا شاملًا"[1].

(1) مرجع سابق، أسطوريات، رولان، بارت، ص25.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

المشهد البصري الفُرْجَوّي للاحتجاجات في اليمن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

تقول إيريت روجوف: " عندما كنت أتدربّ في ميدان التأريخ للفن كان يتم توجيهنا لضرورة أن نبدأ من الصورة، وكان الافتراض الكامن وراء ذلك هو أنه كلما بذلنا مجهودا أكبر في الرؤية، تكشّف لنا قدر أكبر من المعلومات والخبرات، أي النظر اللغوي الحاد، الدقيق المفعم بالمعلومات التاريخية، سوف يكشف عن ثروة من المعاني الخفية.لقد أنتج هذا الاعتقاد نوعًا من التشكيل التشريحي الجديد يسمى بالعين الماهرة The good eye" " أما بعد ذلك، وعندما كنت أقوم بالتدريس في أقسام تاريخ الفن، وعندما كنت أود أن أتذمر مما أشاهده من وجود بعض الطلاب الذين يعانون من الافتقار لحب الاستطلاع أو الفضول المعرفي، وذلك فيما يتعلق بإدراكهم بالغ الحرفية لمجال دراستهم، أو فيما يتعلق بفهمهم الضيق أو المحدود للثقافة بوصفها سلسلة من الموضوعات المشعة أو المضيئة عندما كان يحدث ذلك، فإن شخصا آخر داخل الكلية كان يرد على تذمري – هذا من أقوال هؤلاء الطلاب – بقوله " "آه، ولكنهم يمتلكون عينًا ماهرة"(1)

بهذا الاستهلال ارتأيت أن أدلف – بمغامرة- نحو العالم البصري في اليمن، أي الصورة والمخيال عند اليمنيين، خصوصا المحتجين في ساحة التغيير إبان أحداث الربيع العربي، حيث

(1) روجوف، إيريت، " دراسة في الثقافة البصرية"، ترجمة شاكر عبد الحميد، ص168.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكلّت الصورة أداة اتصالية محلية وعابرة للقارات عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة وأولها الفيسبوك. وصور فوتوغرافية، وفيديوهات، وكاريكاتور، استطاع المواطن البسيط في اليمن، وفي أقاصي الريف اليمني حيث انعدام الكهرباء، وسبل الحياة الخدمية أن يطّلع عليها، بل ويكوّن له رأي خاص بما يحدث من خلال: الصورة.

"إنهم يمتلكون عينا ماهرة"، كما قالت إيريت روجوف، رغم أن اليمنيين أمة شفاهية، ونسبة الأمية فيها مرتفعة جدًا. إذن، فماذا تعني الصورة وتشكلها في المجتمع الفرجوي، وخصوصًا فرجة الساحة كمجتمع مصغر من المجتمع الكبير؟

وهل تغيرت الصورة النمطية في الذهنية اليمنية -خصوصًا عندما تلتقط للنساء في الفضاء العام- بوصفها: "مدنس/ صنم/ توثن، وتمثلهم الحديث المشهور للرسول "ص"، "لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة".

كان المحتجون يدركون معنى الصورة، وكنت ترى آلاف التليفونات تقرع الصور في مشهدية وكأنها لقطة سينمائية، لاسيما في المساء، حيث الظلام "انقطاع الكهرباء"، وتقرع الأضواء فرجة سينمائية، إذ تغدو الصورة سلطة، وسلطتها من سلطة الساحة، وقد تفنّن بعض المصورين في أخذ الصور، بمضمون بل وبجمالية فنية، مثل تلك الصورة للمحتجين وهم يربطون أيديهم في علامة الالتحام/ وحدة الصف. أو صورهم وهم يرقصون، بعض المصورين كانوا محترفين، إذ اشتغلوا على تقنيات الكاميرات الحديثة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونعود قليلًا إلى الثقافة اليمنية/ الإسلامية، حيث ترتبط الصورة في الذهنية اليمنية، بتركيبة تراوح بين الفقه والإيديولوجيا، والمنع والتجريم والعيب، أي كحالة عربية- إسلامية، إن لم تكن في اليمن أكثر منعًا وتحريمًا، بالاتكاء على موروث ثقافي إجتماعي صارمين، فالعادات والتقاليد "العيب"، لكن مع الفعل الاحتجاجي- والأمر مثير للاستغراب والعجيب مثل الكثير من الفجئة التي اكتنفت الحدث- إذ تراجع منسوب المنع والعيب والتجريم (الأخلاقي/ والديني) فطارت الصورة (فوتوغراف، وفيديو، وو..) عبر الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة، ونحتت مقولات استعراضية في الداخل وروّجت للخارج مثل: "الثورة التي أدهشت العالم "، "ثائرات اليمن أدهشن العالم" حتى وإن كان معظمهن بلا صورة، حيث وإن الغالبية الساحقة منهن مجلببات/ منتقبات لا ترى منهن سوى أعينهن، ومع ذلك كنّ يتدافعن ليتصورن في كل مشاهد الاحتجاج وغيرها من الفعاليات.

1- القنوات الفضائية:

يعتبر الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، إحدى الأدوات المهمة والخطيرة، للترويج للربيع العربي، واليمني خاصة، ونشره في العالم. وانبرت عدة جهات إعلامية كبرى عربية ومحلية لترعى الحدث المفصلي للعالم العربي واليمني، إذ يعد هذا الربيع مفصليًا في تاريخ اليمن المعاصر.

فمثلت فضائيات كقناة "سهيل"، و"يمن شباب"، و"قناة الجزيرة" خلفهما القنوات الراعية الحاضنة الأكبر وكانت من أهم القنوات الإعلامية التي نقلت أحداث الاحتجاجات أولا بأول،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجندت لها أهم الخبراء في هذا المجال، من مفكرين، وسياسيين، وإعلاميين... إلخ.

تأسست قناة "سهيل" في صنعاء 2009، وبدأت البث في 10يناير 2010، وهي مملوكة للشيخ حميد الأحمر، شعارها " حب الوطن يجمعنا"، وفي هذه الأثناء وهذا السياق ظهر موقع " الإصلاح نت" وهو يتبع حب التجمع اليمني للإصلاح" الإخوان المسلمين" ويقول المقال بعنوان "إعلام" الإصلاح والمشروع الوطني ورد فيه: "من منطلق الشعور بالمسؤولية رأى "الإصلاح" أن الإعلام شريك مهم وأساسي في المشروع الوطني سواء التقليدي منه أو الجديد، فكانت فكرة إنشاء قناة" سهيل الفضائية والتي انطلقت قبل الربيع العربي بفترة وجيزة، وقبل ذلك كانت " سهيل" قد حركت المياه الراكدة في الاعلام المرئي ذي الاتجاه الواحد لتحقق في فترة قصيرة نسبة مشاهدة فاقت المتوقع، وتبنيها المشروع الوطني وتوعية المواطن بحقوقه وتثقيفه، متبنية كل الاراء وبما لا يتعارض مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع اليمني الأصيل" [1]

بعدها افتتحت قناة خاصة ذات صبغة إسلاموية " قناة يمن شباب " لترفد " قناة سهيل" وتضاعف لسان حال الربيع اليمني، وتنقل ما يعتمل في ساحاته، خصوصًا خطاب المنصة، والقوى المهيمنة التي انضمت إلى الساحة كالفرقة الأولى مدرع، ومشايخ القبائل، وفقهاء اليمن..إلخ.

---

(1) زبارة، محمد، 2017 "من ورقة الإعلام الديمقراطي في اليمن – دور الفضائيات في ربيع اليمن " ص، 178، "الإصلاح نت" من كتاب الاعلام والانتقال الديمقراطي في العالم العربي – بداية نهاية الاستثناء العربي – تحرير وتنسيق، جمال زرن – و نور الدين الميلادي منشورات سو تيميدا الشبكة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، تونس، جانفي 2019.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بدأت شعارات المحتجين في الساحة منذ أول يوم احتجاج تتضمن المطالبة برعاية " الثورة" والثوار"، و "لولا قناة سهيل، قناة الأحرار لما نجحت الثورة"، "الجزيرة باقية رغم أنف الطاغية"، "صورينا يا قناة الجزيرة" وانقلي أخبارنا، قتلونا بالسموم والذخيرة، وارتوت من دمنا أرضنا".

ذلك الضخ البصري المشهدي للداخل وقنوات العالم الخارجي كان كافيًا بأن يجعل ساحات التغيير منذ بداية الاعتصامات تعج ببعض المصورين الغربيين، قبل أن تتحول الاحتجاجات إلى حروب.

الدلالات التي حملتها صور ساحات الاحتجاج، كانت الصورة والفرجة العجائبية زادها اليومي، وزاد الحنين إليها بعد تعطيل ساحات التغيير، ورفعها مع الانتقال إلى العملية السياسية.

"بدأت الكاميرات بنسخ العالم في تلك اللحظة التي أخذ فيه المشهد البشري يتخط بدرجة مذهلة نحو التغيير، بينما عدد لا يحصى من أشكال الحياة البيولوجية الاجتماعية عرضة للتدمير في فترة وجيزة من الزمن، فإن هناك وسيلة في متناول اليد ليسجل ما يختفي "[1]

كانت صور المشاهد المريعة للجثث، هي الأكثر انتشارًا في وسائل التواصل الإعلامي، والتجمعات الأخرى، وبهذه الصورة استقينا بعض الآراء والتي تركزت معظمها، على أن الصور التي شاهدوها في الساحات ووسائل الإعلام، كانت صور الشهداء، والجرحى، والمسيرات، والمسيرات المليونية، والهتافات، والنساء،

(1) المرجع نفسه، ص24.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشباب: " كوكتيل من المختلفات"، "سردا تاريخيا"، "تخدير الرأي العام"، " أنها روح التضامن" ولا ينسى البعض من أن الآلة الإعلامية كانت مسيسة: "لكن كان الإعلام والفضائيات معظمها مسيسة"، " استخدمت كل وسيلة إعلامية الصورة بالطريقة التي تخدم سياستها وتوجهها(إثارة الناس، وخطاب الكراهية) لكنها كانت صورة لعظمة الثورة وشبابها".

وأفاد أحدهم قائلًا: "لم أكن أشاهد التليفزيون كثيرًا، ولا أقرأ الجرائد باستمرار وكانت الساحة والمسيرات شاشة حية بالنسبة إليّ، رغم ان صفحات الجرائد كانت ممتلئة بالجثث والدماء. وكذلك شاشات التلفزيون إلا أننا لم نرَ قصة واحدة أو صورة أنتجت رأيًا عامًا، فقد كان الإعلام يلعب دوره في تشتيت الرأي العام وتخديره".

لقد اكتسبت الصورة، والصورة التليفزيونية، قيمة كبيرة لدى المحتجين ولدى الناس عموما في الداخل والخارج، بما فيها الإعلام الخارجي، والقنوات الفضائية العالمية، فكانت تحتل الأخبار الأولى، وحملت الجانب الإيجابي والسلبي مما يدور في الساحة،: " كونت صورة إيجابية عن الحراك وأخفت الكثير من الأخطاء، وأهمها تحكم الفرقة الأولى مدرع، والأحزاب الدينية، فالصورة كانت ناقلا مهما عن الحراك والغضب والحلم بالتغيير والتنوع، وتواجد النساء، لكنها بطبيعة الحال أحجمت عن نقل السلبيات والأخطاء... لقد أظهرت الجانب الصراعي لفعل الاحتجاج، وكذلك الجانب المشرق، كالسلمية، وكذلك الجانب الثقافي"، "نقلت الصّورة جليًا تجاذبات أطراف الصراع، والنزوع السلمي لغالبية المنتفضين وإصرارهم على اعتماد ذلك النهج رغم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التضحيات التي قُدِّمت وظلوا يتوقعونها...كما فضحت حقيقة توجهات المناصرين الطارئين للانتفاضة (الفرقة الأولى مدرع) وحزب الإصلاح بالذات وسلوكياتهم، والذين حاولوا عبثًا إخفاء نواياهم الحقيقية من مناصرة الانتفاضة و طموحهم في تجييرها لصالح السير نحو مشروع دولة الخلافة، وتشير أيضًا إلى أساليب القمع الهمجي التي مارستها السلطات لإخماد الانتفاضة ولجوء النظام إلى شتى أساليب الدجل والكذب لتشويهها... وعكست المسار العفوي للانتفاضة". ويضيف أحد الآراء، " تمثل إرادة واحدة ومشروع دولة حضارية يبنيها الجميع".

وبطريقة تراجيدية، لا تخلو من سخرية، قال آخر: " ذوبان الخلافات في هدف واحد، كمثل مجموعة أفراد أو مواطنين يعيشون في حي وكل واحد مختلف مع جاره، وكل واحد مختلف حتى مع عائلته لأسباب منها مادية أو معنوية. حرق المبنى الذي يسكنونه/ فتناسوا خلافاتهم وهب الجميع لإطفاء الحريق فالمبنى يهم الجميع- مثله مثل مبنى البلدية – تناسوا. تمكنوا من إطفاء الحريق. لكن المبنى بسبب قِدَمِه تهدّم فوق رؤوس البعض. ومازالوا في خلاف حتى الآن حول من يبنيه ومن يديره بعد البناء. والكثير منهم في الشارع بلا مأوى".

2- الكاريكاتور والجرافيتي، والكتابات

كان للرسوم التشكيلية والكاريكاتورية، والجرافيتي Griffite، والكتابات من شعارات وغيرها وسائل التعبير، الأثر الكبير في تهييج الجماهير، ونقل صورة الفعل الممارسي ثقافيًا وسياسيًا، إلى الداخل والخارج، بصورة مغايرة للصورة النمطية عن اليمن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واليمنيين، من أن الثقافي والفني غير موجود في الحياة والمعيش اليومي، وجسدت أشكال التعبير تلك المعاناة الشعبية، وحلمها في التغيير، وكانت بعضها، من أجل إيصال رسائل للعالم من خلال قنواته ومنظماته المختلفة بما فيها الأمم المتحدة، ومنظمات حقوقية عالمية دولية معروفة، لاسيما صور ضحايا المحتجين في ساحات الاحتجاج. و كان جرافيتي "المخفيين قسرا "* من أهم الفعاليات داخل العاصمة صنعاء، وغيرها من المدن، وقد حملت آراء هذا العمل النوعي، بحيث جعلت الناس يتساءلون عن عدد المفقودين، الذين كانوا مغيبين عن ذاكرة الشعب اليمني، بل والعالم، خصوصا المنظمات المهتمة بحقوق الإنسان، ويؤكد أحد الآراء:" كان للصورة دورها الكبير في قلقلة مضجع الحاكم، وربما كسر حواجز الخوف...أما الشعارات المكتوبة فكانت متباينة بين شعارات تدعو للتغيير، وشعارات تلعن الفساد والمنظومة القائمة والحاكم، وشعارات أخرى ذات طابع يميني متطرف خاصة بالجماعات المتطرفة...لكن كان له دور في كسر التابوهات السياسية".

* المخفيون قسرًا، هم ضحايا الصراع السياسي للأنظمة الحاكمة السابقة في اليمن" الرئيس الغشمي(1977 1978)، لكن تُحدد الفترة بشكلها التراجيدي إلى نظام علي عبدالله صالح(1978 2011) عبر جهاز الأمن الوطني الذي اقتادوا شبابًا يقدر عددهم بالمئات كما تقول التقارير الحقوقية، وغيبوا في السجون، ولم يظهروا أو تظهر جثامينهم. كانت حملة(الجرافيتي) بعنوان "الجدران تتذكر وجوههم"، للفنان الشاب مراد سبيع 2012، الأثر الكبير في إعادة التذكير بهم، بعد نسيانهم، وقبلها كانت صحيفة النداء قد فتحت ملفاتهم(2007). فضلًا، (عن أننا ستتناول الجرافيتي من خلال تحليل الصورة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورغم أن الإجابات عن أسئلة الممارسات الثقافية والإعلامية حملت تلك الثنائية- التي ذكرناها سلفا" قبل"، "بعد"- وتعد جزءًا لا يتجزأ من العمل الاحتجاجي برمته فقد كانت مشاهد التضادات والتناقضات تطبع المجال الاحتجاجي في كل الساحات اليمنية، على سبيل المثال تمثلت بعض الكتابات الثقافية والفنون الشعارات الأولى للاحتجاج، بـ"ارحل" والشعب يريد إسقاط النظام، ومطلب التغيير والدولة المدنية، والمواطنة... مع العسكرة ودخول القوى التقليدية التي هي في الأصل لحمة النظام ليظهر بعد ذلك التطييف والصراعات الجهوية المناطقية والمذهبية، وهويات العرق واللون والجنس، والمعتقد، والمهنة، فمن خلال الملاحظة بالمشاركة، ترى داخل الخيمة والخيمة المجاورة منهم من ينادي بالدولة المدنية، والآخر بالخلافة الإسلامية، فريق مع " الشعب يريد إسقاط النظام"، وفريق يريد إسقاط صالح"، فريق "المرأة تدنس الثورة والله لن ينصرنا والنساء بيننا" وفريق ضده وينادى بإشراك النساء، فريق يمجد السلالية وعرق آل محمد(أنصار الله – الحوثي) كأنقى الأجناس، ويجاورهم من ينادون بتحقيق حلم الدولة المدنية" الحديثة"، دولة المواطنة، فريق ينادي بتغيير منظومة التعليم البائدة، بتعليم حديث، وفريق ومن على المنصة ينادي، بـ" لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس"، فريق مع الثقافة والفنون، وآخر يجرم الفن والحياة... من هذه الثنائيات -التي هي في الأصل من سمات المجتمع اليمني- بكل مكونات الساحات والعمل الاحتجاجي، وسير بعض الآراء، إلى ذلك، بـ: "كانت اللافتات تعكس صراع قوى الثورة، فهناك خيم ترفع شعارات مطلب الدولة المدنية، وفي خيم أخرى شعارات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تطالب بالشريعة الإسلامية، شعارات ترفع مع صور الشخصيات وطنية، وأخرى ترفع لشخصيات ممن ساهمت في تدمير اليمن، الشعارات عكست أزمة الأحزاب والقوى".

ويقول آخر، "تتحد مفاهيم العبارات التي تحملها لافتات ساحات التغيير والحرية صوب التغيير، والتي تأخذ المنحى الديني حينا وسيلة ومناحي أخرى كذلك، لكنها لا تختلف في أسلوب عرض رسالتها ما بين التوجيه والإرشاد والشكوى وبين التظلم بشأن غياب المساواة في حقوق المواطنة... في البداية مطالب تغيرية، وبعدها دخلت في طور الكراهية..."كانت تشير وتُلمح "إلى لفظ الدولة الحديثة من مكان بعيد" وتتركه بعد ذلك بدون تعقب، وبالتالي بدون تفكيك معرفي حقيقي، وهي نتيجة تدفعنا إلى الإقرار بأن مجتمع الساحات لديه ثوار تسكنهم روح المقاومة الثورية والرغبة في التضحية والاستشهاد، ولديه قوى وتنظيمات وتكوينات متطلعة لنيل الحصول على مواقع، وليس لديه مثقفون يميلون إلى إدخال حيثيات مشروع بناء الدولة الحديثة على مجال الوعي والممارسة العملية واحدة من القضايا الإستراتيجية المهمة".

لقد كان غياب الجانب الثقافي لصالح السياسي والأيديولوجي، هو العلامة ليس فقط على مستوى الاحتجاجات، بل علامة تطبع المجتمع اليمني، خصوصا بعد تغوّل جماعات الإسلام السياسي والفساد على مفاصل التعليم، وضرب العقل، والتخبط في مفهوم الدولة، لأن الشعب اليمني لم يعايش معنى الدولة ولو حتى في صورتها الأولى، رغم الثورات في منتصف القرن العشرين، لكن ظلت تعيد إنتاج القبيلة بتمظهرات مختلفة، وهذا ما كان باديًا بين الشباب في ساحات الاحتجاجات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

3- الشعارات*

لاشك أن الشعار Sloganأحد أهم أشكال التعبير والوسيلة الاتصالية الهامة والخطيرة معًا التي تحمل دلالات مهمة في العمل الاحتجاجي، حيث تقترن بالفضاء العام المصبوغ بالشعارات الهادرة الغاضبة، سماعًا وكتابة وحركة من خلال تلحين الشعارات وتحويلها إلى رقصات البرع الشهيرة امتدت إلى مابعد حدود المكان والزمان، وبمعنى كنت تجد شعارات الاحتجاج ممهورة في شوارع السلطة الحاكمة، خصوصًا " الشعب يريد إسقاط النظام"، وفي الشوارع والأزقة والجدران، وحتى على الإسفلت، والمدارس والجامعات، وعلى الجبال، ووصل إلى الأرياف القصية. وكان هناك شعراء وفنانون ابتدعوا وبرعوا في فن الشعارات، لتصبح قصائد وأناشيد، وزوامل.

عُدت الشعارات: فرجة ثورية، ومن أهم منابع التثوير والتحشيد والاصطفافات، وقد لعبت الفنون في هذه الشعارات، كالخط العربي والإنجليزي، والألوان، والكاريكاتور، والصورة الفوتوغرافية، والفيديو، دورها المؤثر في تهييج الجماهير.

وتميزت فرجة الشعارات مابين العميق والسهل الممتنع، الإضحاك بما فيها من روح النكتة، وكان لكل حدث شعاراته الجديدة، بما فيها أسماء الجمع التي تنحت لها شعاراتها من العناوين التي تحملها من دلالات، مع الإبقاء على الشعارات التعبيرية من السمة البارزة للاحتجاج ك" الشعب يريد إسقاط النظام،

---

* سجلت الباحثة الكثير من الشعارات، والزوامل، كتابة وتسجيلًا وتصويرًا، أوردتها في ثنايا الكتاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وارحل"، و"ثورتنا ثورة سلمية"، وكلها تنم عن الممارسات الثقافية للشعب اليمني. والنكهة اليمنية الخاصة، وبعضها تيمنن بعد استلهام استلهام روح الشعارات من مصر أو سوريا أو ليبيا والبحرين..

لقد أظهرت الشعارات توجهات كل جماعة وحزب وتكتل، مع الإبقاء أيضا على الشعارات الأولى " ارحل، والشعب يريد إسقاط النظام" - اعتمدت الباحثة على تسجيل الكثير من الشعارات وتصويرها من موقع الحدث- ساحات التغيير- من قبل 11 فبراير، على سبيل المثال مسيرة 3 فبراير 2011، في شارع الجامعة.

كانت الشعارات تمزج مابين الجملة الدينية(وهذه لها الغلبة) بحكم السلطة المهيمنة على الاحتجاج والساحة والمجتمع- كما ذكرنا سابقًا- وشعارات قومية ويسارية للحزب الاشتراكي والحزب الناصري، وشعارات مستوحاة من المخزون الزواملي للثقافة اليمنية، وشعارات جندرية ومدنية لتجمعات مستقلة، والشباب والنساء. وشعارات عالمية مشهورة وبصبغة ماركسية، مثل "ياعمال العالم اتحدوا".

اتخذت الشعارات صيغًا جديدة منها ماهو مكتوب، وبعضها مجسمات، وأقوال، بعضها مرسوم على الجدران وبعضها على الإسفلت والحجارة، حتى على الصحون اللاقطة للبث، الملابس، الأجساد، وأنواع الخبز، خصوصًا "الذمول"، اذ حفلت الساحة بمئات الفطائر الكبيرة التي كتبت عليها شعارات المحتجين والصور التي تلتقط للمحتجين الفرحين بتلك الأعمال، حتى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مكبات القمامة كتبت عليها الشعارات، وأبواب المحلات، المدارس، جدران المساجد، بل بعض المقاهي عنونت مقاهيها بـ" شاي ارحل"، ثلاجة التغيير، لبيع الماء والمشروبات الغازية"، تذوق نكهة التغيير"، وكتبت بعض الشعارات باللغة العربية الفصحى وبعضها بالعامية الدارجة، وبعضها باللغة الإنجليزية، واللغة الحميرية القديمة.

حملت بعض الشعارات صفة الديمومة: كالشعب يريد إسقاط النظام، وارحل، و"كلما زدنا شهيدًا، اهتز عرشك ياعلي"، الشعب يريد محاكمة السفاح (كونها مرتبطة بالأحداث الدموية وقد وقعت على مر مرحلة التخييم الاحتجاجية)، و"ثورتنا ثورة سلمية"، "أين البترول، أين الغاز ياحكومة الألغاز"، "اللّهم اغرق من قطع الماء، اللّهم أحرق قلب من قطع الكهرباء" حركة نبض، " الشهيد القادم – مشروع شهيد". حيث كانت لا تخلوا مسيرة من الأكفان المكتوب عليها مشروع شهيد، ولا يخلو منها حتى الأطفال والنساء.

شعارات الاحتياجات اليومية: تحملها النساء والرجال:" الناس يبحثون عن كيفية العيش في القمر، ونحن نبحث عن أسطوانة الغاز" حركة هدهد-ائتلاف يمن التغيير، " أين الخبز أين البر"

وهناك شعارات مرحلية مرتبطة بحدث ما كالمجازر: يـ " للعار يااللعار سلمية تضرب بالنار"، "مجزرة الجمعة هل ندرسها في منهج التربية الوطنية"، "ارفع صوتك عالي عالي، الشعب يريد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجلس انتقالي"*، و عندما أشتدت حالات العنف والتخوين للشباب من قبل الجماعات القابضة على الفعل الاحتجاجي" أنا ثائر مش مندس، أو عندما أطلق صالح عبارته الشهيرة " الرقص على رؤوس الثعابين " فكان الرد " يا طايح محنا ثعابين، إحنا شباب مثقفين"، لا يوجد رئيس وصف شعبه بالثعابين إلا رئيسنا المخلوع الفاسد".

كانت الشعارات لها وظيفة تأجيج الشارع في عملية نضال وتثوير ممتدة، لتوصيل رسائل للمجتمع وتحريك فئاته الفئات الصامتة- الخاملة كما يسمونهم، ورسائل إلى السلطة وللنظام، وإفراغ للطاقات المكبوتة للشباب اليمني فيخرج ما تختزنه حواسه كتابة رسمًا، أغنية، تمثيلًا، رقصا، بعضها كانت تحمل رسائل قوية "كلما زدنا شهيدًا اهتز عرشك ياعلي"، كان مثل الأيقونة، يردد على الدوام ومن على المنصة، حتى المحتجين في الشوارع الخلفية، " "ننتصر أو نموت"، وبعضها صيغ بشكل مبسط يفهمه رجل الشارع ولم تخرج عن نطاق مفهوم الثقافة الشعبية يـ" علي ارحل، ارحل، الكرسي تحتك ذحل/صدأ"، وشعار آخر متداول، " الثورة نائمة رحم الله من أيقظها".

---

* المجلس الانتقالي، جماعة من قيادات الساحة من بينهم توكل، وقيادات الإصلاح والمشايخ، كونوا هيئة لمجلس الانتقالي وفيها أعضاء من ثوري من الساحة، وعملت مسيرات في كل ساحات المدن رافعة شعارات تطالب بالمجلس الانتقالي، أخرى من نفس الفصيل يرفض، كالداعية عبد المجيد الزنداني، في 2011/7/8، نرفض تشكيل مجلس انتقالي... نريد دولة إسلامية شوروية وليست مدنية، الدولة المدنية تقف ضد النظام الإقطاعي، وضد النظام العسكري، ضد النظام الديني، وترفض كل شيء له صلة بالله" انظر المرجع السابق، الشميري، ص160

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض الشعارات كانت على هيئة قصائد لمحمود درويش، أو أبو الأحرار محمد محمود الزبيري، وعبدالله البردوني، وأبو القاسم الشابي والبيت الشهير الذي كان يعد ترنيمة لكل الشباب المحتجين في اليمن والعالم العربي، أيًا كانت اتجاهاتهم " إذا الشعب يوما أراد الحياة، فلا بد أن يستجيب القدر"، وبعض الشعارات أتى على هيئة زوامل، أو آيات قرآنية، وأحاديث نبوية،البيت الشعري للشهيد الزبيري" يوم من الدهر لم نصنع أشعته، شمس الضحى صنعناه بأيدينا".

شعارات شكلت تميمة عند بعض الأحزاب والحركات السياسية والدينية، كحزب الإصلاح:

الله غايتنا

الرسول قدوتنا

القرآن دستورنا

الجهاد سبيلنا

الموت في سبيل الله أسمى أمانينا

وكانت ممهورة بـ" حماة ثورة الشباب الشعبية"، وهو الشعار الذي استقته جماعات الإسلام السياسية، من مؤسسها حسن البناء، والإخوان المسلمين، وكانت ساحة ميدان التحرير بمصر تتزيا به أيضًا، مثلما ساحات اليمن، وهو بالمناسبة شعار المعاهد العلمية اليمنية التي أسسها الإخوان المسلمون، وكان بمثابة النشيد اليومي لمئات الآلآف من الطلاب والطالبات.

وكذلك كان حال الحركة الحوثية" الصمود"، التي دخلت في البدء شبه صامتة، ثم محايدة، ثم أعلنت عن نفسها بتقاتلها مع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحزب المهيمن..إلخ، وكان شعارهم" الصرخة" يكتب ببروز على الخيم، والجدران، وفي الهتافات.

الله أكبر

الموت لأمريكا الموت إسرائيل

اللعنة على اليهود

النصر للإسلام

وفي خيم أخرى يكتبون:

الموت للصهيونية

الموت للماسونية

اللعنة على المنافقين

النصر للثورة والمستقلين

وكذلك شعارات كثيفة مستوحاة من أقوال شهيرة لعلي بن أبي طالب، "من أحب الحياة عاش ذليلًا"، و" هيهات منا الذلة"، أصبحت تعويذات منتشرة في كل مكان.

وهناك شعارات تستلهم حكماء اليمن، أهمهم الحكيم اليماني " علي ولد زايد "، مثل:

يقول علي ولد زايد:" ارحل قد الوقت زايد "

والشعار الذي كان متداولًا في كل الساحات "لا حزبية ولا أحزب، ثورتنا ثورة شباب"، وفجأة كان يختفى، ثم يظهر، ثم يظهر بقوة عندما تحتد المشاحنات بين المجاميع الاحتجاجية، بسب سيطرة حزب الإصلاح الديني، وبعض محتجي الحزب الاشتراكي، والقوى اليسارية، والنساء والشباب.

كانت المفاجأة عندما بدأ بعض شباب القوى اليسارية بممانعة الشعار، بحجة أنه شعار استئصالي، يرفض صوت التعددية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتمثلة في انضمام الأحزاب إلى العملية الثورية، فالأحزاب صوت ثوري داعم للثورة.

كان هذا الشعار عرضة للتمزيق دومًا، وفي أكثر من مكان، فيظهر بديله ومناوئ له تأبطه شباب الإصلاح" ثورتنا ثورة شباب، يدعمها فيها الأحزاب".

وشعارات شبابية أخرى، بعد الاقتتال بين الثوار، مكتوبة على لوحات كرتونية، "كانت ثورة شعب، فأصبحت ثورة حزب واحد"، "لقد أصبحت الساحة مخيمًا صيفيًا لحزب الإصلاح ولم يعد للشباب أي صلة بالثورة".

4- شعارات النكتة:

وللساحة والعملية الاحتجاجية وجهها المرئي واللغوي الضاحك، حيث انتشرت الرسوم والكاريكاتير، والشعارات الكتابية، مثل:

يا" علي يارمة(جيفة)، حركاتك حركات دمة(قطة)"

يا "متمسك بالسلطة، روح اشتغلك خلطة(الإسمنت)، وشارك الشعب السلتة(أكلة شعبية)" "ارحل جعل لك جني"

يا "علي ارحل ارحل الكرسي تحتك ذحل"(صدأ)

" 33 سنة وأنا لا أعرف سوى ثلاثة (علي)، وهم:

علي عبدالله صالح - رئيس الجمهورية

وعلي النونو - لا عب المنتخب

علي الريمي - مقوت في السوق (بائع القات)"

"خيمة مابش(لايوجد) معي عمل.. فاضي لكي ياعم (ننتصر أو نموت)"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسرت روح النكتة على مخيمات الساحة وقد حملت ذات خيمة عنوان مثل "خيمة الطاقة النووية"*، وثانية "خيمة وادي الذئاب"*، وخيمة " مابش معي عمل، فاضي لك ياعم"، خيمة" طز فيك ياعلي"، خيمة الرئيس القادم"، " معتصمين نيابة عن الصين والروس والروبيصة والأقدوس والقبيطة، والأعبوس*، حتى ترحل".

شعارات مستلهمة من شعارات الثورة المصرية، والثورة التونسية: من الشعب يريد إسقاط النظام، الشعار الأول الذي صدرته الساحات الثورية في تونس ومصر، وتناقلته بقية الثورات في الوطن العربي، إلى "قطعني حتة حتة وارميني لـ100 قطة، لكن مش مروح إلا لما ترحل"، اعتصام اعتصام حتى يسقط النظام".

كانت الشعارات ممهورة بتوقيع الجماعة أو الائتلاف، الحزب، أو المنسقية، القبيلة، أو القرية، أو الأسرة، عائلة الشهيد، وعائلات بعض المخفيين قسريًا، أو " شهداء سبتمبر وأكتوبر"، وكذلك المرجعيات الدينية، وغيرها، على سبيل المثال:" ثورتنا ثورة سلمية، مطلبنا دولة مدنية"، بتوقيع شباب حسم الثورة، شعارات شكلت" الفرجويات اللسانية/ الخطابية"منبرية"/ الكتابية، " الشباب يريد حكم شريعة الرحمن"، " لا أمن للأوطان ولا خير للبلدان إلا بتطبيق شرع الرحمن"، " ارحل أيها الطاغية فالشعب

---

* الطاقة النووية، وهو مشروع أعلنه النظام لدغدغة الشعب في ظل تردي وتعطل مؤسسات الدولة والبنى التحتية الإساسية للبلد، وخصوصًا شركة الكهرباء التي خرجت عن جاهزيتها، فساد انقطاع الكهرباء في اليمن كلها.
* مسلسل تركي شهير.
* مناطق ومديريات في محافظة تعز.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يريد أن ينعم في ظل الشريعة" ائتلاف شباب التغيير الرائد، هذه الشعارات في ساحة التغيير بصنعاء 2011 تتبع جماعة السلفيين، والأحزاب الدينية، "مجزرة الجمعة (مجزرة الكرامة 18 مارس2011)، هل سندرسها في منهج التربية الوطنية" معلمو ذمار،..إلخ.

بعض الشعارات التي تأتي على هيئة زوامل، على سبيل المثال كتبت على اللافتات من قبل القبائل اليمنية المنضمة إلى الساحة على سبيل المثال:" يشهد المولى أنسه وجنه- ما خضعنا لو تقوم القيامة، مطلب التغيير لابد منه، يسقط الفاسد ويسقط نظامه".

القبيلة" مشايخ وأعيان وأفراد وقبايل وقرى بني خلعة العش والحدأ يدعمون ثوار ساحة التغيير بصنعاء بمبالغ نقدية، ويعلنون تأيدهم لثورة الشباب واعتصامهم حتى رحيل النظام"

أو في مثل وثيقة العهد:" شعب اليمن بالدم سجل، وثيقة العهد المبجل، وأشهد العالم بأكمل إنسهم والجان يرحل علي لابد يرحل، وإسقاط حكمه ما تأجل، خيار ماغيره هو الحل"، " بعزم واستبسال جات أحرار خولان الطيال"، "تشارك الأبطال في التغيير ثورة رايدة"، "ارحل مع الجهال يا دجال لن تبقى محال"، "شعب اليمن قال كلمة صريحة واحدة"، "شباب وادعة- بني صريم/ عمران لن يرحلوا حتى يرحل النظام"، وبالمثل، " قبائل سنحان مسقط الرئيس، مشايخ وأعيان وأفراد وقبائل وقرى بني" خلعة العش، الحدأ" يدعمون ثوار ساحة التغيير في صنعاء بمبالغ نقدية، ويعلنون تأيدهم لثورة الشباب واعتصامهم حتى يرحل النظام"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى خيمة كتب هذ الشعار" عزلة من 10 ألف شخص يسافر أبناؤها الطلاب ست ساعات لمركز لمديرية، ويتغيبون لحضور اختبارات لشهادات الأساسية ولثانوية" عيب ياصالح.. "ارحل".

أهالي بيت عبد الحق وبيت مفتاح وبيت المخلافي" الحيمة الخارجية" يعلنون انضمامهم لثورة الشعب السلمية"، أهالي بيت غانم " ارحل باليابانية".

"قبيلة حضر خولان الطيال ترفض العنف وسفك الدماء وعلى الرئيس أن لا يصدق من حوله "

"عليكم يارؤوساء العرب من الله ألف لعنة أنتم مكالف بوش(الإبل) للسمرة والرقدة."

5- شعارات نسوية:

نحاول أن نفرد مساحة لشعارات النساء المحتجات، في تكتلاتهن، أكانت عبر منظمات، أو غيرها من التجمعات، والتي كانت تملأ المسيرات النسوية، كالمسيرة في عيد المرأة العالمي 8 مارس، أو مسيرة للرد على الرئيس علي عبدالله صالح، عن الاختلاط بين الرجال والنساء في ساحة التغيير، وتناولها في خطابه الشهير، عندما قال: "... ينبغي لهم منع الاختلاط بين الرجال والنساء الذي لا يقره الشرع في شارع الجامعة... الاختلاط حرام"[1]

(1) https://arabic.rt.com/news/67723/D8/A7/D9/84/D9/8A/D9/85/D9/86/D9/8A/D8/A7/D8/AA_/D9/8A/D8/AA/D8/B8/D8/A7/D9/87/D8/B1/D9/86_/D8/B6/D8/AF_/D8/A7/D9/84/D8/B1/D8/A6/D9/8A/D8/B3_/D8/B5/D8/A7/D9/84/D8/AD_/D9/84/D8/AF/D8/B9/D9/88/D8/AA/D9/87_/D8/A7/D9/84/D9/89_/D9/85/D9/86/D8/B9_/D8/A7/D9/84/D8/A7/D8/AE/D8/AA/D9/84/D8/A7/D8/B7/

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" حرية، حرية نريد دولة مدنية"، " نطالب بجلد علي عبدالله صالح.. ماقدرت على الرجال رجعت على النسوان"، "النساء النساء للتغيير والبناء"، ثورتنا ثورة نضال النساء مع الرجال"، "نناشد علماء الأمة الإسلامية، بإقامة حد القذف على السفاح"، " أنت لا تستحق الحياة، أنت قتلت النفوس المحرمة.. يكفي ياطاغي"، "معاد معك خبر، غير تتكلم عن النسوان، يكفي يكفي بس"*

6- شعارات التحديث

"لن نغادر إلا إلى يمن جديد"، الطلائع الثورية"، "الشعب يريد دولة مدنية ديمقراطية، حرة(يمن جديد)"، " هذه الثورة سلمية لا قبلية لا حزبية"،

7- شعارات باللغة الإنجليزية:

Game over
Sue their Killer
Peoble Want to over throw the Regime
Go Go Go
Let us live!
We Will Never
For give
We Will Never
For get
We Will Never
Give up
Win or die

وحملت أيضًا شعارات بعض من المحتجين من أبناء أحياء في ساحة التغيير، وكأن الاحتجاج قد أصبح ولعًا للفهنة/الاسترخاء، بعد أن طال أشهرًا، مثل:

* خطاب الرئيس عن نساء الساحة، والتشهير بهن، في 15 أبريل 2011.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"حركة المفتهنيين الأحرار"، كناية عن السخرية، أن الساحات وخيمها أصبحت مأوى للعاطلين، والمرتاحين.

8- شعارات حماة الثورة

حفل قاموس «حماة الثورة» البواسل (التيار الأصولي -حزب الإصلاح وقواه القبلية والدينية والعسكرية "الجيش الحر") بالعديد من التنظيرات الدقيقة في فقه ألغام التطهير والاجتثاث باسم ثورة الربيع أو ما يحلو للنوبليين "فرع حماة الثورة " أن يسموها "الثورة الشعبية السلمية " مثل: "الثورة منصورة، مستمرة حتى تحقيق أهدافها"، "دحرنا العائلة وبواقي العائلة"، "الثورة المضادة اليوم في التنفس الصناعي"، "نجاح الثورة ضرورة وطنية"، "الثورة الشعبية لا تعود للوراء"، "الفشل لايوجد في قاموس الثورات"..إلخ

شعارات، عن الجيش وهدفه حماية المحتجين" الجيش يقول كل فرد هو مني"، "الشعب أصدق أنباء من البلطجي"، "الجندي يقول:لا، ولن أقتل أبناء شعبي كنت بالزي، أنا جندي للوطن ووهبت حياتي للتغير السلمي"، "الجيش يقول، كل فرد منكم هو منا"، "البلطجي هو من يحمل السلاح ويتكلم بالعصي".

أما شعار وهتاف الترحيب بهم، فكان على كل لسان، وجدار، وشجر وحجر، حتى الأطباق الهوائية، التي كانت تؤثث الخيام، "حيا بهم..حيا بهم، واحنا تشرفنا بهم".

قال الشباب كلمتهم في الشعارات والهتافات، وقال العقائديون كلمتهم، وقال الحزبيون ومنظمات المجتمع المدني أيضًا، وقالت النساء أيضًا، والشباب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إسفلت الساحة لم يخل من شعارات، " ارحل ياعلي كيماوي*
شباب يجوبون فضاءات الساحة، يحملون شعاراتهم، بعضهم يظل لأيام طويلة، يحمل لافتته، فهذا شاب ظل يجوب بلافتته أروقة الساحات، وهي قصيدة لمحمود درويش:

" منكم السيف ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنار ومنا لحمنا
منكم دبابة أخرى، ومنا حجر
منكم قنبلة الغاز ومنا المطر
فخذوا حصتكم من دمنا
وانصرفوا
وعلينا نحن أن نحرس ورد الشهداء
وعلينا نحن أن نحيا كما نحن نشاء"
وبالمثل طفل يحمل لافتة:
أكتب فاتورة
كم تريد شهداء
أولهم والدي
وارحل عنا

9- شعارات رسم الأجساد:

ودخلت الاحتجاجات في اليمن في طور جديد من الشغل على الشعارات، وهو رسم الأجساد، فكانت فرجة جديدة بألوانها المختلفة حملت بنية دلالية في كل خط ولون، فنقشت وتخضبت الأجساد والوجوه بما فيه حتى اللسان بألوان العلم الوطني" الأحمر، والأبيض والأسود"، وكان اللون الأخضر سائدًا في

---

* على الكيماوي، أطلق على الجنرال علي محسن، في حربه على صعدة، تشبهًا بالعراقي علي حسن المجيد، الذي أطلق عليه العراقيون، علي الكيماوي في قصفه بالكيماوي على حلبجة عام 1988. (أعتقد أن جماعة الحوثي هي من أطلقت اللقب على الجنرال محسن).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعارات والرسوم كلون إيماني مقدس، كان الأطفال والشباب بأجسادهم العارية يتسابقون لنقش وجوههم ب"ارحل، "يمن"، " قاتل"، "لا عفاش بعد اليوم"، " لننسى"، "مشروع شهيد"، "سلمية"، "الشعب يريد يمن جديد"، حتى الطيور من حمام لونت وعُلمت بشعارات وألوان العلم الوطني، و"ارحل"، وكذلك لونت إعلام دول الربيع العربي..إلخ.

حتى النساء المنقبات، نقشن أيديهن وشراشفهن، ونقاب الوجه، وأستارهن بالأعلام والشعارات، والعبارات" الشهيد القادم"، "مشروع شهيد"، "ارحل"، أيضًا صور حمل المصحف والتلويح بها، فعجت نساء الساحة بالألوان الشعارات.

10- الزوامل:

الزوامل هي ذلك الخطاب اللساني الذي لازم الشباب في ساحة الاحتجاج، وهي تشكل جزءا لا يتجزأ من المخيال الشعبي اليمني العام، والمخيال القبائلي بدرجة رئيسية.

ويُعرف الزامل، بأنه، " إنتاج جماعي روته أجيال عن أجيال، ولا يشكل " البداع" إلا أقل أجزائه في المناسبات الطارئة، غير أن أكثرية شهيرة التداول مجهولة القائل، كنشيد الحرب... ومثله زوامل الأعراس."[1]

فـ" الزوامل الشعبية... بعضها مجهولة القائل، وبعضها معروف القائل، ويسمى (بالبداع)، لأنه يبتدع(الزامل) كفن يستنطق الحال، وبعد إنشاده يسمى " زوامل" لكثرة الأصوات. فعندما يجتمع الناس في القرى لتلبية أي حادث يصنع"البدّاع"

(1) البردوني، عبدالله"فنون الأدب الشعبي في اليمن"، دار البارودي، لبنان، الطبعة الخامسة،1998، ص138.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شطرين أو ثلاثة أشطر، يرددها الصف الأول على درجات: أولًا بأصوات قراءة للحفظ عن طريق التلقين، ثانيًا تجربة الأداء خافتة، وبعد أن يتأكد " البدّاع" من حسن الأداء تعلو الأصوات بالزامل. ولابد أن يكون معبرًا عن الحدث الذي استدعى التحرك والأصوات"[1]

وكونه الفن المهيمن على الفكر اليمني خصوصًا القبائلي، وفي ساحات الاحتجاجات، فقد رصفت وأنتجت زوامل لكل فعل احتجاجي، ولعل دخول المشايخ، والعسكر ورجال الدين والمهيمنين الكبار إلى ساحات الاحتجاج وانضمامهم إليها، قد جعل القريحة تتفجر بزوامل روج لها إعلام الثورة.

هذا زامل" أحرار شباب القسم الثوري"..
برب البيت والملة والله نزّله
ماعاد بعد اليوم سمح له ولا بانمهله
والعرش وأسماء الجلالة وأنبياء المرسلين
يرد ما شاء ويتوكل قفا حسني وزين.

وزامل آخر، مطلب التغيير، كما سمى به، إذ يقول:

يشهد المولى وإنسه وجنه
ماخضعنا لو تقوم القيامة
مطلب التغيير لابد منه
يسقط الفاسد ويسقط نظامه

**

بعزم واستبسال جات أحرار خولان الطيال
تشارك الأبطال في التغيير ثورة رايدة
ارحل مع الجهال يا دجال لن تبقى محال

---

(1) المرجع نفسه، ص135

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعب اليمن قال كلمة صريحة واحدة
بانجي لك بانجي يا النظام البلطجي
(ممهور باسم مسور، خولان الطيال)

**

زامل تحية لعزمي بشارة:
سلامي عزمي بشارة، يارمز الشرف والحرية
شعب العراقة والصمود يادابر بطل
حياه بصوت الحق
رمز النهارة، وأهلًا وسهلًا بالأسود
عبر الجزيرة لبه صدى صار للدنيا منارة
مثل الصواعق والرعود
وشعبنا ثاير لبه موقف حاسمة
حدد مساره والشعب زاخر بالحشود[1]

وهذه قبايل عمران تدخل الساحة بزامل وفيه تهديد للعسكر:

يبلغ العسكر وكل البلاطج
من يريد الموت يهجم علينا
من دخل والله ماهو بخارج
نحرقه بالنار قد هو عشانا[2]

11- المنصة:

لقد كانت المنصة والمركز الإعلامي التابع لها التابع للقوى المهيمنة على الاحتجاجات بمثابة وزارة الإعلام، بل حكومة داخل حكومة ساحة التغيير بصنعاء. كونها عقل الخطاب المهيمن

(1)https://www.arab48.com/
(2) https://yemenrevolution.wordpress.com/2011/03/14/3678657/

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الاحتجاجات، فهي -وعبر أدواتها الكثيرة والقوية -كانت تتحكم في الجمهور وحالاته العنفوانية، والصامتة، تشكله بحسب ما تؤتمر به من قبل القادة، وتمشيه حرفيًا. لقد كانت تضخ الصور، "الصورة/ الأيديولوجيا"، كما أشار إليها كل من " ديبور وبارت".

لا نغالي، إذا ماقلنا أن المنصّة عدت" أس الفرجوية"، فهي إحدى أهم وأخطر سلطة لتصارع القوى، وكان الأقوى والفاعل الذي انتصر مستحوذا عليها(القوى التقليدية) ذات المشروع الأيديولوجي المتعصب: حزب الإصلاح وجناحه العسكري والقبلي والديني، حاولوا في البداية أن يتركوا متنفسا لبعض التيارات الشبابية -تحديدا-(تحت ضغط قوى الأحزاب اللقاء المشترك) بأن تكون المنصة للجميع، فما أن يبدأ الشباب بالحديث، تغلق الميكروفونات، وينقطع عنها تيار الكهرباء، ويسود الهرج والمرج، وأحيانا يستخدم العنف مثل الضرب وتحطيم الكاميرات، وتحطيم أي منصة عداها، حتى انقسمت الساحة، وبدأ الشباب يعمل في تكوين ساحة جديدة مقابل الجامعة القديمة، وبمنصة متواضعة لكن كان صوتها خافتًا أمام هيمنة خطاب المنصة الكبير/ الرسمي. نعم استطاع الحزب المهيمن ومليشياته القابضة على المنصة أن يشكّلوا نفسية المحتجين بحسب ما يريدونه، " تحويل السيكولوجية إلى ظاهرة كمية، وإجبار الضحك أو الألم على اتخاذ أشكال شعرية (عروضية)METRIQUES بسيطة، بشكل يصبح الانفعال نفسه أيضا سلعة كباقي السلع، موضوع تجارة"[1]

(1) مرجع سابق" أسطوريات.."، ص129.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد كانت المنصة فرجة بحد ذاتها، إنها" المكارثية المُيمننة"، الفرجة الأهم والأخطر، فرجة قائمة بذاتها، هي المعمل المفتوح الذي لا يكل ولا ينام، كتائب المنصة تشتغل على مدار الساعة، إنها رئة الاحتجاجات والأداة التنفيذية للعقول المسيرة للعملية الاحتجاجية برمتها، تبرمج ما تريد/ أو يراد أن تكونه وتقوله بلسان المستحوذين على الساحات والاحتجاجات، من خلال المنصة وقادتها وجموع كتائبها، ولا يستطيع أحد الوصول إليها إلا عبر الحراسة، الظاهرة والمتوارية، هي جهاز الإرسال، لكن لا تستقبل أي شيء إلا من خلال قادة الاحتجاجات.

فالمنصة، هي التي تقرر من يصعد، ومن ينزل، ومن يُرمى جسدًا وتهشم وتكسر كاميرته- كما حدث مرارًا أمام أعين الباحثة- فللمنصة برنامجها/ أجندتها تمشي عليها، في الأسفل (بدروم المنصة) هنالك المعمل والكمبيوترات، والكاميرات، وجيش الإعلاميين التي يتبعها، وخصوصًا جيش وسائل التواصل الاجتماعي كانت منصة الفيسبوك أهمهم.

لقد كانت فرجة سياسية-دينية/ صلواتية، طقوسية، فلكلورية من الزمن السحيق لكنها بـ "كاميرا ديجتال"، وتحس بأنك في الألفية الثالثة لكن بعقلية ذلك الماضي السحيق. فمن يمتلك المنصة، اختطف المشهد الاحتجاجي، امتلك خطاب الثورة، أمتلك المنبر والحشود والمليونيات، فقد كانت المنصة مضخة التعبئة العامة والاستقطابات. لقد كانت المحرك لكل العمل الثوري وأبجدياته وبرامجه التي تأتي من مطبخ قادة ساحة التغيير، أقطاب الحزب "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حزب التجمع الإصلاح" اللجنة التنظيمية والأمنية، لتذيعه المنصة ليسري كقانون. وملزم دينيًا، عقائديًا، وثوريًا واجتماعيًا ووطنيًا، وقبائليًا.. إلخ، من مفردات المنصة في كل ساعة.

كانت المنصة هي الساحة، هي اللجنة الأمنية والتنظيمية، هي المسيرات، هي الشهادة، هي الصلاة والدعاء، هي التبرع والمزادات الكرنفالية (وما أكثرها)، ورقصات البرع الحربية، والزوامل، هي الشحن الذي لا ينطفئ، الآمر الناهي لكل فعل مهما صغر أو كبر، هي الهتاف والشعار، والفضائية والفيسبوك، والوسائط الإعلامية الأخرى. هي الصندوق الأسود لكل الساحات الاحتجاجية في المدن الأخرى والتي تدار من الغرف المغلقة للقوى المهيمنة (الدينية والقبائلية والعسكرية).

وكانت اللجنة الإعلامية الممثلة هي المصنع ومخزن الصور، وثقافتها "أيديولوجيتها" والترمومتر الذي يقيس الرأي العام المحلي والعالمي، إذ شكلت ثورة بصرية، جعلت الريف اليمني القصي يعرف الصورة عبر الهواتف، ويعرف الثورة، بعد أن كان مصدر معارفه، الإذاعة والتليفزيون في ساعات بث محدودة. بالفعل جند للخطاب الإعلامي، وخطاب المنصة خصوصًا، أهم الكوادر، الإعلام، والكتاب والمصورين في اليمن، فضلًا عن التعاون مع المنصات الإعلامية العربية الراعية للربيع العربي وفي طليعتها قناة الجزيرة.. إلخ.

تبقى نقطة، كانت المنصة لا تهدأ، تظل في ضجيج منذ أذان صلاة الفجر وإقامة صلاة، ثم النشيد الوطني، حتى ساعات متأخرة من الليل، وصولًا إلى ساعات الفجر الأولى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل الآراء – التي استقصيناها، اتخذت منحى الـ(الماقبل، والمابعد)- مثلًا، يقول أحدهم عن المنصة، " كانت متنوعة ومرنة في البدايات الأولى، ولكن سرعان من انقلبت بيد الفاعل الوحيد للاحتجاجات وهو حزب الإصلاح، وتوابعه من مشايخ القبيلة والفرقة الأولى مدرع والجماعات الدينية والإرهابية"*.

وعن البدايات، يفيد أحد الآراء،: " تنوعت بين الغناء (الإنشاد) والخطابة السياسة والفكرية والدينية... جمعت على إسقاط النظام الفاسد بنكهة كل فريق سواء إسلامي أو غير إسلامي، بين متشدد لرفع وتيرة الثورة وبين مكتفٍ بالاحتجاجات في الساحات وعدم توسع جغرافيتها".

وبالاتجاه المشرق نفسه للمنصة في بداياتها الأولى، " كانت صوتًا واحدًا ثم صارت أصوات عدة مجدوّلة بين التيارات المختلفة، وإن كان النصيب الأكبر لتيار الإصلاح، خصوصا بعد بدء المفاوضات ضمن المبادرة الخليجية... عكست توجهات الشباب في البداية أهداف التغيير، ثم تحوّلت إلى برامج سياسية للأحزاب والجماعات التي دفعت بمنتسبيها إلى الساحة". ويتوافق معه أحد الآراء: "للأسف سيطر الخطاب الديني – في أغلبه – على المنصّات، وكانت تعكس المواقف والاتجاهات التابعة لحزب الإصلاح في أغلبها. لم يسيطر الإصلاح على (خطب الجمعة) فقط، بل سيطر أيضًا على الساحة في أغلب أوقاتها".

* المقصود بالإرهابية أولئك المطلوبون دوليًا بحجة تمويل الإرهاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

توشت المنصة بخطاب " الهوشلية"/ عشوائية، هذه العشوائية المفرطة، في بنية المنصة وخطابها الارتكاسي، يلخص معنى المنصة، وفعل الاحتجاج، إذ يقول رأي،: "هو خطاب يبث هتافات وتعبيرات احتجاجية تطالب بإسقاط النظام، يشير مضمونها إلى تحقيق أمنيات سياسية باتجاهات عدّة، الأولى تقول ببناء يمن جديد، والثانية تقول ببناء دولة الخلافة، والثالثة تقول ببناء دولة حديثة والرابعة تقول ببناء حكم رشيد والخامسة تقول ببناء دولة شوروية، والسادسة تقول ببناء نظام الحكم الأفضل، والسابعة تقول ببناء دولة الحق والقانون. بالإضافة إلى قيامه بقراءة بيانات وتعميمات سياسية ودينية ثورية مناهضة للدكتاتورية والاستبداد والظلم والطغيان والتعصب السياسي والحزبي والطائفي والمذهبي، ورفض التدخلات الخارجية الرامية إلى إجهاض الثورة، فضلا عن كونه خطابًا معنيًا بتقديم الأغاني والأناشيد الوطنية والدينية وبثّ مقابلات سياسية وثقافية مع شخصيات أكاديمية واجتماعية تعرض عناوين وخطوطا عريضة عن محددات بناء الدولة المدنية. ويقدّم الخطاب إرشادات وتصورات تؤكد التمسك بالحق والعدل والكرامة، ويتبنى ذكر مواعظ وأدعية تحث على الفضائل، والمثل، والاستقامة النابعة من الروح والأخلاق والضمير".

لقد مثلت الحالة الحزبية عائقًا لتطلعات الشباب والطاقات المدنية الحالمة بالتغيير، بل وكانت قيدًا أيضا على الحزبيين أنفسهم، ليس على مستوى خطاب المنصة، بل والعمل الاحتجاجي برمته، كانت المنصة أداة صراع بامتياز، فمن يمتلك المنصة/ الخطاب هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتحكم/ القائد/ والفاعل بكل العمل الاحتجاجي، بما فيه حتى الهامش والتفاصيل: "ربما كانت منصة الخطابة هي ميدان الصراع بين قوى الحداثة والتغيير والقوى التقليدية (الثورة المضادة). فبمجرد انضمام الفرقة الأولى -الجناح العسكري للإسلام السياسي السني- (الإخوان المسلمين)، وتحالفاتهم الأخطبوطية- تكون هذه القوى قد تهيّأت للقفز على المنصة، واختطفت الخطاب واحتكرته، ورفضت السماح للشباب والمرأة من الحضور، وفرضت العزل على النساء، والتضييق عليهن من المشاركة في المسيرات، وقد أصدر صالح في خطاب رسمي تحذيرًا من الاختلاط؛ فتلقّف علي محسن قائد الفرقة الأولى مدرع والإصلاح هذا الخطاب؛ ليضيقوا على الفتيات، وتعرضت المرأة للضرب والاعتقال والإقصاء، ومنع الناشط السياسي أحمد سيف حاشد من إقامة منصة وتم ضربه، وبدأ التفرّد في فرض قيادات تابعة للإصلاح على الساحات، وهيمنة اللون الواحد". "منعوا من الطلوع في منصات ساحات التغيير للتعبير عن رأيهم، بمعنى مورست الدكتاتورية بأبشع صورها في منصات ساحات التغيير ووصل الوضع في بعض الأوقات إلى اعتقال وضرب المخالفين"، ويواصل" إنها عكست مصالح الأطراف الفاعلة المتشاركة".

وفي السياق يقول بارت،:" لأن المكان الملحمي الحقيقي، ليس الصراع، إنما الخيمة، التي تشكل عتبة الجمهور حيث يقوم المحارب ببناء مقاصده، ومن هنا يقوم بإطلاق شتائمه وتحدياته ومسراته"[1].

(1) مرجع سابق، "أسطوريات..."، ص133.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض الآراء تقول بسخرية،: "تحولت إلى هزلية، بعد سيطرة شباب الإصلاح" مسخرة"!، " "حاول أن يجعلها طابور صباح في مدرسة أطفال".

ومثلما قسمت جماعات الإخوان المسلمين ممثلة بحزب الإصلاح، والسلفيين المجتمع إلى دار كفر ودار إيمان، والناس إلى ثنائيات مسلم/مؤمن، وكافر، ووطني، وطابور خامس، أيضًا استولوا على المنصة بنفس الخطاب وأشد حدة، حتى وإن تهادنوا في بعض المواقف، وصمموا على تقسيم المحتجين بثنائيات عصبية اشتغلوا عليها في المسجد والمؤسسات الرسمية والإعلامية، والتعليمية، ونسخت بقسوة نحو ساحات الاحتجاجات بـ: ثورية، وبلطجية، ثوري، وخائن ومندس.

كان شغل الجماعات الإسلامية في الساحة كما في المجتمع وخصوصًا في حقلي التربية والتعليم ومؤسسة المسجد، قائمًا على الفرز الثنائي والتفصيل الهووي.

جاهدت المنصة التابعة لحزب الإصلاح لأن تكون هي المنصة الوحيدة في الساحة، وعندما اعترض البعض على نوعية خطابها الأحادي الإقصائي، قرر بعض المحتجين على سبيل المثال " شباب المدني" المناصرون لأحمد سيف حاشد*، بإنشاء منصة صغيرة وتمكنوا من ذلك، لم تمر بضعة أيام حتى دمرت عن بكرة أبيها، تحت مبرر "حتى لا تتفرق الرؤى الثورية"، بمزاحمة المنصة الأم لـ"الثورة".

* التيار المدني أحمد سيف حاشد، أحد البرلمانيين من أوائل المنضمين إلى ساحة الاحتجاج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يذكر القديمي في كتابه "يوميات الثورة"، عندما زار ساحة الاحتجاج في مصر، قائلًا، " تم وضع منصة خشبية كبيرة لتكون الموقع الرئيسي لمنصة الخطابات الثورية، والجيد أنه في كل ساحة التغيير لا توجد سوى منصة واحدة، بخلاف ماهو موجود مثلًا في ميدان التحرير المصري، حيث هناك أكثر من ست منصات تتوزع أطراف الميدان، وتمثل كل منصة اتجاه فكري سياسي، وكثيرًا ماكان هذا التنوع في المنصات سببًا في تأجيج الخصومات السياسية وتضارب الخطابات"[1]

لقد شكلت المنصة فضاءً معاديًا لبقية الرؤى الفكرية، كانت منصة أيديولوجية، هدفها التهييج المحموم للجماهير عقب كل حدث، والتحشيد، واستنفار القوى. وأفضى الانتفاخ التضخمي لأيديولوجيا المنصة، إلى ممارسة أشكال من العنف على الأطراف كلها من المستقلين والنساء، تكفي فقط وصمة "خائن، أو أمن قومي، أو مندس" لتهييج الساحة عليك، ويوسعونك ضربًا، وتعزيرًا، علاوة على السجن في معتقلات الساحة، التابعة للجنة الأمنية.

ولأكثر من مرة- رأت الباحثة- ورصدت اعتداءات على محتجين يقذف بهم من على المنصة، ورصدت تكسير العديد من كاميرات التصوير، ولعل الانتهاك الكبير لشباب مسيرة الحياة غداة اعتصامهم عند المنصة، الحدث الأهم في مسيرة الانتهاكات الجسيمة التي تقوم بها مليشيات الساحة/المنصة، مما أدى إلى

(1) مرجع سابق، "يوميات الثورة"، ص 113

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإضراب عن الطعام(محمد صبر والمنظمين معه)* بعد رفض القائمين عليها، السماح لشباب المسيرة أن يصعدوا المنصة. فـ" المنصة والساحة هي النظام ذاته وإن انشق تحت مسميات حماية الثورة، والثوار.. إلخ، فـ" الاستعراض هو الخطاب المتصل للنظام عن نفسه هو منولوجه التقريظي، إنه الصورة الذاتية للسلطة في حقبة إدارتها الشمولية لشروط الوجود والتبدي الصنمي للموضوعية الخالصة في العلاقات الاستعراضية"(1)

تشكلت عقب هيمنة المنصة، وخطابها الانقسامي، جماعة حسم، وقامت بالعديد من الوقفات الاحتجاجية، وانتهت باللجوء لعمل ساحة جديدة عند كلية الآداب بجامعة صنعاء، ومعظمهم من ذوي الميول اليسارية والمستقلين، والعديد من الحوثيين.

" كانت أولى الوقائع التي بلورت الانقسام بين الشباب المستقل والحزبي في ساحة التغيير بصنعاء هي الصراع على المنصّة في الساحة التي تشكل العمود الفقري لعملية صنع القرار وتوجيه مسار المعتصمين، واستطاع الشباب الحزبيون، وخصوصًا المنتمين إلى التجمع اليمني للإصلاح- أكبر أحزاب اللقاء المشترك- السيطرة على المنصة"(2)

شهدت منصة ساحة التغيير بصنعاء- المنصة الأم، للساحة الأم، وبالمثل منصات ساحات الحرية والتغيير في اليمن، فرجويات

---

* محمد أحمد صبر أحد المحتجين الشباب من ساحة تعز، وأحد أهم الفاعلين في مسيرة الحياة التي تمت في 22ديسمبر2011.

(1) مجتمع الاستعراض، مرجع سابق، 13

(2) الفاعلون غير الرسميين، ماجد المذحجي،ص442

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كثيرة، كانت تتناسل كل يوم، بل وفي اليوم الواحد عدة فرجويات، فلم تعد فقط منصة للخُطب الدين- سياسوية، التي لا تختلف عن خطب المساجد والمناسبات الدينية، بل انصب عملها أصلًا للترويج لقادة حزبهم، ومشائخهم وضباطهم، أي لسان حالهم، للتباهي بالألم عبر مزاد الجثث والأشلاء، والنعوش، التباهي بالألم المضاعف والتأليم، التباهي المضاعف بالصلاة، واستدرار التعاطف محليًا وخارجيًا، قال أحدهم، عندما رأى الطفلة عتاب تبكي على أبيها الشهيد الذي سقط في جمعة الكرامة، " كنت دائمًا في مشاكل مع والدي الذي كان يرغمني بالجلوس في البيت وعندما شاهدت مقطع الفيديو بكي من الألم، وطلب مني ألا أعود من ساحة التغيير إلا شهيدًا أو منتصرًا برحيل صالح "[1]

المنصة كانت سوقًا للبيع والشراء بالمفرق والجملة، ليست كالأسواق التقليدية " سوق الثلوث " أو سوق الربوع" أو الأحد، بل سوق بهرج الاستعراض الجديد: الصورة.

كذلك كانت فرجة التبرعات، مشهدية سوق من الأرقام بالزيادة والنقصان، لكن الزيادة مشروع ثوري تصنيفي: عدد الشهداء، الجرحى المنظمين، عدد النساء، الجُمع، أرقام الولاء، والبراء، عدد المسيرات، والانتصارات، وعن البدايات أيضًا، " في البدء أيضًا تشارك الإصلاح وجامعة الإيمان التابعة لعبد المجيد الزنداني، أحد الرموز السلفية المتشددة، وحاول السلفيون من الإصلاح: عبد المجيد الزنداني(رئيس شورى الإصلاح، وعبد الوهاب الديلمي(رئيس مجلس القضاء الأسبق لشورى

(1) صحيفة الخليج، http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/558698d0 51e2 4d63 a686 .563cefbefad1

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإصلاح)، ومحمد الحزمي(عضو مجلس النواب عن الإصلاح" السيطرة على المنصة، وجوبهوا بردود أفعال قوية حتى من داخل الإصلاح، فتراجعوا، لكن المنصة ظلّت تحت هيمنة اللجنة التابعة للإصلاح مع وجود استثناءات محدودة".[1]

فرجة الإضحاك:

شهدت المنصة حلقات للضحك والإضحاك " الزبج" كنوع من الترفيه عن المحتجين البعيدين عن قراهم وعائلاتهم، عد تنويعًا للممارسات الثقافية التي شكلت أثاث الساحة، فقد كانت تستدعي بين حين وآخر المنشد محمد الأضرعي لتكتسي الساحة بالضحك بإطلاق التسمية " المسرح"، وبالرغم من كونه تهريجًا، وأحيانًا يفيض باللغة الطائفية وتعابير العنصرية، والانتقاص - وإن لم تكن قصدية في بعض الأحيان- إلا أنه كان شريانًا مهمًا للتنفيس عن المحتجين والتعبير عن العزاء بفقدان المجاميع الشبابية والكمد عليهم، وكذا التنفيس عن الاحتقانات التي تفضي إلى النزاعات بين القائمين على الساحة والمحتجين.

شكل محمد الأضرعي، وهو أحد أعضاء حزب الإصلاح، وأحد أهم الأعمدة الاستعراضية حتى قبل احتجاجات الساحة وأثناءها، قطبًا تهيجيًا بامتياز على نظام صالح، وبعد ذلك في التندر على الانقلابيين" الحوثي".

ويصبح الضحك مزادًا استهلاكيًا مجانيًا شبه يومي، فرجة، سلعة، مثله مثل مزاد التبرعات والشهادة والصلاة وإن كان أخف

(1) مرجع سابق، الفاعلون غير الرسميين، عبد الباري طاهر، ص183

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بكثير انفعالات الضحك كان جد ضرورة للمعتصمين في الساحة، حيث يصبح " الانفعال نفسه أيضًا سلعة كباقي السلع "[1]

سلعة وجود المنصة كضرورة للعمل الاحتجاجي في الساحات، انتهت صلاحيتها بانتهاء العمل الاحتجاجي المرسوم له، والدخول في العملية السياسية. كان صناع الصراع/ الثورة/ التغيير/ الاحتجاج، والمصارع بهم المعتصمون المليونيون، قادة المصارعون كما يقول عليهم بارت "المصارعون هم أناس متمرسون يعرفون تمامًا كيف يحولون الجولات العفوية للصراع، إلى الصورة التي يكونها الجمهور عن الموضوعات الغرائبية في أسطورته"[2]

المعتصمون" المليونيون" تلك العيون التي تنصت وتتهجد لحلم " ارحل" وإسقاط النظام" وتتماهى بفرجة السماء، الإيمان بالصوت والصورة للمصلى والمسيرات الراكعة الساجدة الداعية تارة بالويل والثبور -وهو الغالب- وتارة بالأمل، المصحوبان بالبكاء الهستيري، كما كان يحدث عقب كل جمعة "مليونية"، وعلى سبيل الذكر، كان الدعاء الشهير في "جمعة الوفاء لتعز" إثر "المحرقة" 29 مايو 2011، التي قام بها نظام صالح، وراح ضحيتها من(11-15) قتيلًا، وإصابة مئات الجرحى بحسب المواقع الخاصة بالمركز الإعلامي لساحة التغيير، " اللّٰهم أحرق قلبه، اللّٰهم فتت كبده، اللّٰهم شتت شمله، اللّٰهم نكس رأسه، اللّٰهم أوجعه..إلخ "[3]

---

(1) مرجع سابق، "أسطوريات"، ص129.

(2) المرجع نفسه، ص25.

(3) https://www.youtube.com/watch?v=RN8Ap__rF g

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرجة تصنيع الأيقونات والثورة المضادة

فرجة أخرى بالقرب من المنصة، والأرصفة "أرصفة الثورة"، كما يطلق عليها، وفى طول وعرض ساحة التغيير، يفترش بعض الباعة صورًا مكبرة وبأحجام مختلفة ك"البوست كارد" وأكبر صور مزينة لرموز وقادة الإسلام السياسي اليمني والمصري، ورموز الدعاة "اللحوم المسمومة" لرموز يعتد بها الإنسان اليمني، والحشود على وجه التحديد، "صور الاستعراض لرموز الهيمنة على الفكر العربي واليمن Dominant Symbots، ستجد قادة الإرهاب المطلوبين دوليًا ك"عبد المجيد الزنداني"، وبجانبه سيد قطب وحسن البناء، وعبد الملك الحوثي، والجنرال علي محسن، والرئيس السابق إبراهيم الحمدي، وجمال عبد الناصر، والزعيم القبلي الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر وبعض أبنائه، "صادق، وحميد وحسين"، توكل كرمان..إلخ. ولدى باعة آخرون مصطبة أخرى تباع فيها صور الرموز الإسلامية" اللحوم المسمومة"، وبجانبها صور لعبد الملك الحوثي، وأخيه حسين الحوثي، ووالدهما بدر الدين الحوثي، وغيرهم من الدعاة في المذهب الشيعي، أو ما يطلق عليه في اليمن" المذهب الزيدي".

وتجد هذه الصور مبثوثة بلافتات كبيرة عل جدران الخيم، وفي الفضاءات العامة، وأحيانًا منشور على حبال للبيع.

صناعة الأيقونات:

كيف تفنن الاستعمار الإعلامي " الثوري" في صناعة النجوم والرموز" الأيقونات" الثورية " مشايخ ورجال دين، وشباب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحزاب الدينية/ الإصلاح، جنرالات..إلخ" من صناع ومتعهدي "ثورة الربيع".

في الغرف المغلقة للعقل المحرك للعمل الاحتجاجي، بإشراك فتية " ثورية" من الذين يمتلكون تقنيات بصرية، إعلامية عالية، بعضهم تخرج من جامعات دولية، وبتنفيذ الفاعلين في ساحات الاحتجاجات في محافظات الجمهورية اليمنية، كان تصنيع النجوم/ الأيقونات" الثورية".

وخلال زيارتنا إلى مصر في 2011، رأينا نفس صور/ الأيقونات في ساحة التحرير.

بعض الصور أيقونات تنشر وتكبر وتعتليها الشعارات ليس فقط في ساحة التغيير، بل وفي الشوارع التابعة للساحة أو بالأحرى المناطق التي تقبض عليها الفرقة الأولى مدرع، كصورة توكل كرمان، وصورة الطفل "مقلوع العينين" و"الشهيد الحافي"، و"الشهيد أنس" الطفل الرضيع،.. إلخ. والأيقونات من الماضي كـ"جيفارا، "الرئيس إبراهيم الحمدي"، وعبد الرحمن الإرياني"،..إلخ. لقد عدت الآلة الإعلامية مفرخة للطوطميات بأشكال متعددة تبعًا للقداسة والسوق أيضًا، فلم يتوقف إنتاجها على تمسرح الأيقونات في الواقع، فقد تموضعت الأيقونة في موقع المتعصب ضد أيقونة أخرى، بأنها الأكثر إيمانًا، والأكثر ثورية، وإلهية، وشيطانية.. إلخ من خانات الاحتراب والحرب النفسية، والحرب الضروسة في حوادث العنف على مستوى المنصة، أو في أروقة الساحات، من خيم وغيره.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نذكر على سبيل المثال عندما حاول بعض شباب الإصلاح أن يضعوا لافتة عبدالله بن حسين الأحمر الذي رحل في 2007 بحجة أنه أحد رواد التغيير في اليمن، ليأتي الرد احتجاجيًا من قبل بعض الشباب وخصوصًا المستقلين، قائلين،:" إن الشيخ الأحمر رمز لليمن، لكنه ليس رمزًا للمدنية والديمقراطية التي ينشدونها"[1]

ومن الشعب يريد إسقاط النظام، إلى الشعب يريد إسقاط صالح، إلى الله أسقط النظام، والثورة أنتصرت، عند رحيل صالح إلى السعودية للعلاج، وبذا تحقق الهدف الأول من الثورة بسقوط النظام وصالح معًا، وأن الفاعل هو السماء/ الله.

الامتلاء بالوهم صبته المنصة لتضخه في مسامات الأجساد المتحرقة شوقًا إلى النصر بإسقاط نظام علي عبدالله صالح، فثورتهم ثورة حق ومحسومة بالنصر المؤزر، فالحق مع الثوار المؤمنين، وماعداهم باطل. هذا اليقين الأيديولوجي المتضخم جرى تسويقه عبر الدعاة والجمع والصلوات، والخطابات لاحتجاجات الربيع العربي2011، فلا شرعية إلا للثورة والثوار والفعل الثوري!

الجماهير المستلبة بأثر رجعي كجزء لا يتجزأ من ثقافة الاستلاب والطاعة في المجتمع اليمني، كثقافة قبلية، وثقافية دينية مهيمنة، مجتمعات أمية، تستثمر في الأمية لتسوق قطعان الجماعات والحشود بالتجهيل الممنهج، وتحولها إلى أرقام وأشياء.

---

(1)https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2012/01/02/234472.html، 2022 فبراير 1)، 8:20، صباحًا).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ف" الإنسان المتشيء يعلن عن برهان حميميته مع السلعة. تبلغ صنمية السلعة لحظات من التسامي المتقد المماثل لنوبات نشوة اختلاجات أو معجزات الصنمية الدينية القديمة. والاستخدام الوحيد الذي يتبقى هنا هو الاستخدام الجوهري للخضوع "[1]

فرجة الخرافة، من لحوم مسمومة، وغيرها:

ومن على المنصة/ المنبر، كانت تتوالى المشهديات وعبر خشبتها كانت تتدحرج البيادق المترابطة برباط العصبية القبلية والعصبة الحزبية، والدين – المسيس، والنهل من الماضي السحيق، ما أثث متحفًا للخرافة والتخريف تحولت مفرداته الخشبية والحجرية المشكلة من بطون مجلدات عهود الشح العربي إلى مزار لطوابير طويلة متنوعة " الكل واحد" من تلك العقول واللحى التي تستعرض خرافاتها بواقعية، وكان الجمهور المخدر يبكي ويصفق متشنجًا ويهتف عقب كل خرافة تنسكب من فم داعية" ثوري"، أكان في المنصة اليومية في قلب ساحة التغيير بجانب مجسم الإيمان والحكمة، أو خلال المنصة الجمعوية/ المنبر، أثناء صلاة الجمعة".

المنصة والرؤيا

الشيخ عبدالله صعتر، القيادي في حزب الإصلاح، وخطيب ساحة التغيير في جمعة الدولة المدنية، يقول بأن أحد الراوة، أخبره، وهو " محمد علي قاضي وإمام وشيخ وخطيب مسجد القص في أول

(1) مرجع سابق، " مجتمع الفرجة"، ص31.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعبان يقول" أقسم بالله العلي العظيم أى في منامه رسول الله"ص" وخالد بن الوليد واقفا على منصة ساحة التغيير يقول " اصبروا ياشباب والله أنكم منصورون، وأنا معكم "[1]

من اختار ساحة التغيير"

" بالله عليكم من الذي اختار ساحة التغيير بصنعاء وجعلته في هذا المكان؟ أليس هو الله، بجوار النصب الإيمان والحكمة، بيت الله، وخلف ظهركم جامعة ومستشفى الذي هو مستشفى العلوم والتكنولوجيا، جعل الفرقة لحمايتكم وأنتم تحمونها، حتى الشوارع كانت تحمل حصانة/ وصاية شارع الحرية، وشارع العدل- شارع تونس، والقادسية، والرباط، إنها ساحة مباركة، والله لقد اختلط الدمع مع الدم(كررها مرتين) وجدت فيها عينان لا يمسهما النار عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله.[2]

لا تخلو ساحة من ساحات الاحتجاج من الخطباء وهم يكرعون باستعراضية رؤى مناماتهم، مع الرسول (ص) والصحابة، وقادة الفتوحات الإسلامية،..إلخ. فتتلقفها عقول الثوار بتهليل عظيم، وصيحات الله أكبر.

في سيرورة مخيال"الحالمون الجدد " خزنة ثرية ومتفجرة من أحلام الأكشن الثوري لعصور ضاربة وموغلة في القدم ينثرونها بحسب الظرف والمكان والزمان وبتكتيك ثوري خالص كأنهم

(1) https://www.youtube.com/watch?v=TEgdLDT5OW4(عبدالله صعتر)
(2) https://www.youtube.com/watch?v=pbV rxCqpjg

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يديرون معركة استراتيجية/مصيرية محفوفة بالأسرار الإلهية، وما على الحشود وهم يتلقفون خرافات الرؤية، وأضغاث الأحلام، وترديد بعد كل حلم متبل بأكشن الحوافر والصحراء والناقة الغيب، فاتحة أفواهها الفاغرة مسحورة بلعاب العصور السحيقة، متشنجة، محوقلة مهللة ومكبرة بـ: الله أكبر، ياسبحان الله، لاحول ولا قوة الابالله " و"أنه على كل شيء قدير "يأتي بعدها الدخول في الغيبوبة الثورية للاستجمام والنوم في سرائر الجنة وتناول مالذ وطاب من أكل وشراب خمر الجنة، والحوريات. فأحلامهم حقيقية تحمل بصمات إلهية وثورية ومن ثم فهي لا تقبل التشكيك بها مطلقًا، بل إنها أحلام مدعمة بالرسول والخلفاء والصحابة والمجاهدين، وقادة الفتوحات الربانية، والمبشرين بالجنة وو..إلخ.

ولذا فإن مجرد التشكيك بها يعد كفرًا بالذات المراجع الدينية الإلهية، فالرؤية "فرض عين"، محرم التشكيك بها، وأضعف الإيمان يخرج المتشكك بالوصمة الثورية المعروفة:" كافر، علماني، شيوعي، قومي، عميل/أمن قومي، مندس، طابور خامس"..إلخ.

لذا تخوف بعض المعتصمين من المجاهرة بأنهم غير مؤمنين بما يسيل من أفواه العلماء من على المنصة أو في أروقة الساحات من خيم، وتجمعات، وأيام الجُمع خشية أن يلحق بهم شبهة "شق الصف الثوري".

"دعوهم، يحلمون فانهم مأمورون".

في المستشفى الميداني كم من الجروح طابت بأمر قتيبة وببسملة أم البراء، وكم أجريت عمليات جراحية دقيقة بقراءة سورة يس،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومسحة ابن جندب، وكم جروح تقيحت وتلوثت بأمر فقيه الثورة لأن ثوار الحسم لم يسمعوا نصائح أنبياء الثورة.

فمثلما قال بارت "لا يمكن لأحد الكهنة أن يلتحي عن طريق المصادفة"[1] هكذا كان القابضون على الاحتجاجات وجمرة الدين، أو كما يسمون أنفسهم، "حماة العقيدة وحراسها"، "حماة الشرف والعرض"، الجزء الأصيل من البنية العميقة للاحتجاجات المزدانة بالخرافة الإيمانية" لبيع الأوهام التي تتناسل على مدار الساعة والتي تعد جزءًا من صميم ثقافة المجتمع اليمني المعزول والمقهور. إنهم "المتسفلون الثوريون"*. لا يقلون عن سدنة محاكم تفتيش الضمير.

أولئك المعتصمون/ " الحشود الخام " تسونامي الأجساد للفرجة المليونية سلموا أمرهم لقيادة ذوي اللحى الحمراء في أوقات السلم وفي الاحتجاج بتوهم دور السماء في صناعة التغيير وبالوعد الغريب بأن عام 2020 هو عام قيام الخلافة الإسلامية الموعود"[2].

وفي الحرب أيضًا استمرت خرافاتهم كاقتصاد يومي للناس. إنها صُرة القداسة كجزء من الثقافة والحياة اليومية والذاكرة الجماعية.

فالمحتجون والمعتصمون الذين خرجوا للمطالبة بالحرية خرجوا ينتفضون ضد العبودية وإذا بهم يقعوا في أسر عبودية أعتى وأعنف، تغييب العقل.

---

(1) مرجع سابق" أساطير"، ص 65.

* المُسفّل/ المُسَفّلة : عجوز/ة، تنزل إلى الموتى في قبورهم، وتأتي بأخبارهم، وكيف يعيشون، ومافي ذمهم من أشياء واحتياجات.

(2) https://www.youtube.com/watch?v=8ES360ZPfTE.(8:40،2022/1/24)،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وينطرح السؤال، هل العقل الملغي وموروث الخرافة، ومليونيات يسيرها آمرًا شيوخ رجال الدين والقبيلة يصنع تغييرًا، يصنع يمنًا جديدًا، كما تغنت الاحتجاجات بمنصاته المختلفة؟

وفي السياق، كان الشاعر العربي أدونيس محقًا عندما صرح إبان احتجاجات 2011،" بأنه لا يؤمن بمظاهرات تخرج من المساجد"، وكان رد الأستاذ عبد المجيد الشرفي المفكر التونسي، على سؤال وجهه بهذا الصدد" هو محق إلى حد ما في هذا الموقف، لأن الدين غالبًا ما يستغل عامل استلاب، بينما هو نظريًا يمكن أن يكون كذلك نازعًا للاستلاب، إذا ما توفر فهم آخر للدين مختلف عن الفهم السائد. ومن سوء الحظ أن الإسلام السياسي لا يؤدي إلى تحرير الإنسان وإلى تنمية الشخصية الحرة المسؤولة، بل يعمل على تكريس تبعية المسلم للمشايخ وللمتاجرين بعواطف المؤمنين" (1)

فرجة، أحرجتمونا، و"براءة الاختراع"

وبالمثل، خرجت، أيضًا، خرافة" براءة الاختراع" للداعية الزنداني(2)، استحقاقًا لثورة الشباب، انتشرت بسرعة النار في الهشيم بين المعتصمين وفي القنوات الإعلامية الشهيرة، فأصنام الدين والتدين الاستعراضي، وشعارات المدد الإسلامي وفرجة مطلب الشريعة، واحتفاء منصة الساحة بهم وبخطاباتهم بشكل

(1) الشرفي، عبد المجيد، " حوار الثورات: حوار مع المفكر عبد المجيد الشرفي"ص13، مجلة مدارات (مجلة فصلية ثلاثية اللسان، عدد19 20 صيف – خريف 2013.

(2) https://www.youtube.com/watch?v=YY6AlsPX0rg.(12:14،2021دجنبر29)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يومي- سجلتها الباحثة تصويرًا وكتابة - كـ" حركة مدد الثورية" وشعارها، يقول" ابن عطية في كتابه المحرر الوجيز" كل شعب لا يشاور العلماء والقادة واجب عزله بلا خلاف".

ملصقات ترتص على الخيم، تحت اسم، حركة شباب الإسلام"، والزنداني: " أيها الشباب تستحقون براءة الاختراع، لقد أحرجتمونا"، الدكتور القرضاوي لأبناء اليمن" هذا زمن الشعوب ودور الشباب"، وسليمان العودة":"إن الشعب اليمني أثبت تفوقه على رئيسه أخلاقيًا وسياسيًا".

ثم التعريف بـ" حركة شباب الإسلام"، هي" حركة شبابية شعبية، إسلامية حقوقية، معرفية مستقلة، حضر شبابها الثورة، ونظروا لها، واستشهد بعض من كان ينوي إنشاءها، وإكمالًا للدور صار التأسيس في حقنا واجبًا، وهي حركة فيها كوكبة من الأساتذة والعلماء والشباب المتعلمين، حاز بعضهم درجة الماستر والدكتوراه، وفيهم صحفيون وحقوقيون.

صورة أخرى، "واعلم أن ترف المؤمن من قيام الليل"..إلخ.

لقد جرت مسرحة/ فرجة للأفعال في ساحة التغيير التي هي جزء من فرجة المجتمع ريفًا وحضرًا.

فرجة شباب الحسم، والثورة المضادة: التخوين

الإيقاعات الرتيبة: المقيل والمسجد والخيمة والمنصة، وانسياب الملل اليومي وتدوير التثوير، وأعمال العنف والقمع من قبل اللجنة الأمنية والتنظيمية في الساحة، و"حراس الثورة" الجيش

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحر"/ الفرقة الأولى مدرع، واعتقال الشباب في سجن الساحة، الأمر الذي جعل جماعات ثورية شبابية وخصوصًا المستقلين، وشباب الصمود " الحوثي" وشباب من أحزاب مختلفة، كالحزب الاشتراكي اليمني، وغيرهم ينادون بضرورة التصعيد والحسم، وكانت تقام اعتصامات يومية داخل الساحة لمطالبة قادة الثورة بأن يسرّعوا بالحسم، وكانت الفعاليات تقام بالقرب من المنصة والمسجد/ المستشفى الميداني، ولأكثر من مرة فرقت المسيرات الصغيرة، واتهم الشباب بأنهم مضادون للثورة، ومندسون، وأنهم أتباع "عفاش"، وهدفهم خرق وحدة الصف الثوري، فكانوا يدافعون عن أنفسهم من خلال شعاراتهم، التي حملت نفي التهم، والتذكير بمطالب الثوار، " الشباب ليسوا مندسين ولا بلاطجة"، " لا للالتفاف على ثورة الشباب وقمع حرياتهم"، "أنا ثائر مش مندس"، " ثورتنا ثورة سلمية مطلبنا دولة مدنية"موقعة من " شباب حسم الثورة"، " الشباب ليسوا جسرًا لعبور أي قوى سياسية"،"" ثورة ضد الظلم أين ما وجد"، "يامعتقل لا تخف"،" نطالب بالإفراج عن جميع الشباب المعتقلين"،"نرفض أي محاولة انقلابية ضد الثورة"،" يكفي تخوين"، "لا لقمع الثوار".

كان الشباب يدركون أن وراء هذا التدوير الثوري، صفقات سياسية تبرم من أجل إنهاء العمل الثوري والقبول بتسويات لصالح القوى الحزبية التي انضمت إلى الثورة، خصوصًا أحزاب اللقاء المشترك، وعلى رأسهم " حزب التجمع الإصلاح"، وكانت الاعتراضات داخل الساحة، موجهة أكثر ضد حزب الإصلاح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنصته، ومحاكم التفتيش التي نصبوها لملاحقة المعارضين لهم. فكانت أصوات المعارضين صارخة وبحدة:

" لا للتمديد، نعم للتصعيد"

"لا وصاية ولا احتقار، مهما طال الانتظار"

شدوا الهمة ياثوار"

يا معتقل يا ثائر، سجنك في الساحة جائر"

"هل وجدت اللجنة الأمنية لحماية الشباب أم لااعتقالهم؟"

"اللجنة الأمنية باطل"

"الثورة منتصرة، منصورة، دحرنا العائلة وبواقي العائلة"

"الثورة المضادة في التنفس الصناعي"

"نجاح الثورة ضرورة وطنية، تهم كل مواطن يمني لأن الثورة الشعبية لا تعود للوراء"

"الفشل لايوجد في قاموس الثورات"

لقد، احتبس الزمن في اليمن وفي ساحاته الاحتجاجية بشكل خاص، فحوصر وتحوصل، ونام، ودخل في غيبوبة من كهف يلاقح الحفريات وآثار انسان مر من هنا، وثقافة عبرت هنا، وعظام موتى متناثرة تحكي حياة مرت من هنا.

وعلى وقع هذا الملل والإملال، ودورات التثوير المكرورة، ترنحت الثورة الربيعية وتحجرت وقليلًا قليلًا تلاشي التغيير داخل حفر الصراعات، وتقصقص بجلباب خرساني أحكم قبضته وصارت ثورة مرت هنا. وهتاف مر من هناك، وشهيد غرزت أصابعه في إسفلت خيمة منصوبة، وحنجرة تقرحت هتافًا، وحلم ارتفع وتوسع وتمدد، ثم ما برح أن انفلت وغاص وتبدد تحت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقدام وحوافر وأضلاف القبيلة والعسكر والمشايخ والفقهاء الذين حبسوا الزمن، وحبسوا آلة الزمن، والتغيير، وحبسوا الحلم، ووثقوا وانبطحوا، ولم يعد التخوين مقصورًا على اللجان الأمنية والتنظيمية، كمحاكم تفتيش، عبر أذرعها في كل شبر من ساحات الاحتجاج، بل بين الشباب أنفسهم، ومحاكم تفتيش الثورة التي تحولت إلى لا هوت ينصب المشانق من سجن وضرب وتفتيش، يوزع صكوك ثائر، ولا ثائر، بدرجات، فمحاكم التفتيش ليست في الساحات فقط، بل وانتشرت وعمت سموات هذه البلاد/المحرقة، تفشت أمراض الثورة المضادة، في دوائر العمل، والتجمعات، وداخل الأسرة الواحدة.

وصارت مشانق الثورة تنصب لك قبل أن تدلف مكان عملك، سيأتونك وأصابعهم في عينيك،: لقد قلت أن الثورة لم تنتصر، وإنها سُرقت، ولا بد من ثورة جديدة، وأن المشائخ والعكفة والجنرال أفشلوا الثورة واستثمروها من خلال دماء الشباب لمصالح شخصية بحتة. وتخوينات مستوردة من دول الربيع الأخرى مصر، ك " الفلول"، " البلاطجة". إنها أسطوانة فرجة التخوين التي تدور ولا تشبع من تفصيل خانات العمالة والثائرة النظيف للثورة الأنظف، الثورة الأنقى، والأخطر 11 فبراير 2011، والشهيد الحافظ، وأحرجتمونا..إلخ من مقولات التخريف (الثوري).

ليصبح من المشاهد الاعتيادية، أن ترى الضرب والانتهاك والسجن و"الدردرحة"، لقد كان التخوين والعنف أيضًا جزءًا من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستعراض اليومي للساحة الثورية، حتى العنف أصبح سلعة وجزءًا من المهمة الثورية، لكي تكون الثورة بيضاء نقية، بحسب " دعها فإنها مأمورة".

فرجة مسيرة الحياة، إنعاش محتضر

في تلك الأثناء حاول الشباب أن يقوموا بضخ الدماء في الجسد الاحتجاجي المقيد بالتسويات، والمثخن بالصراعات البينية، فكان للمصارع الأخير، أو "المصارع المقهور" أن ينفخ الروح في الجسد الميت على " الثورة" بمسيرة الحياة" في 20 ديسمبر 2011 أعاد الضخ الثوري قليلا من عرق الإنعاش للثورة، لكن سرعان ما انقطع النفس، وتوشت بالموت.

لنعرج قليلًا على مسيرة الحياة، وكانت المفاجأة في مسيرة الحياة (السلمية)، الراجلة قام بها شباب تعز في 20 ديسمبر 2011 لإنعاش ثورتهم، والرد على أن الثورة انتهت، أو لأولئك الذين يوصمون بأنها ليست ثورة بل أزمة، واعتبرها البعض أنها ثورة مكملة للثورة الأم 11فبراير..إلخ.

مسيرة الحياة، التي لقبت بالمسيرة الغاندية اللاعنفية/ السلمية، لكن للأسف تعسكرت، إذ نزلت جماعة الحوثي بسلاحها المخفي *

* كانت المفاجأة في المسيرة الغاندية السلمية، أن جماعة الحوثي التي نزلت من صنعاء لملاقاة شباب تعز، قد نزلت بسلاحها المخفي، ليضعوا المحتجين أمام الأمر الواقع، وعند السؤال، لماذا السلاح، وهي مسيرة سلمية. فيجيبون بنفس إجابة الفرقة الأولى مدرع وجنرالها: للدفاع عن الثوار العُزل(الباحثة كانت من ضمن المشاركات، ومن وجهت الأسئلة لبعض المشاركين). وعند العودة رفضت الباحثة، وبعض الشباب منهم سامية الأغبري، الذهاب مع المسيرة إلى مقر الرئاسة، وآثرن العودة إلى بيوتهن، محتجات على تغيير خطة وأهداف المسيرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضمت أيضًا مسيرة الحياة الحوثيين والتيارات المختلفة، والمستقلين، وبعض الإصلاح، وللأسف كان الحوثيون مسلحين (سلاحًا مخفيًا) لم يعلم به البعض، إلا بعد اجتياز نصف المسافة، فبعد تناول الغداء، بدأ الهجوم من الجبال باطلاق الرصاص الحي الذي انهال على رؤوس جموع المستقبلين من صنعاء لملاقاة شباب مسيرة الحياة القادمة من تعز وإب، وذمار، فظهرت الأسلحة، وقال أحدهم، للباحثة، "من أجل ذلك حملنا السلاح، للدفاع عن النفس"، وأردف" لحمايتكم، وحماية كل شباب المسيرة". وعند الإياب وسط كرنفال الإستقبال للأبطال الثوار الآتين من تعز بالزغاريد، والهتافات، كان إصرار بعض قادة المسيرة، منهم(الظاهرون والمخفيون) حرف المسيرة السلمية/ الغاندية عن سيرها الطبيعي، بالوصول إلى القصر الجمهوري له الأثر الكبير في تحولها إلى معركة دامية بين أنصار صالح وبعض مشاركي مسيرة الحياة..مما حدا باالسفير الأمريكي أن يأتي بتصريحه الذي أثار الشباب، حين قال فاير ستاين من أن " مسيرة الحياة لم تكن سلمية مضيفًا في مؤتمر صحفي" يبدو أن لديهم (المحتجين) نية بأن لا يقوموا بمسيرة سلمية ولكن الوصول إلى صنعاء بهدف إثارة الفوضى والتسبب برد عنيف من قبل الأجهزة الأمنية واعتبر دخول المسيرة إلى صنعاء أمر غير قانوني" وبالتالي فإن الحكومة لديها الحق بالحفاظ على القانون"، مضيفًا، "إذا قال الناس إنهم يريدون أن يصلوا إلى قصر الرئاسة والبرلمان لمحاصرتهما فإن هذا ليس شرعيًا"، مشيرا إلى أن السلمية ليس فقط انعدام حمل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلاح "[1]، على أثر تصريحاته التي أغضبت الكيان الاحتجاجي، طالبه المحتجون (المجلس الثوري- تعز) بالاعتذار وسحب تصريحاته، ومغادرته اليمن.

الاستعراض هو الأيديولوجيا بامتياز، كما قال ديبور، لأنه يوضح ويعرض بشكل كامل جوهر كل نسق أيديولوجي: إفقار وإخضاع، ونفي الحياة الواقعية. الاستعراض هو مادي والتعبير عن الانفصال والتباعد بين الإنسان والإنسان". إنه القوة الجديدة للخداع "[2]

إن بؤس المشهد، لم يكن فقط في التقاتل الجسدي وإنما كان متلازمًا مع صراع وتقاتل مرده الأساس هو الفكري، إذ يجري حقن المتجمهرين في ساحات التغيير بأمصال "الأمة المجاهدة" والقوة، والثبات، والانتصار" الفزعة" النفير، النصر القادم، والإرادة الثورية، والمنصورون، وأنهم سادة الفتوحات..إلخ من صوت القبيلة والجماعوية وأدواتها الساخنة في خطاب الاحتجاج وساحاته، ولذا وظفت أدواتهم من أيام الجُمع، والخُطب، والمنصة، والمساجد، والمقايل،..إلخ من المنابر.

لقد تم تأثيم النقد، وترهيبه بزعم أنه يشق عصا الانتصار لإسقاط النظام، لتأثيث الساحة بالخوف المتضخم وبثه بين المحتجين، عبر وسائل الإعلام، والمسجد والصلوات خصوصًا يوم الجمعة، واللعب على الميديا في المونتاج على صور من العالم،

---

(1)http://sahafaa.net/show565073.html

(2) مرجع سابق، "الإستعراض.."، ص94

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجرى إلصاقها بهذا الطرف أو ذاك. وتكرست مقولات قادة الموت" الثوري" من أن " الله خلق الإنسان اليمني ليكون مجاهدًا أو شهيدًا، والجمع بينهما ليفوز برضا الرب" و"من مات دون عرضه فهو شهيد"، وكان البطل في هذه المسيرات العابثة هو الاستعراض المهيمن على الساحة وجمهورها في إثراء جانب العنف، والذي حصد مئات النفوس.

لقد كان عام 2011 عام الفرجويات المتعددة، مشهديات متناسلة، تجتر بعضها بعضًا، انحدرت إلى بؤس مشهدي كارثي، إنه الاستعراض البائس المتخم دينيًا وطائفيًا، والفقير في مستواه الثقافي والفني، مقارنة بربيع مصر أو تونس، إذ جرى اجترار للإنشاد الإسلاموي، والتعبئة منه وبه، وإن صاحبته بعض الآلات الموسيقية الضاجة، والكلمات السريعة السيارة، التي تجتر تارة ألحانًا شعبية، وأخرى من الإيقاعات العربية الجديدة، وفي المجمل لا تخلو من الصبغة الإسلامية المتطرفة.

من يرى الساحة: صورة الساحة، عبارة عن كتالوج كبير وفضفاض من استعراض الأجساد، والمسيرات، والأكل، والشرب، والصلاة، وتخزين القات، والتهليل، والتكبير، والبكائيات، والبرع، والهتافات، والزوامل، واللعب وو..إلخ، مجتمع فرجة مدوي عموديًا وأفقيًا، " فـ"وحدة البؤس هي ما يختبئ تحت التعارضات الاستعراضية. وإذا كانت أشكال متنوعة لنفس الاستلاب تُنازل بعضها تحت أقنعة الخيار الكلي، فذلك لأنها جميعًا مقامة على تناقضات حقيقية مكبوتة. ويوجد الاستعراض في حالة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مركزة أو حالة منتشرة، وفق ضرورات المرحلة المعينة للبؤس الذي ينكره الاستعراض ويدعمه. وفي كلتا الحالتين، لا يعدو الاستعراض كونه صورة توحيد سعيد تحوطه الوحشة والفزع، في المركز الهادئ للبؤس "[1]

فرجة " مش وقته الآن" و" الثورة دهفتني".

لم يكتف القابضون على الفعل الاحتجاجي بتلك الاستعراضات الطافحة عنفًا، بقدر ما دفعوا بالأمور نحو التشظي، إلى فرجويات أشد ضرواة، وخصوصًا على النساء، والفئات الهشة داخل منظومة احتجاج كـ" الشباب"، على سبيل المثال أسطوانة، " مش وقته":

فعندما غدت ساحة التغيير، مع الأيام، سجنًا كبيرًا، تديره مقابض محاكم التفتيش الثورية، رصدت مئات الانتهاكات من أول يوم تغيير وكلما فتح أي معترض فمه، يأتيك "حماة الثورة والعقيدة من اللجنة الأمنية والتنظيمية في"الجيش الحر"، يفتحون أفواههم ببغائية تحوي الألفاظ العنيفة والتخوين:" يا جماعة، لا تكبروا المشكلة، وتسموها انتهاكات، "مش وقته الآن"،" معنا ثورة"، خلونا في البدء نسقط عفاش/صالح، وبعد ذلك كل شيء بايسبر من وقته"، نحن الآن في معركة، "إما أن نكون أو لانكون".

وكل ما استفحل التنكيل واستشرس، تخرج الأفواه والأذرع التابعة لهم، من مثقفين وكتاب وصحفيين وفنانين، تتمسخر

---

(1) المرجع نفسه، ص29.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استهزاءً بالانتهاكات أمام فعل الثورة، ك "هي ثورة، مش دكمة.. هههه"، "دكمتني الثورة" هههه، "دهفتني الثورة"* خصوصًا عقب الاعتداء على مسيرة النساء اللواتي خرجن للتنديد بخطاب صالح ضد الاختلاط 2011/4/16. وتدفقت قريحتهم، خصوصًا في أتون فورة الساعة السليمانية لمفعول القات، وأطلق على المناهضات لآلة العنف، وخصوصًا السجون، والاعتقالات والضرب، العنف بالضرب وبالضرب بأعقاب البنادق وإطلاق الرصاص، وتحطيم الكاميرات، والسجن والتخوين، فهذه الأعمال، ما هي إلا مجرد دكمة/دهفة، و"خالتي فرنسا"*، "جمعية تيار الثورة دهفتني"، "إنهم ليسوا ثوارًا حقيقيين"، "الإصلاح تحرش بي"، "الفرقة ضربتني"، بل وخرج دهاقنتهم من المغتربين في دول المهجر الأمريكي والأوروبي، من "أن الناشطات هن من تحرشن بجنود الفرقة"،

"الإخوان فوبيا، من يثير الرعب من الإخوان المسلمين في ساحات الاعتصام وهو لايفعل أكثر من أنه يطعن الثورة في قلبها الغض... لا أحد يفكر باختطاف الثورة، فالثورة نفسها عملية تحرير لمختطفه"(1)

* من الدكمة، وتعني اللكمة. دهفتني، أي دفعتني.

* فيلم مصري، بطلته عبلة كامل التي تعمل ندابة في الشوارع والأحياء الشعبية.

(1) مقال للكاتب مروان الغفوري "تعالوا نؤجل حرب قندهار وقريش."، 28ديسمبر2021 12:41)، ظهرا.https://almasdaronline.com/article/18749

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نموذج آخر للسخرية، " أنصار الثورة دهفتني لم يكونوا ثوارًا حقيقين مطلقًا وأمرهم مفضوح ويتكلمون بما تريد السلطة التي أبدت خوفها وقلقها على ثورة الشباب من أن تسرق، فأبدوا تخوفهم وبكوا ورأينا دموع التماسيح... لسنا وحدنا في هذا المجال ففي كل الثورات، هناك ماتسمى بالثورة المضادة، حدث هذا في الثورة الفرنسية، وو..إلخ "[1].

وظهرت أيضا من طرف آخر، نجيبة حداد وفي قناة الجزيرة.. في 8 ابريل 2011 رددت ماقاله الزعيم صالح حول الاختلاط في ميدان السبعين وتحولت مفتية ثقافية حيث قالت،: "إن خطاب الرئيس لا يحمل أي إساءة وأفتت بأن الاختلاط لساعة أو يوم واحد مقبول، أما إذا زاد على ذلك فحرام "[2]

الثورة فاشلة/منتصرة: التخوين بمسميات

فيما يرى بعض الكتاب والمثقفين والمشاركين العاديين، بأن الثورة فاشلة، فهنالك من يقول إنها لم تفشل، هي كامنة وستنتصر، لأنها "ثورة حقيقية" ويستشهدون بأن الثورة الفرنسية استمرت عقودًا من الزمن حتى أوتيت أكلها!

منذ أن بدأت الأصوات في خطاب المنصة، والتثوير الجمعواتي" الجمعة الثورية"، "جمعة منصورون بإذن الله"، وغيرها

---

(1) مقال للكاتب فيصل علي، " الثورة المضادة"، https://marebpress.net/articles.php/video/23008/articles.php?lng=arabic&id=10758 14) مارس 2021 6:44، صباحًا).

(2) صحيفة الشارع 14 مايو 2011 العدد 191

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من جمع إشاعة وتبادل الكراهية من طرفي الصراع: الستينيون، والسبعينيون، بعضهم قال، إنها ثورة مضادة. وإن الحكم للشرعية الثورية وهنا بدأت المهاترات والحروب الصغيرة، من هي هذه الشرعية الثورية، ماهيتها؟ والحوثيون يستمدون شرعيتهم الثورية من استمراريتهم في الساحات. أعتقد أن أطراف الصراع الثأرية دخلوا وفي معطف كل واحد منهم، أجندته وسياسته وفكره، الذي يتبع حزبه وجماعته، وتحت غمد خنجره، وسلاحه غير المرئي، والمرئي، المخبوء مؤقتًا في الساحات نفسها، وفي الخيم.

" إن المجتمعات الأبوية وبغض النظر عن اختلافها في المظهر تتقاسم البنى العميقة نفسها "(1)

القبيلة الكبرى إذا تتكلم، وتثأر حين تتكلم، وتقتل، وتغزي، وتسلم، وتستسلم، تحكمهم عقيدة واحدة، كما يقول المثل الشعبي، " دين القبيلي مثل الغرارة"* حيثما ترجح الكفة ينحاز.

يقول تقرير تشاتم هاوس" إن الثورة الشعبية لعام 2011 قد أظهرت أزمة الدولة على صعيد الشرعية السياسية، علاوة على تسريع الصراع العلني بين فصائل نخب النظام. فالإحباط الذي شعر به الشباب اليمني إزاء الإقصاء السياسي والاقتصادي قد حداهم في يناير 2011 إلى احتجاجات شعبية في طول البلاد وعرضها. فقد أتاحت الثورة في نظرهم فرصة لإقامة دولة مدنية والتخلص من نخبة فاسدة ضخمت من التوترات القائمة بين

---

(1) شرابي، هشام، " النظام الأبوي، وإشكالية تخلف المجتمع العربي"، نقله إلى العربية، محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية، ص41

* وعاء مصنوع من الصوف أو الشعر، يستخدمه الفلاحون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فصائل النخب المتنافسة لتسفر عن انشقاق علني داخل النظام، وخوفًا من اندلاع حرب أهلية بين الخصوم العسكريين دفعت الولايات المتحدة الأمريكية والسعودية إلى انتقال بالتفاوض أدى إلى تنحي الرئيس صالح لنائبه لبناء جسر السلام والمستقبل "[1]

يتشابه هذا مع ما أورد بن عاشور نقلًا عن مصطفى كريم عن احتجاجات تونس ومجلس التضامن للساحة (اللجان الأمنية والتنظيمية- رابطة حماة الثورة) أنهم:" على شاكلة الأحزاب النازية، يتوفر لدى الحزب جهاز سري ومليشيات في رابطة حماية الثورة المغلفة بتنفيذ الأعمال القذرة للحزب " [2]

ويصدق ديبور في أكثر من موقف ورأي وحدث، عندما يقول، "حيث يتحول العالم الواقعي إلى صور بسيطة. تصبح الصور البسيطة كائنات واقعية، وحوافز فعالة لسلوك في حالة تنويم "[3]

نخلص

لا نغالي إذا ما قلنا إن الساحة/ المنصة كانت فرجة للتباهي بالأحلام والأماني، واستثمار الألم عبر مزاد الجثث والأشلاء، التباهي بالألم المضاعف والتأليم، التباهي المضاعف بالصلاة والتهليل.

---

(1) تقرير تشاتم هاوس، " اليمن – الفساد وهروب رأس المال والأسباب العالمية للصراع"، الملخص التنفيذي ولتوصيات، حيني هيل، وبيتر سلزبري، ليوني نورندج، وجين كتنمنت، ص2 3.

(2) ابن عاشور، عياض، " تونس ثورة في بلاد الإسلام"، ترجمة، فتحي بن الحاج يحيى، معهد تونس للترجمة/ سراس للنشر، 2018، ص 183.

(3) مرجع سابق، "مجتمع الاستعراض"، ص 12.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد كانت فرجة سياسية-دينية/ صلواتية، فلكلورية من الزمن السحيق وببهرج استعراض جديد وبكاميرا ديجتل. استخدمت المنصة كسوق للبيع والشراء بالمفرق والجملة من فرجة التبرعات، إلى أثاث البيع، إلى مشهدية الدم والجثث والنعوش، سوق من الأرقام بالزيادة والنقصان، لكن الزيادة مشروع ثوري تصنيفي: عدد الشهداء، الجرحى المنضمين، عدد النساء، الجمع، أرقام الولاء والبراء، عدد المسيرات، والانتصارات...

دهن الشعارات الذي بدأ برغوة وانتهى بدسومة حد التجلط: هيا ارفعوا الساحات، لقد انتهينا، فالثورة انتصرت، سقط صالح، فمن، " الثوة نائمة رحم الله من أيقظها"، إلى " دعها فأنها مأمورة "، و"اغلقها فإنها مأمورة" أيضًا.

نعم، السيناريو، الاستعراض استوفى مهمته، أي خلص، فقف، فـ: "الله يتكلم من خلال المنصة، انتصرت الثورة، والله أسقط النظام، انتهت المنصة والخيمة، انتهى الاحتجاج/ الثورة!

شباب الصمود - الحوثيون، الخلايا النائمة والذين مسكوا بالبيضة والحجر وبخيوط الساحر، رفضوا الانسحاب واحتفظوا بمتاريسهم وتحصيناتهم في الساحات، بحجة " الثورة مستمرة"، وتمكنوا من الانقلاب والحكم، كما حدث في 21 سبتمبر 2014.

12- الميديا:

شكّلت وسائط الميديا المتنوّعة، وسيلة مشهدية وخطيرة، وأكثر انتشارًا، رغم انقطاعات الكهرباء، ووصل تأثيرها إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأرياف القصية، عبر الفيسبوك، وما تنقله التليفونات، واليوتيوب، والهشتاجات في وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك حملات التضامن التي تبدأ بـ" كلنا فلان"، وعلى مدار الحدث.

لقد شكلت الميديا بهرجًا"فرجة"/ "مشهدية"، تشتغل على الألوان، والدمج" تقنيات الميديا"، إذ كانت تضخ في الساعة مئات الصور، عن الفعاليات الاحتجاجية، وتنقلها أول بأول إلى الداخل والخارج، بالإضافة إلى الحملات الإلكترونية للتضامن.

وعلى مدار اليوم، تتجنّد المجاميع من الصحفيين والناشطين في كل ساحات الجمهورية لعمل ما، لحدث ما، استنفار ما، ومن أهم هذه المجاميع" مجاميع مواقع التواصل الاجتماعي"، التي كان يطلق عليها" مليشيات الفيسبوك"، أو "الجيش الإلكتروني"، "الذباب الإلكتروني... وغيرها من المسميات، وهم مجاميع كبيرة من المجندين المخفيين" على شبكات التواصل الاجتماعي الذين كان لهم الأثر الكبير في توجيه الرأي العام، وافتعال القضايا عند ظهور بعض المنتقدين لأعمال العنف والشغب من قبل القوى المهيمنة على الساحة، كاللجنة الأمنية والتنظيمية، والاستئثار بخطاب الاحتجاج لتلك القوى. كانت لغة هذا الجيش الإلكتروني بمثابة الداعي "الفزعة" و" النكف" وكلها مسميات لأعراف قبلية."للنداء وجلب الحشد" المعارض وتصنيع الحشود، وتفخيخها بالأيديولوجيا، "كانوا يخاطبون" في آن واحد الحشود. في المقابل الجانب الإشراقي للميديا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان هناك جيش ألكتروني، يشتغل على التهكير للصفحات الناقدة للاجتجاجات، يقول عبد الرزاق العزعزي في يومياته، " تفاصيل ثورية سرية كاملة"، " في 2مايو 2011، تم تأسيس الجيش الإلكتروني اليمني، وعمل على اختراق المجموعات التابعة لمعارضي الثورة، وهم من النظام السابق، يعطل الصفحات المسيئة للثورة، وبعد كل هجوم ينشر الجيش عبارته شبه المعتادة، " هانحن الآن مع هجوم جديد من أجل يمننا الجديد"، بالأمس هجمنا على شبكات عدة وتم حجبها عن أصحابها لساعات، ثم عاودت الظهور، وفي هذا اليوم، سنهجم على صفحة جديدة لاستكمال مابدأناه بالأمس حتى نصل إلى هدفنا وهو إزالة تلك الصفحات المزورة للحقيقة والمستهترة بدماء شهدائنا وجرحانا الأبطال إلى الأبد"[1]

ويمارس الجيش الإلكتروني مهام التحوير والتعديل من تركيب ونسخ ولصق، للصور كالتي تُظهر رئيس النظام وأعوانه في ملابس نساء، وملابس رقص، وشراب خمور، وأوضاع جنسية مشينة، مع التعليقات، وبالمثل شكّلت وسائط الميديا بالنسبة إلى طرف النظام ساحة للنيل من المحتجين، ودمج الصور بطريقة توحي بأن ممارسات لا أخلاقية تمارس داخل الساحة وخيم المحتجين، كما رأينا أن فعاليات ثقافية وغنائية كانت تتم داخل الخيم، وداخل الساحة يتم التلاعب بالزوم والحركات لتوحي بأن

(1) https://www.yemeress.com/freedom/18470، (2022/1/24، 7:15) صباحا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هناك فضائح[1]. وكذلك ركبت فيديوهات لرقصات شعبية قديمة في احتفالات وطنية واجتماعية قبل 2011، وذكرت بأنها من قلب ساحة التغيير.

أحدهم يفتتح فيديو لرقصة ناشطات يمنيات ومحتجين يرقصون على إيقاعات أناشيد يمنية،(فالرقص في ثقافة اليمنيين بكل فئاتهم، يعتبر خطيئة، وفضيحة، خصوصًا إن رقصت امرأة، ولذا فإن من يقومون بالرقص ينتمون إلى جماعة الفنانين، المتحدرة من جماعة المهمشين والمزينين)، ويكتب أحدهم،:" هل هذه هي الحرية والانفتاح، يا من نجستم البلاد بدعارتكم نعم وألف نعم أقولها الآن وأنا واثق أنكم لستم من ظهور آبائكم، فأنتم أبناء شوارع، فكل واحد منكم لم يعرف أباه للحظة. قبُحتم وقُبحت ثورتكم اللعينة، يا من جلبتم العار والخزي لليمن واليمنيين"[2]

نخلص، من ذلك، إلى أن الميديا و قنوات فضائية وبقية وسائل الإعلام قد تحولت إلى منصات للاحتجاج وانتشارها في أوساط الشباب، تحولت معها الساحة، بل والواقع إلى صور وفرجة، فتلك المشهدية التي كانت تبثها وسائل التواصل الاجتماعي كانت جلها واخزة ألمًا خصوصًا حالات الاستشهاد لمجاميع الشباب، وحالمة أيضًا بفكر "الثورة المستمر"، ومع مرور الوقت وما حدث من تحولات في المشهد الاحتجاجي خصوصًا في

(1) https://www.youtube.com/watch?v=u_nbMBiY2fw ،2020/6/15 ، 11:44، صباحا.

(2)https://www.youtube.com/watch?v=cOsX_RcGBgY

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الساحات، لم تظهر الصورة ماهو حقيقي، بل صور لم تعد موجودة في الواقع، أو على الأقل شوهت، فخطاب الأيديولوجية هو الفاعل والمهيمن على وعي الناس وانفعالاتهم، في هذا الصدد يحضرنا قول ديبور: "حينما يتحول العالم الواقعي إلى مجرد صور، تصبح الصورة البسيطة كائنات واقعية فاعلة ضمن سلوكيات تتخذ حالة التنويم، وبما أن الاستعراض يستخدم وسائط متعددة، فتظهر لنا أن الواقع لم يعد موجودًا سوى عبر المرئي، بل ولا يمكن الإمساك به مباشرة"(1)

13- الصورة

نعتمد رؤية جي ديبور في كتابه الهام "مجتمع الاستعراض"، في معنى الصورة وبلاغتها ورمزيتها ثم مقاربة رولان بارت في قراءة الصورة سيميولوجيا. فكيف أثّرت الصورة في الفضاء العام وفي المخيال أيضًا؟

اضطلعت الصورة في المخيال العام بدور دعائي تحريضي لتهييج الجماهير/ المعتصمين إذ تزاوجت الصورة مع الخطاب كما يقول، منير السعيداني:"تعتمد الرسائل الدعائية المبثوثة على التزاوج، صورة/خطاب، من أجل إنتاج صيغ إيحائية منشطة للخيال تبني جماعات انتماء موهومة أو افتراضية أو منشودة أو تقوي جماعات قائمة يدعي المتلقي في كل حالاتها تلك إلى الانتماء

(1) Debord, Guy, "The Society the Spectacle", The Anarchist Library, Anti Copyrighe Retrieved on February 13th, 2009, page13.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليها من أجل اكتساب ما يعتقده متوفرًا لديها من عناصر القوة والحق والخير لخدمة التقدم والعدل الإنساني، في نوع من الإيمان شبه الديني. تكتسي الصورة في هذا المجال وباستخداماتها تلك مكانة مركزية في سيرورات المسرحة الاجتماعية للمكانات والأدوار في الساحة السياسية من جهة، وفي بناء الأيديولوجيات من جهة أخرى، بما يحيل على تشييد العوالم المنشودة في طوباويات الفعل السياسي"[1]

إن مسرحة الصورة، أو صور التمسرح في الاحتجاجات شديدة الأثر، جزء لا يتجزأ من مسرحة المجتمع، والقوى الفاعلة هي التي تجيد صناعتها وإخراجها، وقد تفننت بمونتاج وإخراج هذه المسرحة لـ2011 فكان مسرحها الأول التعبئة الأيديولوجية للمحتجين للالتحاق بساحات الاحتجاج لإسقاط النظام، ونقل تفاصيل العمل اليومي للأنشطة المختلفة في الساحات اليمنية محليًا وعالميًا، بما فيه مسرحة العامل الإنساني، والضحايا، وحتى اختراعهم.

وكانت للشباب والقوى المدنية، من فنانين وصحفيين أدوار مهمة في تصوير مشاهد العنف الذي تعرض له المعتصمون ونقله أكان من قبل النظام، أو من قبل عساكر الفرقة الأولى مدرع أو من قبل نظام المنسقيات" الأمنية والتنظيمية" المهيمنة التابعة للحزب

---

(1) السعيداني، منير، "الرؤية والمدى، حصاد نقدي للبحث في المخيال"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، وحدة البحث في المتخيل، 2006، ص 89.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحاكم في الساحة. وقد أشارت بعض الآراء إلى حدث الصورة والواقع، مثل مشاهد العنف من خلال الضرب الذي تعرض له الشباب والنساء"، وما تعرضت له المصورات، " صور النساء المشاركات في فعالية سلمية وهن مصدومات من تعرضهن للاستفزاز والتنمُّر والضرب من جانب العسكر المنتمين إلى الفرقة الأولى مدرّع، التي ادّعى قادتها انحيازهم للانتفاضة، صور علي عبد الله صالح وهو يخاطب أنصاره من على منصة السبعين محاولًا إخفاء رعبه وإبراز استخفافه بالانتفاضة ومطالب أنصارها، وتحديدًا وبالذات عند اقتراب أحد مستشاريه ليهمس في أذنه وتذكيره بالتعرض لموضوع مشاركة النساء في الانتفاضة واختلاطهن بالرجال، وقد أفتى يومها علي صالح بقوله "أدعوهم إلى منع الاختلاط الذي لا يقره الشرع في شارع الجامعة"[1].

وكان للصورة أيضا صدى كبير عند القبائل اليمنية، إذ اعتبرت بمثابة "داعي القبيلة"*، وبالمثل كان الداعي لحضور الساحات، إذ تدفقت الآلاف من القبائل، لاسيما قبائل حاشد وبكيل* بمشهدية يومية اعتبارا من 2011/3/19 وقد " اشتد الانضمام بعد مجزرة الكرامة في 18مارس2011، وقبل هذا التاريخ كانت بعض القبائل قد بدأت تتدفق إلى ساحة التغيير يوم 21

---

(1) https://www.youtube.com/watch?v=URHQSdc75bs.صباحًا (8:19، 2022/1/24)،

* أي النداء أو النفير العام من خلالها وكأنها تخاطب ناطقة أيضا، بطلب النجدة/ الغارة، ويطلق الداعي تحت مسميات عديدة: " النكف/ الفزعة/ المقّدَمْ، حيث يدعو شيخ القبيلة، أبناء القبيلة، فيحضرون بسلاحهم وعتادهم، ويسمى ذلك اليوم، بـ" يوم القبيلة".

* أكبر القبائل اليمنية وأضخمها عددًا وعتادًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فبراير 2011، كان انضمام القبيلة "س، أو ص" إلى ساحة التغيير مشهدًا يوميًا متكررًا.

وأصبحت الساحة مجتمع الفرجة بامتياز، مجتمع "الأيديولوجيا" تستعرض فيها: الأجساد والكتل البشرية، الملصقات والصور، المسيرات، الشعارات، المنصة – باعتبارها فرجة في حد ذاتها- والصلوات، وحتى حوادث العنف المرئية كانت لها فرجة خاصة بها، وصارت الساحة وأحداثها(فرجة/ مشهدية) مهيمنة على الفضاء العام، والإعلام المحلي والدولي ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث تدفقّت ملايين الصور، وبدأ العالم يعرف اليمن، كما يتحدث المحتجون ويكتبونها، حتى اليوم" الثورة التي أدهشت العالم".

لقد كان مجتمع الساحة المجتمع السيسوسو- ثقافي – سيميولوجي، مجتمعًا للفرجة/ العلامة، حيث الفرجة" هي الأيديولوجيا بلا منازع "[1]، وحيث هي ليست الصور، بل علاقات اجتماعية بين أشخاص، تتوسط فيها الصور"[2].

كانت هذه الصور والملصقات تنتشر في ساحات الاحتجاج مثل النار في الهشيم، بل وتُكَبّر بلافتات وتنشر في الصحف التي صدرت بساحات التغيير، وتصبح أيقونات على حسابات الناشطين والمحتجين الآخرين، بل وتُباع في الأسواق، مبثوثة في

(1) مرجع سابق" مجتمع الاستعراض"، ص14.
(2) المرجع نفسه، ص10.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل مكان، إنها " الصورة الفوتوغرافية التي تعبث بنظام العالم، تصبح هي نفسها مختزلة، مكبرة، متقطعة، مرتشة، معدلة، ومحتالة"[1]

كانت الصور تتدافع كل يوم، تضخ في كل مكان من اليمن، تصحو على الصور وتنام على الصور، وتتناول " القات"/ تِخْزن على مئات الصور. كان السيلان البصري يتدافع في الظلام أكثر غير عابئة بانقطاع الكهرباء تضاء، وبقدر ضخامة الصور كان تضخم الساحة، والفعل الثوري المليء والضاج بـ"الانتصارات" حدّ الإيمان المطلق بأن النصر على مرمى البصر، وما على المحتجين سوى الصبر والثبات في الميدان/ المعركة/ الساحة.

لقد كانت صورة الاحتجاجات بوابة الاستعراض/ المشهدية/ الفرجة بامتياز، وعدت بلا رتوش جزءًا مصغرا من صورة المجتمع اليمني، فـ " سيميولوجيا الصورة لا تصنع نفسها خارج سيميولوجيا عامة" [2].

إن معظم المتحدثين إلينا عن سؤال الصورة الفوتوغرافية أجمعوا على "أنها سلاح"، وأضافوا، أنها "تشكل أرشيفًا هامًا"، و"ذاكرة مرجعية"، و"قيمتها للتاريخ،" و"ذاكرة حية، فيها

---

(1) سونتاغ، سوزان،" حول الفوتوغراف"، ترجمة عباس المفرجي، دار المدى، ط1، 2013، ص11.

(2) غرافي، محمد، "قراءة في السيميولوجيا البصرية، العدد "1"، عالم الفكر المجلد31 يوليو سبتمبر2002، ص23.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصدق"، وأنها "أظهرت شجاعة الشباب"*، ولقد استشهد بعض المصورين في مجزرة الكرامة.

وحملت هذه المنظومة من الممارسات الثقافية (صور فوتوغرافية، مشاهد، رسوم، كتابات، كاريكاتير، جرافيتي،..) في العمل الاحتجاجي على مستوى الساحات، ولقرابة عامين العديد من الدلالات والمعاني.

لقد شكلت الساحة فضاءً احتجاجيًا، فضاءً صوريًا عبر المرئي واللامرئي وأوصلت ما يعتمل في الساحة إلى النطاقين المحلي والدولي. حيث عدّت الصورة أداة اتصالية بامتياز، حتى في ظل انقطاع الكهرباء، وما كان تعميم تعبير " الثورة التي أدهشت العالم " إلا من خلال الصورة بغض النظر عن صحة الحدث من عدمه. بل لقد عدت الصورة أداة من أدوات الحرب – دون مبالغة – فمن خلال الملاحظة بالمشاركة، اضطلعت الصورة، في بعض الأحيان بدور في صناعة الحشد والاصطفافات المليونية الضخمة التي أكانت من طرف الاحتجاجات أو من طرف النظام. ولقد انضوى تحت معلم التصوير عشرات الشباب منهم المتطوعون، ومنهم العاملون في مؤسسات إعلامية محلية وخارجية، ومنهم من يشتغل لفائدة أحزاب...

يعرف الغرافي إلى تعريف الصورة بتعريف ميتز" أن الصورة ليست إشارة إلى شيء آخر غيرها، بل هي الحضور الزائف لما

* سقط جمال الشرعبي، أول مصور فوتوغرافي في مجزرة الكرامة 18 مارس 2011.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحتويه هي نفسها. يوجد ثمة تعبير حين يكون "المعنى" – إذا صح القول– ملازمًا لشيء ما، منبثقًا منه مباشرة وممتزجًا بشكل هذا الشيء نفسه "[1]

كان منظرا جديدا، رؤية العديد من المصورات اليمنيات، وهنّ يتنقلن في المسيرات يصوّرن الأحداث، كالمصورة نادية عبدالله وغيرها. وحفلت الساحة بالعديد من معارض الصور الفوتوغرافية، سجّل شهر أبريل ذروتها، مثل" المعرض الثوري" لشباب الصمود، والمعرض الوثائقي للرئيس الراحل إبراهيم الحمدي، ومعرض" ثورة الصورة" في مدينة ذمار للفنان محمد العماد الذي يحمل لقب" مصور الثورة".

أجمعت معظم الآراء على أن الأحزاب الإسلامية ممثلة في حزب الإصلاح، هو الفاعل الرئيس الذي كان يوجه الاحتجاج والنشاط، لكن خرجت قوى معارضة تستنكر ذلك بالصورة، وبعمل منصة جديدة، حتى وإن كان صوتها ضعيفًا.

في الساحة، تتحرك الصورة على أوجه كثيرة وكبيرة "تتحرك على جبهات متعددة، فهي تعمل ضد كل ما من شأنه أن يكرس الامتلاء والقياس المنطقي، قد أصبحت هذه الصورة مرآة هذا المجتمع الاستهلاكي أو مجتمع الفرجة الغارق حتى النخاع في السطحية والإبهار، أو " صنمية الصورة "[2]

---

(1) المرجع نفسه، " قراءة في السيميولوجيا البصرية"، ص229.

(2) حميدة، مخلوف، " مجتمع الصورة بين ثقافة الفراغ وفراغ الثقافة"، تقديم الدكتورة ألفة يوسف، الناشر شركة ميديا قرافيك –منبليز، تونس، أكتوبر2009، ص25.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكلت الصورة والعمل الساحاتي الفرجوي/ الأيديولوجيا وسوقته،" تسليع الساحة والفعل الاحتجاجي/ الثورة"، مثلها مثل أي سلعة "صابون، زيت، طعام"، لقد أسرت تلك الفرجوية ملايين المحتجين بها، بل شكلت قيدًا حديديًا، تغيرت معها بعض المفاهيم والمعتقدات الراسخة، وأصبح العيب والحرام حلالًا إثر تربع الفتوى " سلعة" من على منبر/ مسرح الساحة/ المنصة، وإعلامها من قنوات فضائية ومراكز إعلامية، وأهمهم المركز الإعلامي لساحات التغيير لسان حال الحزب المهيمن على الفعل الاحتجاجي" حزب الإصلاح"، وغيره من وسائل الإعلام المختلفة كمنابر التواصل الاجتماعي – كما ذكرنا سلفًا.

في سياق الممارسة الاحتجاجية، لم نعد نعرف الصورة من الواقع أو العكس، تحول واقع ساحات الاحتجاج إلى مشهدية "الساحة المشهدية" أو الاحتجاج المشهدي، أو ما يطلق عليه بوديار" فوق- الواقع"، وأصبح هذا المشهدي/ المصطنع/ فوق – الواقع، هو الحقيقي من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وخصوصا الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي/ الفيسبوك." نحن نعيش في عالم تزداد فيه المعلومات أكثر فأكثر، بينما يصبح المعنى أقل فأقل"[1]

(1) بودیار جان، "المصطنع والاصطناع"، ترجمة جوزيف عبدالله، مراجعة سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص147.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد حولت القوى المتصارعة على السلطة والغنيمة معنى الاحتجاج إلى مسخ تهويمات، واضطرابات ومشاحنات، تخوين، إهدار لكرامة المحتج فأدخلت الشباب في "بحر من دم"، أذكت الصراع مليشيات مواقع التواصل الاجتماعي ليتحول الاحتجاج من احتجاج "ثوري خام"، إلى استعراض/ بُهرج مضاد له، أي أيديولوجيات متناحرة، "سؤال الإعلام هو سؤال الأيديولوجيا، ودور الإعلام هو دور منتج للأيديولوجيا في عصر الثورة المعلوماتية والرقمية، ويتحكم في الإعلام من يتحكم بإنتاج الآلة الذكية الرقمية"[1]

لقد استخدمت الصورة في الساحة، كورقة رابحة، رأسمال بالنسبة للجماعات الأصولية التي حكمت واستحكمت بقبضة حديدية" عسكرية، ودينية، وقبائلية، ومالية" على الفعل الثوري، إذ ظهرت الصور مصنعا للأيقونات: الوطنيين والثوريين النظيفين والجهاديين الإلهيين الذين يقودون الأمة، وتميمة " كلنا فلان، وكلنا..."، صور كرنفال من النجوميات كان الاستعراض العنفي منفلتا في بعض الأحايين وخصوصا مع وجود حدث سياسي هام" المبادرة، تسليم السلطة..."، تقسّمت الساحة وانفرطت مثل حبوب مسبحة، مثلما هي طبيعة المجتمع الانقسامي الذي تتسيدة القبيلة، سادت الثنائيات والهويات الطاحنة هويات جهوية/ مناطقية/ عرقية/ دينية ومذهبية/ ثنائيات الطهارة والدنس/

(1) المرجع نفسه، ص37.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العرق الإلهي/ العرق المدنس... لقد كانت تلك الهويات تظهر وتكتسح وتلغم المجال العام أوقات، ثم تضمر في أوقات أخرى، وهكذا، فمفتاح يقظتها ونومها، كلما مر المجتمع بهزات قوية مثل احتجاجات 2011.

طغت صورة الساحة/ المنصة مُبهرة، على العديد من الصور الأخرى، برزت بمثابة للاستهلاك السياسي والاجتماعي والديني الذي اتسمت به الاحتجاجات والربيع العربي " اليمني"، فنحن نعيش داخل عالم الفرجة الكبير شئنا أم أبينا، نعيش من خلال أدوات/ وسائل التواصل ولعل أهمها الصورة في مجتمع يضج بالاستعراض.

لقد أصبحت هذه الجموع الاحتجاجية/ الشعبية أيضًا تمتلك مخزون الصور، وتتحكم بموضوعاتها أيضًا، وأصبحت الساحات سوق صور وشعارات، سوق الصلوات، والتهجدات، والأدعية والوعظ بكل أشكاله وألوانه، " عندما نصور فأننا نستولي على الشيء المصور، وهذا يعني أننا نضع أنفسنا في علاقة معينة مع العالم تشبه المعرفة وبالتالي السلطة"[1]

إنها الأيديولوجيا بأنجع اشتغالاتها في الفضاء العام، التي يظهر معها أحد رموز نظام هتلر" جوزيف جوبلز الذي جعل من الدعاية السياسية للنظام أحد أعمدته، فسخّر ووظف الكوادر التخصصية في الإعلام والفنون، والفكر في صناعة الإعلام

(1) المرجع نفسه، ص10.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجماهيري، إذ يقول في مقولته الشهيرة:" ليس هناك أمر أسهل من قيادة الشعب إلى حيث نريد، يكفيني أن انضم حملة إشهارية تبهره وسوف يسقط في الفخ "[1]

استعمار إعلامي ساحر، يدمج الواقع بالصورة، حتى يصعب التفريق بينهما والفكاك من أسرهما، كان الخطاب الأخطر والمهيمن على مستوى الاحتجاجات برمتها:

"يضفي الإشهار على علاقة الإنسان بالواقع طابع التبسيط والسطحية، لأنه يعطي دائما الجواب نفسه لجميع الأسئلة والمشاكل التي تواجه الإنسان: إن البضاعة تتحول إلى تميمة سحرية قادرة على حل المشاكل، إنها أيقونة ذات قدرة هائلة على التأثير، وعلى كشف الغطاء عن كل المشاكل، إنها تُدخل الزبون إلى عالم سحري عجائبي "[2]

نخلص

لقد انقسمت الآراء بين ثنائيتي البداية والتالي، قبل وبعد،(كما ذكرنا) لكن الصورة التي اتفقت عليها معظم الآراء (الجانب المشرق، ثم النفق).

- بداية الساحة(الجانب المشرق) أو ما تسميه إحدى الفنانات التشكيلات اللامنتميات، " الرومانسية الثورية"، ثم بعد مرور وقت قصير، كيف بدأ الثوار من كافة التيارات المختلفة

(1) الصافي، محمد،" الخطاب الإشهاري والدعاية السياسية"، ترجمة، سعيد بنكراد، ضمن كتاب" استراتيجيات التواصل الإشهاري، سعيد بنكراد وآخرون، دار الحوار، ط1، 2010، ص71.
(2) المرجع نفسه، ص77.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيما بينهم الرجال والنساء والقبائل كلهم يدا، يقول، أحد الناشطين غير منتم: " لقد تناسوا ثاراتهم، فكانوا يأكلون في مائدة واحدة"، آخر يقول:" في بداية الثورة كان الإصلاحي يجلس ويقترب من الحوثي ومن الاشتراكي. وكانت هناك مشاهد تضحية وإيثار بين كل الشباب من هذه الأحزاب، فكان بإمكان الشاب التضحية بروحه فداء لحماية زملائه في الساحة حتى لو كانوا من أحزاب أخرى" يصور أحد المبحوثين المشهد الذي يتفق عليه مجموع الباحثين، ويصوره كأنه مشهد من فصل سريالي، يقول: " كانت بعض مشاهد الشباب والنساء وتواجدهم بالساحة، مشاهد القتل والقمع ومواجهة الشباب" الصدور العارية"، لاسيما مجزرة الكرامة، بنك الدم، ومحرقة ساحة تعز، ويواجهونها بـ" سلمية، سلمية.

وبعد ذلك كان النفق المظلم، والذي سرعان ما انحدرت إليه الساحات ومعهما المحتجون، "كتل صراعية "، كما تورد العديد من الإجابات للمنتمين وغير المنتمين، "أحزاب تتكالب على المغانم " لتحقيق مصالحها على حساب الدماء".

مابين الحلم المضاعف والانكسار المضاعف، وما عددته الرؤى بين إطلاق لحدث2011 بمسميات ثورة/ انتفاضة/ احتجاج،..إلخ، كيف كانت حلمًا، وكيف صارت، وما آلت إليه، تراوحت الإجابات، مابين اختلافات التسميات والأوصاف، لكن هناك إجماعًا شبه كليّ على، أن الثورة/ الاحتجاج/ الانتفاضة/

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آلت إلى عواقب معاكسة، أي حرب طاحنة. في كل الأحوال تعدّ احتجاجات 2011 شكلا جديدا في الوعي اليمني تجلى ملمحه الأبرز بظهور وحضور النساء والشباب فاعلين جدد- قبل عسكرة الثورة- في الحركة الاحتجاجية اليمنية في 2011.

إنها بالمجمل طقوس فرجوية من تمثلات ثقافية يمنية، وفرج أخرى حاكت الثقافة الاحتجاجية الجديدة لبلدان الربيع العربي وتفاعلت معها.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

تشكلات الصورة سيميولوجيا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" إنني أرى، بهذه "العين المفكرة" التي تجعلني أزيد شيئا ما على الصورة"*

" إغماض عينك هو جعل الصورة تنطق في الصمت"**

تشكلات الصورة سيميولوجيا

" العين تنصت "[1] لم يأت ريجيس دوبريه Regis Debray، بهذه العبارة عفو الخاطر، ولكنه يقول أيضًا مؤكدًا إنه" ليس ثمة معجم للمرئي "[2]. تعددت نعوت الصورة، مثل: العين المبصرة، المفكرة، العين اللغة، صورة ناطقة، وتعابير كثيرة، يتجلى عمقها الناطق في صمتها، فصورة الشلال التي أوردها دوبريه في كتابه، قد صارت ذهنية وذهنية بمعنى، نفسي، وفيزيائي، وجمالي. و"من لديه عينان ليرى، وأذنان ليسمع وأنف ليشم وجلد ليشعر يكون عالمه مليئًا بالصور لكنه يحتاج إلى عقل، ويجب أن يكون منفتحًا قدر الإمكان تجاه كل شيء يستقبله عبر الحواس في المناطق الحسية للقشرة المخية"[3] كما ظهرت تعابير ضاجة عن الصورة في الفكر الإنساني كـ"إننا في عصر الصورة"، "الصورة سلطة"، الصورة "حضارة

---

* مرجع سابق، " الغرفة المضيئة"، ص46.
* المرجع نفسه، ص55.

(1) دوبريه، ريجيس " حياة الصورة وموتها"، ترجمة، فريد الزاهي، دار أفريقيا الشرق المغرب، ط2،2013"، ص290.
(2) المرجع نفسه، ص290.
(3) هوتز، جيرالد" سلطة الصورة الذهنية"، ترجمة، علا عادل، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2013، ص17.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشهد، الصورة "ثقافة ما بعد المكتوب"، "الكتابة بالضوء"، "وأن ترى أفضل ألف مرة من أن تسمع"، الصورة لغة عالمية، العصر البصري،..إلخ. وعلى العموم تعامل الصورة، بوصفها جزءًا هامًا من الدراسات البصرية التي نضع بحثنا في إطارها. لقد شكلت الصورة في القرن العشرين نافذة لقراءة المجتمعات، وكم هي عدد الصور التي حركت الشعوب، وأطاحت بحكام أو رفعتهم، ثم إنّ الرأي العام الصورة أحد أهم صناعاته، حيث يمكن أن تشكل وعي الجماهير، وتعبث به، وتصنع مشهدا يعلق عند الناس، سرعان ما ينتهي مع وجود مشهد بصري آخر.

وعندما نرى الرسائل/ النصوص البصرية في الفضائيات والسينما، وعلى أغلفة المجلات، والإعلانات نتساءل كيف نقرأ الصورة وفق مقاربة سيوسيو- ثقافية- سيميولوجية للوصول إلى المعنى/ الدلالة؟ حيث تمتد جذور كلمة Image، إلى الكلمة اليونانية القديمة أيقونيIcon والتي تشير إلى التشابه والمحاكاة، والتي ترجمت إلى Imago في اللاتينية، وImage في الإنجليزية، ولذلك كانت "الصورة" هي الشكل الذي من خلاله يبرز التفكير على سطح الوعي، فهي ليست محتوى نفسها، ولا واقعًا ساكنًا، أو شيئًا ما يخدم التفكير ويوجد سابقا عليه. إن الصورة " نشاط ذهني وفعل إرادي. وفي استقلالها عن ذلك لا تساوي الصورة أي شيءْ"[1] و"بجمع الصور الفوتوغرافية نجمع العالم" [2].

---

(1) الغرافي، محمد، " قراءة في السيميولوجيا البصرية" عالم الفكر، العدد"1"، المجلد"31"، يوليو، سبتمبر2002، ص227.

(2) سونتاغ سوزان، حول الفوتوغراف، ترجمة عباس المفرجي، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت،2013، ص9 10.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

1- السيميولوجيا:

قرن بارت الدلالة بالأسطورة، فـ" الدلالة هي الأسطورة نفسها"[1] مستمدا مفاهيمه الإجرائية من اللسانيات"[2]، لأن السيميولوجيا "تفترض وجود علاقة بين حدّين؛ هما الدال والمدلول...فالعلاقة بين هذين الحدّين ليست علاقة مساواة، بل علاقة تكافؤ"[3].

وكتب بارت في الهامش أن طقوس التظاهر الاجتماعي تجعل أمر تكوين علم سيميولوجي غاية في الإلحاح: "أنا هنا أمام البحر، والبحر لا يحمل أية رسالة. لكن كم من المواد السيميولوجية نراها على الشاطئ: إعلام، شعارات، لافتات، ملابس، وحتى السمرات، كل هذا يحمل الكثير من الرسائل"[4]وعلى هذا الأساس تصبح القراءة السيميولوجية انتقالا من مستوى إلى آخر، أي إلى مستوى النسق السيميائي الثاني... من العلامة كمعنى إلى العلامة كشكل، ومن ثم إلى المدلول كمفهوم، وهكذا دواليك"[5]. لذلك تكون الأسطورة " جزءًا من السيميولوجيا بما هي علم شكلي ومن الأيديولوجيا بما هي علم تاريخ. الأسطورة تدرس

---

(1) بارت رولان، أسطوريات،أساطير الحياة اليومية، ترجمة قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع،سوريا2012، ص 239.

(2) بارت، رولان،" درس السيميولوجيا" ترجمةع. بنعبد العالي، دار توبقال للنشر،المغرب، ط2، 1993، ص20.

(3) مرجع سابق " أسطوريات..."،ص229.

(4) المرجع نفسه، ص229.

(5) كمال، عبد الرحيم " سيميولوجيا الصورة الفوتوغرافيا بارت نموذجًا"، مجلة علامات،عدد "16"، ص98.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأفكار المشكلنة التي يمكن إعطاؤها شكلا"[1]. ويضيف بأن "الدال فارغ، أما العلامة فممتلئة، ولها معنى "[2]، وبذلك تكون السيميولوجيا منصبّة على "النصوص التي ينتجها الخيال: إنها الحكايات والصّور، والتعابير، واللهجات، والأهواء، والبنيات التي تتمتع في ذات الوقت بمظهر الاحتمال وعدم اليقين "[3].

وترتبط اللغة بالسيميولوجيا ارتباطًا وثيقًا، فهي جزء لا يتجزأ من بنيتها، وقد عدّ بارت اللغة/ اللسانيات جزءًا من السيميولوجيا، كما تصوّرها سوسير، لأن" اللسان هو المجتمعي ذاته، على حد اعتبار بينيفنيست، وخلاصة القول فإن صرح اللسانيات أصبح يتفكك اليوم من شدة الشبع أو من شدة الجوع، مدًا أو جزرًا، وهذا التقويض للسانيات هو ما أدعوه من جهتي سيميولوجيا"[4].

والسيميولوجيا، هي،"ذلك العمل الذي يصفي اللسان، ويطهر اللسان، وينقي الخطاب مما يعلق به من الرغبات والمخاوف والإغراءات والعواطف والاحتجاجات والاعتذارات والاعتداءات والنغمات، وكل ما تنطوي عليه اللغة الحية "[5].

وفي التصوّر الفلسفي لسيميولوجيا اللغة لدى بيرس:" أن الإنسان هو اللغة التي يتكلّمها، ذلك أن الثقافة ليست شيئًا آخر سوى نسق من أنساق العلامات. فحتى عندما يعتقد الإنسان أنه

(1) مرجع سابق، "أسطوريات..."، ص229.
(2) المرجع السابق، ص230.
(3) مرجع سابق، " درس السيميولوجيا"، ص26.
(4) المرجع نفسه، "درس السيميولوجيا"، ص 21.
(5) المرجع نفسه، ص21 22.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتكلم فإنه محكوم بالقواعد التي تحكم العلامات المستعملة. فمعرفة هذه القواعد تعني معرفة المجتمع، ولكنها أيضًا معرفة التحديدات السيمائية لما كان يسمى قديما البنيات الذهنية، أي التحديدات التي تجعل منّا فكرا "[1].

لماذا اخترت السيميولوجيا ورولان بارت لقراءة الصور؟

" أنا محكوم بالفوتوغرافيا"، من هذه المقولة لرولان بارت عبرت عن ماتعنيه لي الفوتغرافيا، ذلك الشغف الذي لا أستطيع أن أتحكم به، بل هي – الصورة- من تتحكم بي، إذ تجدني حتى في لجة الممنوع، أخرج كاميرتي، وأصور اللحظة، التي أحاول القبض عليها، ثم بعد ذلك، تقرأني وأقرأها، خصوصًا مع تعاقب الزمن، والفقد الذي نعيشه خصوصًا في المنافي. كان اختيارنا لموضوع الكتاب، والصورة أيضًا، حيث:

- يشكّل الكتاب- كما أسلفنا- مغامرة لقراءة الصورة، لمعرفة معناها وأبعادها من خلال القراءة السيميولوجية للإجابة عن تساؤل: كيف عبّرت الصورة سيميولوجيًا عن الاحتجاجات، من خلال المُصوِّرِ، والفاعل في الصورة، والمتلقي؟ ونظرًا إلى أن السيميولوجيا من العلوم الحديثة التي تتقاطع مع الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والتاريخ والفنون، فقد ارتأينا أن قربها من تحليل المضمون وكشف المعنى يحيل على السوسيولوجيا.

---

(1) أيكو، أمبرتو" العلامة تحليل المفهوم وتاريخ"، ترجمة سعيد بنكراد، مراجعة، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي المغرب، ط2،2010، ص273 274.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- تشكّل الصورة الفوتوغرافية في ساحات الاحتجاج المختلفة متحفًا فوتوغرافيًا، خطابًا وتواصلًا وممارسات سوسيو-ثقافية، كما كانت الصورة مشهدية أيضًا، تكشف المجتمع من خلال العلامات حسب بارت.

2- الصورة ودلالاتها:

أ- الصورة:

يعترف بارت " أنا لست مصورًا، ولا حتى هاويًا، إذ إنني غير صبور... لم أمتلك تحت تصرفي سوى خبرتين: خبرة الذات المشاهدة وخبرة الموضوع المُشاهد"[1]. وباشتغال رولان بارت على الصور حاول ليس فقط إظهار المعنى/ الدلالات، بل وأن "يفضح" الأيديولوجية أو السلطة التي تختفي داخل الصورة. أي أنها أسطورة، وكما عرفها، أنها" عبارة عن منظومة اتصال. إنها رسالة...إنها صيغة من صيغ الدلالة، إنها شكلّ"...لإعادة استثمار المجتمع من خلالها، وهذا لا يمنع أولًا من وصف المجتمع بوصفه شكلًا"[2]. ولذا يجري تعريف الصورة ومكوناتها مثلما جرى على الأسطورة، فتتكون من دال ومدلول، وعلامة، وتتم قراءتها وتفكيكها سيميولوجيا: "الصورة نفسها تتضمن أكثر من صيغة للقراءة: الخطاطة تتحمل الدلالة أكثر مما يتحمّله الرسم، والتقليد يتحمل أكثر مما يتحمله الأصل، والكاريكاتير كذلك يتحمّل أكثر

(1) مرجع سابق" الغرفة المضيئة"، ص14.
(2) مرجع سابق، " أسطوريات"، ص225.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مما تتحمله اللوحة... فالصورة أكثر ضرورة من الكتابة، لأنها تفرض دفعة واحدة دون أن تقوم بتحليلها أو بعثرتها... فما أن تكون الصورة دالة، حتى تتحوّل إلى كتابة: والصورة مثلها مثل الكتابة، تحتاج... إلى معجم"[1].

ويقول بارت في كتابه **الغرفة المضيئة**": " قررت أنني أحب الصورة الفوتوغرافية أكثر من السينما، رغم أنني لم أتمكن حينها من الفصل بينهما... أردت أن أعرف مهما كلّفني الأمر ما الفوتوغرافيا في حد ذاتها، ما الملامح الأساسية التي تميزها عن عالم الصور... لم أكن واثقًا من أن الفوتوغرافيا موجودة وأن لديها"عبقريتها" الخاصة بها"[2]. وهو يعتبر أن "الصورة هي حالة التآلف المبهم لموضوع، والأشخاص في الصورة يتشكّلون تماما بصفتهم شخوصًا، ولكن فقط بسبب مشابهتهم للبشر... يترددون بين مراسي الإدراك، ما بين العلامة والصورة، دون الدنو نهائيًا من أيهما"[3] ولذلك يتداخل الذاتي بالموضوعي عند بارت، بوصفه أنا وآخر معًا، "... أريد تاريخا للنظرات، ذلك لأن الصورة الفوتوغرافية هي حضوري أنا نفسي بوصفي آخر. هي انفصال مراوغ للوعي بالهوية"[4].

هناك عنصران يؤكدهما بارت في إحساسه بالصورة.

---

(1) المرجع نفسه، ص227.

(2) بارت، رولان، " الغرفة المضيئة"(تأملات في الفوتغرافيا)، ترجمة هالة نمر، مراجعة، أنور مغيث، المشروع القومي للترجمة، ط2010،1، ص9.

(3) المرجع نفسه، ص23.

(4) المرجع نفسه، ص16.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب- الستوديوم Studium والبنكتوم Punctum ورسائل الصور:

الستوديوم هي كلمة لاتينية، وتعني ذلك، "الحقل الرحب للرغبة الفاترة للاهتمام المتنوع، للمذاق المتناقض أحب/ لا أحب، أميل/ لا أميل. ينتسب الستوديوم إلى صيغة الانجذاب، وليس الشغف، ويستنفر نصف رغبة ونصف إرادة، هو نفس اهتمامنا المُبهم، والمراوغ، غير المسؤول، بأُناس، وعروض، وملابس، وكتب، نجدهم " جيدين "[1]

أما البونكتوم فهو " وخز، ثقب صغير، بقعة صغيرة، قطع صغير - أيضًا رمية نرد، البونكتوم - هو تلك المصادفة، التي توخزني ولكنها أيضا تؤلمني، تطعنني"[2]. وتصنف الصور الفوتوغرافية على أنها صور ثابتة، واقعية.

ووفقا لمنهج بارت السيميولوجي في تحليل الصور، سنحاول إشباع تتبّع خطاه في اعتبار أن الصورة تتضمن ثلاث رسائل:

- **الرسالة اللسانية:** ويطلق عليها، الرسالة اللغوية/ الكتابية/ الألسنية، وفي تحديدها اتخذ بارت مقولة بينفست من أن "اللسان هو المجتمعي ذاته"[3]. والرسالة اللسانية، كما يقول بارت" حاضرة في كل الصور إما بوصفها عنوانًا أو مفتاحًا أو مقالًا أو حوارًا في الفيلم أو حكاية مصورة"[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص 29.
(2) المرجع نفسه، ص29.
(3) مرجع سابق، درس السيميولوجيا"، ص21.
(4) مقال" بلاغة الصورة - رولان بارت"، ترجمة أحمد جيلالي، مراجعة أحمد الفوحي، مجلة علامات، العدد، "44"، 2015، ص65.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وللرسالة اللغوية وظيفتان رئيسيتان، يحددهما بارت: الترسيخ، والربط/ المناوبة/ التدعيم. وتقوم وظيفة الترسيخ بـ"تحديد وجهة المعنى الذي تريد الصورة بثه في المتلقي... يتم إبعاد المعاني المحتملة التي من شأنها إحداث لبس لدى المتلقي في فهم مقصدية الصورة ومعناها"[1]. أما وظيفة الربط أو المناوبة أو التدعيم فهي أضعف حضورا من وظيفة الترسيخ، وخصوصا في" الصورة الثابتة"، "لكنها تصبح ذات أهمية بالغة في السينما التي لا تنحصر وظيفة الحوار فيها، في الإيضاح، فالكلمة- الربط تعمل بكل تأكيد على الدفع بالحركة عبر توفّرها، في توالي الرسائل، على معانٍ غير موجودة في الصورة، ومن البدهي أن تتواجد وظيفتا الرسالة اللسانية ضمن المجموعة الأيقونية"[2].

- **الرسالة التعيينية:** التعييني يقابله الدال عند سوسير، وهو الانطباع الأولي للصورة، أي القراءة الأولية للصورة، فالصورة عند مستواها التقريري" تبسط الرسالة الرمزية. وتسوغ التصنيع الدلالي الكثيف في الإيحاء"[3].
- **الرسالة التضمينية**: وهي الرسالة البلاغية/ الإيحائية، الرمزية الأعمق، أي المدلول بحسب هميسلاف، هي العلامة...، هي الإيديولوجيا، هي الرسالة الثقافية بامتياز، "هي الصورة التي يحدث فيها التداخل بين العلامات تناغمًا دلاليًا، وكل علامة تغرف

(1) الغرافي، محمد، "قراءة في السيميولوجيا البصرية"، محمد الغرافي، عالم الفكر، العدد"1"، المجلد"31" يوليو - سبتمبر2002، ص239.
(2) مرجع سابق" بلاغة الصورة"، ص67.
(3) المرجع نفسه، " بلاغة الصورة "، ص70.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من السنن الثقافي الذي يختلف من فرد إلى آخر"[1]. فلا تعرف الصورة الفوتوغرافية بتعريف واحد، وانما بتداخل مدلولات كثيرة على هيئة "شبكة"، "إن الفوتوغرافيا تحتوي على شبكة من الماهيات ماهيات مادية (تستلزمها الدراسة الطبيعية، والكيميائية، والبصرية للصورة)، وماهيّات خاصة (مستمدة مثلا، من علم الجمال، ومن التاريخ، ومن علم الاجتماع)[2].

وللفوتوغرافيا عند بارت معنى فريد، حيث يقول" لكن في لحظة وصولي إلى جوهر الفوتوغرافيا بشكل عام، تشعبت... لم يستطع الجوهر المتوقع للصورة، في رأيي، أن ينفصل عن "الوجداني" الذي تألف منه، منذ النظرة الأولى... أردت أن أعمقها، لا بوصفها سؤالا (مبحثًا) لكن بحسبانها جرحا: أرى، وأشعر، ومن ثم ألاحظ، أتطلع وأفك"[3]، حيث البونكتوم/ الجرح، هو الأبرز فيها، وحيث" تقدّم الصورة على الفور "تفاصيلها" التي تؤلف المادة الخام نفسها للمعرفة الإثنولوجية"[4].

3- سيمائية الصورة الفوتوغرافيةSemiotics of Image

" إن كل شيء يوجد كي ينتهي في كتاب، اليوم كل شيء يوجد لينتهي في صورة فوتوغرافية" مالارميه. "كل صورة هي بمعنى ما

---

(1)مرجع سابق، " قراءة في السيميولوجيا البصرية"، ص241.
(2) مرجع سابق، " الغرفة المضيئة"، ص24.
(3) المرجع نفسه، ص24.
(4) المرجع نفسه، ص30.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حكاية"[1] من هاتين العبارتين، سنحاول أن نقوم بقراءة الصّور التالية سيميولوجيا:

- الصورة الأولى: 2011/3/28
- الصورة الثانية: 2011/3/12
- الصورة الثالثة: 2011/10/26
- الصورة الرابعة: 2012/4/5
- الصورة الخامسة: 2011/3/12
- الصورة السادسة: الصورة الأولى، 2011/3/19، والصورة الثانية 2011/4/22
- الصورة السابعة:2011/7/15
- الصورة الثامنة:الصورة العلوية 2011/4/22، الصورة السفلية 2011/3/31

(الصور: الأولى، والثانية، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والثامنة، من تصوير الباحثة).

(1) مرجع سابق" درس السيميولوجيا"، ص25

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الأولى:

" مشروع شهيد، يوم الوداع"، الفعل القرباني "القرابين " اللدنة"

المستوى الوصفي:

أخذت الصورة، ضمن جملة الفعاليات المشهدية/ الفرجوية بساحة التغيير بصنعاء، بحسب برنامجها" الثوري/ التثويري"، الذي أطلقت عليه" **مشروع شهيد – يوم الوداع**"، وظل ملازمًا لكل العمل الاحتجاجي، بل ويعدّ الأهم والأخطر للفاعل الأقوى في الاحتجاجات، لاسيما بعد مجزرة "جمعة الكرامة" في 18 مارس 2011. حيث كان بمثابة ردّ فعل احتجاجي، آلة القتل للمحتجين. وكانت منطلقاته المفاهيمية" الزحف، الشهادة/ مشروع شهيد/ أنا الشهيد القادم"، حيث قام العشرات من القادة العسكريين وكبار الضباط في المؤسسة العسكرية من جيش وأمن ومن المنضمين إلى الساحات الاحتجاجية بأداء فرجة الشهادة/

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستشهاد برفقة أولادهم، ذكورًا وإناثًا ومن مختلف الأعمار، جميعهم – في الصورة – ما دون 18 عامًا، حملوا – بعضهم- معهم أيضًا زوجاتهم، وأخواتهم "البنات"، بالإضافة إلى العديد من الفتيات والنساء المُنظمات إلى ساحة التغيير" الثائرات"، جميعهم/ جميعهن، كانوا يلبسون الأكفان، خُطت بـ" مشروع شهيد – يوم الوداع"، وكان هدف تلك الفعالية/ الاستعراضية "الزحف نحو القصر الجمهوري" لإسقاط النظام والانتقام من صالح الذي نفّذ مذبحة الكرامة.

كان ذلك هو المشهد التثويري، أثناء دخول الموكب/ الكرنفالي إلى ساحة التغيير للوصول إلى المنصة، وسط الهيجان الجماهيري، بدأ برنامج الخطب من قبل الرموز المشيخية القبلية والدينية والعسكرية وسط الهتافات، والزغاريد، ورقصات "البرع"، وأهم فاعل في تلك الفعالية، كان أحد أعمدة الفرقة الأولى مدرع" عبده حسين الترب".

الصورة تبدو مجموعة من الأطفال بمعية آبائهم وغيرهم من المنضمين إلى ساحة الاحتجاج، كان التقاط الصورة، بعد استعراضهم داخل الساحة والمنصة، يرتدون السواتر/ الأكفان، مكتوبة عليها" مشروع شهيد – يوم الوداع"، باللون الأزرق، ويحملون الورود البلاستيكية بالأبيض والأحمر، ترتص خلفهم ديكورات من لوحات مجسمة لصور الشهداء " شهداء مجزرة جمعة الكرامة"، وشعارات مختلفة، فضلًا عن الأعلام اليمنية.

المستوى التعييني:

الرسالة التشكيلية:

- **الحامل:** الصورة التقطت بساحة التغيير بصنعاء – المنصة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **الإطار:** مستطيلة الشكل.

- **التأطير:** التركيز على إبراز صورة الأطفال " مشروع شهيد" ببزاتهم، وحركاتهم من خلال تعابير وجوههم، التي تتناسب مع الرسالة الأيقونية، فأخذت صورهم الحيّز الأكبر من الصورة.

- **زواية التقاط الصورة:** أتى الالتقاط من الأمام، وبشكل مقربّ لزوم الكاميرا، لتُبرز أهمية الحدث/ الزحف الاستشهادي، وصورة الفرجة الصارخة؛ أطفال بأكفان الموتى " مشروع شهيد".

- **التركيب والإخراج:** تنقسم الصورة إلى ثلاثة أقسام/ صفوف، الصف الأول: الأطفال وأكفانهم. الصف الثاني "آباؤهم" وهم مجاميع القادة بلبسهم العسكري، والقبلي، والصف الثالث: صور الشهداء. فالعين في الصورة أول ما تقع، على الأطفال.

- **الأشكال:** الصورة فوتوغرافية واقعية، ثابتة، يوجد فيها قليل من خطوط و منحنيات.

- **الإضاءة والألوان:** الضوء Liting، هو ضوء الشمس الطبيعي Day Lightوضوء الكاميرا، الأمامية، وأبرزت الألوان في مساحة الصورة هو اللون الأبيض/ الكفن.

الرسالة الأيقونية: The Photographic message

تعريف الأيقونية: يقول موريس Ch. Moris عن العلامة الأيقونية، هي " كل علامة تمتلك بعض مظاهر الموضوع الذي تمثله"[1]

(1) مرجع سابق " قراءة في السيميولوجية البصرية"، ص228.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدوال االأيقونية/ الشكل	المداليل في المستوى الأول/ المعنى	التضمين في المستوى االثاني/ الرسالة الأيقونية
أشكال بشرية	الأطفال، وهم يرتدون الأكفان. العسكر بعضهم يرتدي الكفن. معظمهم ببزتهم العسكرية الظاهرة وبعضهم بلبس قبائل االيمن.	تشجيع الأطفال والشباب على الاستشهاد/ مشاريع االشهادة، فالأكفان تلخص فكرة الموت/ الشهادة، إنه يوم الوداع.
أشكال طبيعية	اللافتات وصور الشهداء، بعض البيوت، المنصة، الورود البلاستيكية التي كلها تمثل (النصر، أو الشهادة)	ليزيد من حماس الشباب على مشاريع الشهادة، فهي مفتاح الانتصار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسالة الألسنية:

جاءت الرسالة الألسنية في الصورة، بكتابة واضحة" مشروع شهيد- يوم الوداع"، و" أنا الشهيد القادم"، لتعمق وظيفة الترسيخ الدال على الأطفال وهم بملابس الشهادة، المدلول/ الاستشهاد عبر الزحف نحو القصر الجمهوري، معقل النظام، والرئيس صالح. وبدت خلفهم رسالة أخرى موشاة بصور الشهداء"، كُتب عليها " يا خير جيل، لا تيأسوا..."، وظهر جزء من العلم اليمني" اللون الأبيض والأسود مكتوب: " يمن جديد".

المستوى التضميني:

حملت مشهدية " مشروع شهيد- يوم الوداع"، العديد من الدلالات والرموز على المستوى الظاهر للصورة، وعلى مستوى المحتوى/ التضميني.

التقطت الصورة ضمن كرنفال حشدوي صارخ للعشرات من القادة العسكريين مع عائلاتهم (أطفالهم وزوجاتهم)، والأخوات المحتجات، في 2011/3/28، ضمن فعاليات "حركة مشروع شهيد – يوم الوداع"، التي انتشرت في كل وسائل الإعلام المحلية والدولية.

دخلت المسيرة الاستشهادية، وسط هيجان الجمهور/ المعتصمين، وصيحات وهتافات (لسانية، وصور) الله أكبر، ويا صنعاء ثوري ثوري، نحو القصر الجمهوري، "لا حوار لا حوار، الزحف آخر قرار"، و" يا شباب العاصمة هبة هبة حاسمة"، و"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزحف بصدور عارية" ارحل، والشعب يريد إسقاط النظام، والجيش والشعب إيد واحدة...

تدخل جموع حركة " مشروع شهيد- يوم الوداع"، ضمن فعاليات شباب 11 فبراير، يؤمها بعض القادة العسكريين والأمن، من بين آلاف الحشود" المعتصمين"، يتقدمهم الأطفال، يحملون الورود البلاستيكية" البيضاء والحمراء، يقول أحد رجال الأمن، ضمن شريط الفيديو، لقناة الجزيرة[1]، يتقدمهم " عبده حسن الترب"، مؤشرًا، بكلتا يديه، وهو يحمل وردة بيضاء وحمراء:" وردة للحب، ووردة للسلام، فإذا أراد أن يقتلنا فليقتلنا، فنحن مضحيين بأولادنا"، ويقول أحد القادة وهو على المنصة: " مستعدون للزحف إلى باب الرئاسة "، وصرّح بأنهم سيرفدون مشروعهم، بـ"حدود عشرة آلاف طفل، وعشرين ألفا من الشباب، وخمسة آلاف من القطاع النسائي"، ويواصل حديثه للجزيرة، إذ يقول للرئيس صالح: " أمامك خياران، إما أن تقتل هذا المشروع بالكامل وهم بالآلاف، أو أن ترحل ولك الخيار، حدد أنت الفاتورة التي تريد، أما نحن فجاهزون".، وبالفعل كان هذا الشعار يتردد في كل الساحات والمسيرات" إما أن تقتل كل هؤلاء... أو ارحل". وكأن هؤلاء الأطفال والشباب وهم بالآلاف يحددونهم، أمام صفقة، في متجر، أو شركة أو مزاد علني،: حدد الفاتورة ونحن علينا الدفع البشري.. قرابين يغترفونها ويبعثرونها في جبهات الداخل والخارج..

(1) https://www.youtube.com/watch?v=x5jUfZmBJqc، صباحًا 9:14، 2020/6/16

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك مشاهد أخرى للقادة العسكريين وأطفالهم ونسائهم والشباب المنضمين، ثم الجموع المهتاجة، والأطفال بسواتر الموت" الأكفان" مع آبائهم وأمهاتهم يهتفون" بالروح بالدم نفديك يا يمن"، تطوق إحدى الطفلات رأسها بشارة العلم الوطني، والورود البلاستيكية، وتصيح بانفعال، " ارحل... حتى الكافر عنده دم، عنده رحمة"، أما إحدى الشابات المنتقبات وتلبس سترة الاستشهاد/ الزحف، " كفن مشروع شهيد"، تصرخ بانفعال شديد اللهجة، فتقول" إننا سنزحف إلى القصر، سنزحف واحد واحد، ومعتصمين هنا حتى الموت، يا* يرحل الآن، يا سنزحف له للقصر ".[1]

يعدّ مفهوم الشهادة والاستشهاد، ركنًا أصيلًا في الثقافة الدينية الإسلامية، ولا يتجزأ عن الثقافة الدينية لدى اليمنيين، خصوصًا القبايل، ويأخذ المنحى الأيديولوجي المُسيس عند أولئك الذين ينضوون داخل مؤسسة الأحزاب الدينية، كحزب التجمع اليمني للإصلاح، والسلفيين، و" أنصار الله"، جماعة الصمود بساحة الاحتجاج " الحوثيون"، وكذلك مؤسسة (الجيش الوطني)، كـ" الفرقة الأولى مدرع".

فالقرآن الكريم يحثّ على الموت/ الشهادة في سبيل الله والحق، وهذا ما يمثله، ليس البعض من شباب الاحتجاج للأحزاب" إسلام سياسي" فحسب، بل وانضوى في سلك

---

* يا، في النص بحسب بعض اللهجات المحلية تعني: إما.

(1) https://www.youtube.com/watch?v=x5jUfZmBJqc، صباحًا 11:20، 2020/6/16

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستشهاد قلة من الشباب غير المتحزبين، أو من الأحزاب كالحزب الاشتراكي اليمني، أو من الشباب والأطفال المغرر بهم، باسم الثورة، والوطن، والعرض، والشرف..إلخ.

كانت الساحات وخيم الاعتصام تزدان بلافتات الآيات القرآنية الداعية للشهادة، والزوامل والمقولات التي تحضّ على الشهادة، وعصابات الرأس وشرائط على الصدور والجنابي، والتي ملأت الساحات عن بكرة أبيها في كل المحافظات، والتي تباع وتوزع على المعتصمين، خصوصا في أيام الجمع والمسيرات.

أما المنصة فتظل ليل نهار تبث التعبئة للاستشهاد، ومنها القنوات الفضائية لاسيما قناة "سهيل" ومن ضمن الآيات التي تجدها مبثوثة في ساحات الاحتجاج، " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضله وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين". وآيات أخرى، مثل "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" سورة البقرة، وآية أخرى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، وانفروا خفافًا وثقالًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون". وكذلك الحديث الديني الشهير الذي ظل مسجد الساحة والمنصة، والقنوات الفضائية يرددونه، " ومن قتل دون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد". رواه الترمذي.

احتلت الصورة مشهد الصف الأول من الأطفال بسترات الاستشهاد، الستوديوم في الصورة كان واضحًا لملتقطة الصورة، في الوجوه، وتحديدًا، "تينك العينين"، وتأويلاتها: نظرات مشتتة، مضطربة، وذلك هو البونكتوم، تلك الوخزة/ الطعنة التي تحدّث عنها رولان بارت في قراءته لبعض الصور، لاسيما صورة أمه، وحديقة الشتاء في كتابه الشهير " الغرفة المضيئة".

بدت نظرات الأطفال في الصورة مشتتة مضطربة، ربما أسئلة، ربما دهشة، ربما كثير من التكهنات، لكن الملمح الواضح، لسان حالها، تشي: لماذا هم هنا، ومن هم هؤلاء البشر" المليونيون"، ولماذا يصرخون، وما كنه حركات أيديهم؟ وذلك باد على أكثر من وجه وحركة خصوصًا ذلك الطفل الذي يحمل شريطًا على رأسه، بجانب سترة " مشروع شهيد، يوم الوداع"، " أنا الشهيد القادم".

يظهر الصف الأول من الأطفال كما هو بادٍ في الصورة مابين جافل، ونائم، ومغمض العينين وملتفت إلى الجانب الآخر، منهم إلى الأعلى وأحدهم إلى الأسفل، (التشتت والغموض)!

بدا أيضًا في الصف الثاني الآباء، بزيهم العسكري والنياشين، من الطير الجمهوري، ونياشين تتبع اللواء الذي يشتغل فيه العسكري، كالفرقة الأولى مدرع أو قطاع الأمن، أو الحرس الجمهوري ممن انضموا إلى الساحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبدا الصف الثالث من الصورة، على شكل لافتات لصور شهداء جمعة الكرامة، تتزامن بعمق مع مشروع الشهادة، لمجاميع الأطفال في الصورة الذين سيسيرون على نفس نهج من سقطوا قبلهم في مجزرة الكرامة، وإن كانت آلة القتل في الأخيرة، هي التي وصلت إلى الساحة، أما هم - الشهداء الجدد - فسيصلون زحفًا وموتًا إلى مربض الرئاسة.

حملت دلالة الزهور منحيين مختلفين، الأول: إنها ورود بلاستيكية، وكأن ما يقومون به هو مجرد صورة/ بلاستيك/ استعراض بلاستيكي/ ودلالة البلاستيك ماهو إلا مجرد أمراض، مكب ونفايات، لاتتحلل في الطبيعة وهي ضد الطبيعة والحياة، إنها تحمل دلالة طاقات الموت المجهر والمخفي، حتى وإن حملت معنى دلالة الدفء والحيوية كاللون الأحمر، والأصفر والبارد كاللون الأخضر، لكنها تشي بالطاقات السلبية، فالطبيعي والبلاستيكي، هما كالحياة والموت. خصوصًا مشهد الأطفال والنساء، يتأرجحون بين الطبيعي والبلاستيكي، فقد ارتضى أهلهم، وجوقة الأيديولوجيا المصاحبة للموت، بملمح الورود ورمزيتها للسلام، كما يرددها المعتصمون، ومن هم حملة مشروع شهيد، وفي الوقت ذاته هي علامة النصر والشهادة، علامة الكفن والدم وردًا، هذا التناقض في الصور حمل أكثر من دلالة، أولًا، كيف تحمل ورود السلام والمحبة والسلمية، وأهدافك من السلمية، وخطابك "ثورتنا ثورة سلمية"، وفي الوقت نفسه تهدد بالزحف، والشهادة، والجثث، بل وتحشد عشرة آلاف طفل، وعشرين ألف شاب،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخمسة آلاف امرأة، بحسب حديث مؤسس حركة" مشروع شهيد- يوم الوداع"؟

أن يكونوا كائنات من بلاستيك، أن تلاقي حتفها في أي مكب نفاية، بما يسمى الجهاد، أو كما قال قائد حركة مشوع شهيد: " نحن مضحيين بأولادنا" وحمل الوردتين البلاستيكيتين، الحمراء للحب، والبيضاء للسلام بحسب حديثه، فهل سيأتي مشروع حياة، من بلاستيك، ومن شهداء، ومقابر؟

فلا سلام ولا حياة مع ممالك البلاستيك، وحضور الموت المجاني، باسم الزحف والشهادة تحت يافطة المقدسات أيًا كانت.

الأمر المتناقض الثاني، ومعروف في العرف اليمني أن آلة العنف والتقاتل لا تمس النساء، ولا تمس الأطفال إذا يعدونه "عيبا أسود"، في الأعراف القبلية، والقوى العسكرية وقادة الألوية ينتمون إلى القبيلة أكثر منها إلى الجيش بمعنى الولاء الأكبر للقبيلة ومنظوماتها، سواء كانوا من رأس النظام في السبعين أم من المنشقين لساحة الاحتجاج. هذه المتناقضات هي فيض من كل النقائض التي تجمعها الساحات، وخطابها.

فهل نحن أمام استعراض، ومسرحة الاحتجاجات، ديكور/ بلاستيك/ الأبيض المتناسب مع الكفن، والأخضر دلالة الجنة؟

وهناك أمر آخر أكثر لفتًا للأنظار، هو صورة الطفل الذي على رأسه عصبة "أنا الشهيد القادم"*، إذ بدا مشغولًا بذاته، بعالمه الصغير وأقحم في مكان ليس له، الساحة بعنفوانها وعنفها، فبدأ

* عصبة الرأس مكتوبة وأحيانًا مطرزة، باسم "أنا الشهيد القادم"، كانت تتلفع رؤوس الأطفال والرضع في الساحة، بل وتباع هذه العصائب في كل أرجاء الساحة، وأحيانًا تهدى مجانًا خصوصًا خلال المسيرات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محدقًا بإصبعيه" علامة النصر أو الشهادة" كيف يوازنهما بحيث تكونان منتصبتين كأصابع أصدقائه، يقول بارت، " ما أراه، مثل زنوج أمبريدان هي البونكتوم البعيدة عن مركز الصورة، الياقة العريضة للقميص الذي يرتديه الصبي، والضمادة التي تلف إصبع الفتاة..."(1)

لقد حملت هذه الصورة طبيعة الاحتجاجات برمتها: الشق السياسي، والشق الديني، وجامعهما الأيديولوجي، فجاءت من ضمن الفعاليات الضخمة التي احتفت بها وسائل الإعلام المحلية والدولية، وهي ضمن العديد من الفعاليات المختلفة والكثيرة في برامج ساحات الاحتجاج تحت مسميات الشهادة والزحف وإسقاط النظام..إلخ من الشعارات، وطبع هذا المشروع الجنائزي "الثوري" بصماته – ضمن البرنامج الاستشهادي- تسمية بعض الجولات والشوارع والمدارس، بالشهداء، مثل شارع "الشهيد أنس"، و"جولة الشهداء"...

فرجة " الزحف نحو القصر الجمهوري

" كلما زدنا شهيدًا.. اهتز عرشك يا علي"

لم يكن خطاب الشهادة جديدًا في ساحات الاحتجاج بل هو امتداد لخطاب القرآن، والمسجد، والمناهج المدرسية، والخطاب الديني- سياسي في الشارع والحياة العامة، والذي جرى الشغل عليه على مدى عقود طويلة، خصوصًا من قبل حزب الإخوان المسلمين الذي استغل النزوع الإيماني للإنسان اليمني، وهو الذي

(1) مرجع سابق" الغرفة المضيئة"، رولان بارت، ص 51.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان قابضًا على مؤسسة التربية والتعليم، وبالذات عندما أسس ورعى " المعاهد العلمية" المرتكزة على الفكر الوهابي المتعصب والعنيف والجهادي، ودعمت هذا الفكر المملكة العربية السعودية، منذ سبعينيات القرن الماضي، وقد تخرج من المعاهد، ومدارس التحفيظ، وحتى المدارس الحكومية، الآلاف من الدعاة، والمجاهدين والمتعصبين، و"القاعدة"، الذين جندوا للحروب في جبهات مختلفة من اليمن ريفًا وحضرًا، وأرسلوا إلى افغانستان، والشيشان، والعراق وسوريا..إلخ.

"إن نصيب التعليم الديني لا يقتصر على هذا القسم من التعليم فهو يحتكر بصورة كاملة كافة المقررات في مدارس المعاهد العلمية(الدينية)، والتي تضم في معاهدها الابتدائية والإعدادية والثانوية سبعين ألفًا من الطلاب وهي لا تخضع لإشراف وزارة التربية والتعليم، كما أنها تقوم بالإعداد العسكري لجزء من الطلاب وهي الوجه الثاني للنشاط السياسي للجماعات الدينية المختلفة، التي للتيار الوهابي مكان خاص فيها. بحكم ارتباطه بالنظام السعودي"[1]

فمفهوم الشهادة في الربيع العربي، عدت فرجة الشهادة الرائجة بشعارها المتجول، بـ" كل مازدنا شهيد"، "ثوري ثوري نحو القصر الجمهوري"، كان له حضوره الخاص، فمن أول يوم احتجاج ارتفعت شعائر وشعارات الشهادة، ويكفي إشارة

(1) مرجع سابق" الجمهورية بين السلطنة والقبيلة"، ص 135

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأصابع بالنصر أو الشهاد لترتفع عند كل المحتجين والفئات، بما فيهم الأطفال.

إنها ميثولوجيا مقدسة وسحر لايضاهيه سحر تلك الشهادة التي تتجمل بالديني والوطني، والقيم الكبرى، احتفلت ساحة التغيير بهذه القيمة: الشهادة، وكم ستكون قيمة الرأس اليوم، وفي الغد؟ وكم عددهم؟ إنهم يتفاوضون بهم وعليهم.. فهذا الاستعراض القرباني الأليم، من أهم المشاريع الاستشهادية في بنك الدم لـ" مشروع شهيد: يوم الوداع ".

وكذلك مفهوم الشهادة كفكر إيماني في الدين الإسلامي، فقد اشتغلت عليه القوى المهيمنة على الاحتجاجات، فأثثت كل خطابها الاحتجاجي بمفهوم الشهادة، والزحف، والقربان، والجهاد، فخطاب المنصة لا يخلو من هذه المفاهيم، وكذلك الصلوات، وخصوصًا أيام الجُمع حيث الحشود الغفيرة. فـ" المصارع قادر على إثارة حماسة الجمهور أو إثارة قرفه، وهو لايخيب أمله أبدًا، لأنه يحقق ماينتظره منه دائمًا بواسطة تعاضد جملة من العلامات "[1]

فعد مفهوم الشهادة فرجة بحد ذاتها بجانب الفرجويات التي ذكرناها، اشتغلت عليها الجماعات كفكر ايماني، وثوري، والاثنان معًا.

كانت مفردة الزحف الإيماني والتثويري العنيف والدموي، هو الحالة الثورية السائدة، والأهم والأخطر، خصوصًا بعد المجازر،

(1) مرجع سابق" اسطوريات"، ص25.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو بعد أي خطاب لعلي عبدالله صالح، أو أثناء المفاوضات وفرض سياسة الأمر الواقع، وكذلك أيام المسيرات، وعندما تكون المسيرة، نحو مؤسسات الحكومية، كرئاسة الوزراء، أو القصر الجمهوري، أو دار الرئاسة، أي تخطي حدود الساحة، كجولة كنتاكي، أو القاع، أو عصر، أو التليفزيون/ ملعب الثورة، يزيد هيجان المنصة والمسجد بالتصعيد والحسم الثوري بالزحف نحو المؤسسات السيادية.

ارتبط الزحف بالشهادة وبالموت قتلًا، مثل " مسيرة الزحف نحو رئاسة الوزراء"، وغيرها وكانت التعبئة تتم أكثر من قبل اللجماعات الدينية " الإصلاح والحوثيين" كون الشهادة أمنية للمسلم/ المؤمن الثائر، لها ثقلها القداسي الوجداني داخل ثقافتهم ذات النزوع الجهادي الاستشهادي.

واتخذ الزحف الاستشهادي أيضًا كمفردة جهادية للحسم، خاصة بعد حالة الإملال "الثوري" التي أصابت الساحات، ودخلت الأمور والحالة الثورية في نطاق المفاوضات السياسية وفرض القوة بالميدان. كانت تلك الجثث هي الأجندة، لتعزيز الانتصار الحاسم على طاولة المفاوضات.

قبل الحشد/ المقتلة –الشهادة"، كان يتم التهيئة عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، والتجييش بالهتافات" الثورة مش تخزينة"، شباب الحسم أيضًا كانوا من المتحمسين للزحف ولسان حالهم يردد، " إلى متى سنظل ندور من وإلى شارع الستين؟، الأسطوانة أن صالح يلفظ الأنفاس الأخيرة، فهلموا إلى الزحف،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في مقدمة الصفوف، يا ثوار باقي دهفة. لا بد من اقتحام الوازارت، الوصول إلى القصر الجمهوري، وأن الأجساد العارية لا بد أن تأتي أكلها من الزحف بأن ترجع نعشًا، وكل ماسقطوا شهداء في المسيرات التصعيدية، تأتي التعبئة، بكل مازدنا شهيدًا، حتى تأتي الأوامر بعد دستة دسمة من الشهداء والجرحى بأن يكفوا، ولهذا كانت أعياد المنصة والتهليل والاستجداء" الفزعة" بطلب النجدة بإمداد شباب المواجهة في الخط الأول، والذين سقطوا، بشباب آخرين، في تلك الأيام "أيام المجازر" يكون وليمة المنصة، إذ يصل النهج التعبوي والدعائي ذروته السادية، وتظل المنصة وفيالقها يقتاتون منه لأيام، استعدادا لمجزرة أخرى، وهكذا.

لقد كانت جمعة الفرصة الأخيرة/ جمعة الزحف، نحو القصر الجمهوري، كان هناك بمثابة الداعي نحو الزحف بحيث توافدت الآلاف المؤلفة إلى ساحات التغيير تحت شعارات: الشعب يريد الزحف نحو القصر الجمهوري"، يا أحزاب لا تمديد ثورتنا ثورة تصعيد"، وهنا بدأ التصعيد والزحف يرتبط بالمبادرة الخليجية.

على سبيل المثال، وتحت شعار" من جولة النصر، سنزحف حتى القصر"، وبإرادة القوى المهيمنة على الساحة في المفاوضات كما ذكرنا، أو التوسع في ساحة التغيير إلى أبعد من ساحة الجامعة، والذي حدث من خلال الزحف نحو جولة كنتاكي، ما بعدها، وعلى مدار أيام، بشعار " جيناكي، جيناكي ياجولة كنتاكي" كلف ثمنًا باهضًا من الشهداء، وصل إلى 87 شهيدًا، وأكثر من 1000جريح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالمزيد من الشهداء، كان يعني المزيد من الزحف، كلما زدنا شهيدًا، كانت التعبئة " الزحف نحو القصر الجمهوري مهما كانت التكلفة البشرية باهظة وبأي ثمن، والتسابق والإمداد بمجاميع شبابية، كتب عليها مشروع شهيد، كما كنا نشاهدهم في ساحة التغيير في أكثر من مجزرة.

هذا أحد شباب ائتلاف شباب تعز، وهو أحد المؤسسين، نور الدين أحمد الميسري إذ يقول "إن التأخر في تنفيذ خيار الزحف إلى القصور الرئاسية وفرض الحسم الثوري سيتسبب في المزيد من الخسائر في الأرواح بصفوف الثوار الشباب بساحة التغيير وتطويل بقاء النظام الحاكم... لن يتخلى- صالح- إلا إذا أجبر على ذلك... لدينا قوات عسكرية وقبائل موالية ومسلحة ورغم ذلك كل يوم يسقط منا شهداء وجرحى برصاص قوات الحرس الجمهوري والأمن المركزي ولا يسقط النظام الحاكم، فإلى متى سنظل معتصمين في الساحات، فكل ما نفعله هو الخروج في تظاهرات سلمية نجوب فيها شارع الستين والشوارع المحيطة بالساحة التي تقع تحت سيطرة قوات اللواء الأول مدرع المؤيدة للثورة ونحتشد للصلاة كل جمعة بنفس الشارع... الحسم الثوري يتطلب أن نكسر حاجز الخوف والرهبة ونسارع بالزحف إلى القصور الرئاسية والاستحواذ على كافة مقار الوزارات والمصالح الحكومية... قد نخسر أعدادًا كبيرًا من القتلى ويصاب منا المئات بالرصاص لكننا سنحقق الحسم ونسترد اليمن "[1]

(1) http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/cb250ba3 dff3 4c4e ac25 8f7d4110f443

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا حماس طفل معتصم بساحة التغيير بمدينة الحديدة، وبلهجة أهل الحديدة:

واووو يا أم إلى بوك لك بالله اليك تبوك لك من ته أم بلاد"

خلاص أبناء تهامة مايشوناكش بوك بالله إليك بوك أم سعودية أحسن لك"

من ته امبلاد والا شايزحف للقصر امجمهوري وشايرحلله بالرضى أو با امصميل احلك بوك لك بوك، بشرفك يا أاالى وربنا سا يخارخنا منك ان شاء الله"(1)

وترجح الرأي مابين قابل للزحف ومعارض له، انطلق الأخير من مبدأ: تكلفتها البشرية الباهظة، ثم أن في ذلك خروج الثورة عن مبدأ السلمية التي كانت أحد وأهم مبادئها، ثم التعبئة الخاطئة التي تتم كفرض واجب لاسقاط مؤسسات الدولة، وخصوصًا المؤسسات الرئاسية. كما حدث الزحف نحو بنك الدم، ورئاسة الوزراء، عند الزحف لبنك الدم التي سقط فيها العديد من الضحايا، كانت هناك مشكلة بين توكل كرمان واللجنة التنظيمية، فاعتلت توكل كرمان، وخالد الأنسي في العاشرة صباحًا منصة ساحة التغيير، ودعيا إلى الزحف، ونادت الشباب" اللي مع توكل يخرجوا إلى اليمين/ واللي مع الأحزاب الفاشلة يخرجوا إلى اليسار" لم تجد تجاوبًا، وعادت عصرًا في نفس اليوم وقامت بمسيرة داخل الساحة لإخراج المعتصمين من خيامهم، ثم اعتلت المنصة، ورددت ذات الأمر:" اللي مع توكل يخرجوا إلى اليمين، واللي مع الأحزاب الفاشلة يخرجوا إلى اليسار"، ودعت إلى الزحف لتأييده

(1)https://akhbaralyom ye.net/news_details.php?sid=40161

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحماسة عالية...بعدها خرج الشباب للزحف فتمت مواجهتهم أمام بنك الدم"[1]، وبنفس الإيمان تقول، عقب إدانتها بالتسبب في مجزرة الزحف وإزهاق العديد من الأرواح، " ماجرى بالأمس معركة بطولية بكل المقاييس ومن يريد ثورة دون تضحيات فأنصحه أن يغادر الساحة"[2]

وكان سيلان الدم، ورص الجثث في الطرقات والمستشفى الميداني، ومن ثم انتظار الجمعة ليتم استعراض الجثمان والدفن، استعراضًا فاشيًا لما يحدث من عبث، فـ" الاستعراض يكشف أنه النفي المرئي للحياة، أنه نفي للحياة أصبح مرئيًا"[3]

يأتي السؤال، هل حقًا، كما سمعنا، كان الشباب ذكورًا وإناثًا متطوعين للشهادة؟

هل صحيح أن بعض الآباء والأمهات قد عرضوا أطفالهم ليحملوا مشروع شهيد؟

يبدو من خلال برامج الاحتجاجات التي ظهرت في الكثير من الحلقات التوثيقية أو غيرها من البرامج في وسائل الإعلام المختلفة، أن الضحايا"الشهداء" كانوا يطلبون الشهادة، وهي، "أعز أمانيهم"، رأينا هذا التغزل الاستشهادي من قبل الأهل والجرحى والكثير من المحتجين خصوصا ذوي الميول الدينية، عند سقوط الشباب في مجزرة الكرامة، وبنك الدم، وكنتاكي، والملعب الرياضي، والقاع.

---

(1) صحيفة الشارع، السبت 14 مايو 2011، العدد 191.

(2)https://www.yemeress.com/lahjnews/14508

(3) مرجع سابق" مجتمع الاستعراض"، ص11

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى النساء اللواتي سقطن في الجُمع كجمعة " لا حصانة للقتلة"، تمنين الشهادة، فهذه تفاحة العنتري أول شهيدة في الاحتجاجات، " تمنت الشهادة منذ أن دخلت الساحة، وكانت لها"، وياسمين زُفت شهيدة، وزينب العديني " حافظة القرآن" والحاصلة على إجازة مفتية من عدة مشايخ لتصبح شيخة ومعلمة وحافظة لكتاب الله، وكانت تتأهب لختم القرآن مرة ثالثة، درست الفقه في كثير من مساجد تعز منها مسجد التقوى، ودار القرآن، وجامع الإيمان، وكانت الشهيدة تغسل الأموات، وكانت إحدى العاملات في لجنة التفتيش والنظام، انخرطت بعد محرقة ساحة تعز إلى " تكتل مناضلات ثورة اليمن". فالثقافة الدينية، والقبائلية، والمناهج المدرسية، وسلطة المسجد، والفضاء العام... جميعها مشبعة بثقافة الشهادة.

لقد بدت صورة الأطفال مع آبائهم بالأكفان وكأنهم قرابين سيقت إلى احتفالية الدم في الطقوس الأسطورية، والدينية التاريخية، وكان هذا هو هدف الفعالية " مشروع شهيد يوم الوداع"، وتعد طقوس القرابين جزءا أصيلا من التاريخ والأساطير والثقافة اليمنية، إذ تحفل بعض النقوش اليمنية القديمة الخاصة بتقديم القرابين والنذور للآلهة المعبودة آنذاك، ف " هناك قرابين ونذور تمثلت بتقديم واحد من أحد الأبناء يحدّد باسمه الشخص دون بقية الأبناء الذين يكونون ضمن ما قدم من قربان للآلهة المعبودة، والذي يأتي بعد اسم الابن أو البنت، أو هما معًا"[1]

(1) الحمادي، هزاع، " القرابين والنذور في الديانة اليمنية القديمة"، رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار المصرية، بإشراف، عبد الحليم نور الدين/ 2006، ص31.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلا تخلو مسيرة في أي ساحة من ساحات اليمن دون حضور الأكفان، ومشروع شهيد، فكانت بعض المجاميع بما فيهم الأطفال " ذكورًا وإناثًا" ونساء، تحمل أكفانها وهي تجوب المسيرات، بل وكانت سلطة المنصة/ سلطة الثورة" الإسلام السياسي" لا يخلو خطابها من "عشق الشهادة" في سبيل الله، ناهيك أنه في كرنفال كل صباح كان يتم استعراض الأطفال "مشروع شهيد" فبعض الآباء ومنهم من العسكر والضباط في الفرقة الأولى مدرع يأتي ومعه أطفاله ذكورًا وإناثًا ويتم تقديمهم كقرابين للثورة تحت اسم " مشروع شهيد ".

ثم إن بعض الشباب كانوا تواقين إلى الشهادة، إيمانًا، أو استعراضًا وجاهًا، فعندما نقرأ في سير الشهداء، كانوا يتسابقون لنيل الشهادة، بل ويكتبون وصيتهم، " البرنامج الوثائقي قناديل الفجر" و"صحيفة أخبار اليوم"، و"قناة سهيل".

فرجة الكرامة"، ويا شهيد ارتاح، ارتاح

" حين يفقد اللحم طاقته فإنه لا يعود أكثر من كتلة مقززة مرمية على الأرض "[1] هذا ما كانت تشاهده الباحثة أثناء وبعد كل جولة دم، في أكبر مشهدية للمجازر، وهي مجزرة" جمعة الكرامة" في 18مارس2011، أراد المتصارعون أن يؤثثوا الفرجة الصارخة باللحم المطعفر والفجيعة، وبرك الدم الصغيرة التي نزفت من الأجساد كالنافورة، كان القناصة يعرفون إلى أين يوجهون رصاصهم نحو الرأس والعنق.

(1) مرجع سابق "الأساطير"، ص21.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتصارعون بالمعتصمين وهم ذوو اللحوم المسمومة ممن يمتلكون الحق الإلهي في تشغيل ماكينة الرعب وهدر الدم والأشلاء باسم مزاد الشهادة، والزحف الوطني، هم من أثثوا الساحات بالدم المجاني بـ"مشروع شهيد".

في جمعة الكرامة جاءت تسميتها الأولى، باسم " جمعة الإنذار"، وبعد المقتلة أطلق عليها " الكرامة"- كانت الباحثة شاهد عيان على أقسى وأعنف مشهد - كان اللحم والأجساد متناثرة إلى أشلاء هنا وهناك، دخان وهلع وسجادات الصلاة تهرب وتفر معهم لا تعرف ما الذي جرى، سوى أن رصاص القناصة تنسكب بغزارة من سطوح ونوافذ البيوت المجاورة على المعتصمين الذين كانوا يؤدون صلاة الجمعة، وفي خضم الحرائق والصخب كانت الفجيعة مبثوثة في كل وجوه الناس، والأماكن، كانت الجمعة التي لا ولن تنسى وأنت تتخبط بين الأجساد وهي تتساقط أمامك، تارة تغلق عينيك، وأخرى تغلق الكاميرا، وأخرى تهرب، وأخرى تهرب إلى أي جدار آمن لتنجو بنفسك من غزارة الرصاص، أهوال لا تملك إلا الدموع، وسؤال ما الذي حدث ويحدث ولماذا؟ وهو نفس السؤال الذي انطوى على الموت في" تينك العينيين" التي سقطت قبالة أقدام الباحثة، عند المستشفى الإيراني.

كانت الساحة وباستعراضاتها اليومية وجولات الدم بمثابة "أساطير" بلغة بارت، أي لها لغتها وكلامها، وصورها، أي استعراضاتها اليومية.

أحد شعراء الاحتجاجات، أطلق عليه لقب" شاعر الثورة" عامر السعيدي، يصف ذلك اليوم:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"كان الله يعجن الدم والماء بتراب اليمن في شارع الجامعة"، ولم أشعر بجلال النشيد الوطني إلا ذلك اليوم"[1]

جمعة الكرامة كانت استعراضًا غير عادي لحدث غير عادي. ليأتي بعد تلك المشاهد المرعبة التي لايمكن أن تنسى مهما تقادمت السنين. يأتي "زفاف الشهداء" كما يصفونه ويصبغون على ذلك اليوم المشهدي هتاف: "ياشهيد ارتاح ارتاح". حفلة زفاف باهظة، إنها منظومة الديني المتغولة فكرًا وثقافة، لتجميل الموت والأشلاء بأعراس الجنة وبالحوريات اللواتي ينتظرن أحبابهن الشهداء، حيث كل شهيد سيحاط بـ"72"حورية..

هذيان دموي، يستند إلى مرجعيات نصية، وشخصوية، موغلة في قدامتها. يتحول معها التشييع وهيبة الموت إلى طقس فرجوي دام، مثلها مثل أي سلعة. سلعة الموت كانت سلعة رابحة أتقنها ملاك الساحة الحصريون، يستنهضون الطاقات المكبوتة والآلام الدفينة ويستحضرون الجنة والنار وحكايات الأقدمين في بطون الكتب الإسلامية وأحاديث الرسول في سبيل الشهادة، إنهم المصارعون بلغة "بارت" الذين يجيدون المصارعة مع التصارع بدم الشباب.

ولا ينقطع اشتغالهم على فرجة الشهادة في المدارس والإعلام والمساجد حيث يخصصون في المدارس أكان في الطابور المدرسي، أم في الحصص والأنشطة محاضرات عن غسل الميت/الشهيد، وتكفينه، وصلاة الجنازة، والأدعية، والبكاء وغيرها من طقوس الموت، في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية.

---

(1)https://almawqeapost.net/special pens/2698

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذه الأثناء، دخلت على الشعب اليمني ثقافة "المحاضرة " التي يتسابق عليها الدعاة والداعيات للفوز بمقعد في البيوت والأماكن المخصصة للعزاء والأربعينيات والذكرى الأولى، وهلمجرا.

فقد سقط في جمعة الكرامة " 54 شهيدًا، ومئات الجرحى، ويصف الشاعر عامر السعيدي مشهد يوم التشييع، بقوله:" كانت الجنائز هي التي تمشي، كل الناس يبدون كما لو أنهم قتلى، خطاهم ثقيلة، وجوههم شاحبة وداكنة، لقد كان كل شيء يبكي حتى أضواء السيارات ومصابيح البيوت، وإنارات الشوارع، كان الرعب كثيرًا، والحزن أكثر "[1]

فرجة تشييع "قرابين الثورة"

كانت مقبرة الساحة " الشهداء" جزءًا من أثاث الساحة، فمثلما تأثثت الساحات بالخيام، والمنصات والمساجد، والحمامات، والمقاهي، والمقايل، وغرف وحواجز التفتيش، والمستشفيات الميدانية، كانت هناك أيضًا المقابر كجزء من سينوغرافيا الفرجة، للعمل الثوري.

مقبرة الشهداء " سواد حنش" التي أطلق عليها " مقبرة شهداء التغيير، بعد مجزرة الكرامة، التي تقع ضمن النطاق الجغرافي لساحة التغيير مثلها مثل الفرقة الأولى مدرع، فكان يصلى عليهم في الجُمع ثم يشيع الكثير منهم إلى مقبرة الشهداء كما حدث وجرى جثمان 32 شهيدًا بعد الصلاة عليهم في الساحة في يوم التشييع20مارس

(1)https://almawqeapost.net/special pens/2698

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

2011، وصوت الهتافات عاليًا: " يا شهيد ارتاح ارتاح"، لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله"..إلخ.

تأثثت كل ساحة والشوارع المحيطة بها، أو التي تقع في نطاقها كشارع الستين، والعدل، والزراعة والدائري، بالصور الكبيرة للشهداء، أحيانًا تشبه الجداريات، ناهيك عن صورهم على الجدران وأعمدة الكهرباء، وجدران وواجهات البيوت والمحلات، والمطاعم والخيام والمنصة والجامعات، إضافة إلى المعارض التي تقام باسم الشهداء، كانت الساحة مقبرة جماعية، موت حقيقي ليس فقط بصور الشهداء، بل بصور الناس المخدرين بالقات والوهم، ناهيك عن الشعارات العنيفة، وفي كثير منها شعارات موت وقتل وآخرة.

وتبعًا لمنطق السلطة المهيمن على الساحة جرى التمييز، فهناك مايميز شهيدًا عن آخر بحسبهم، تحت صورته: " الشهيد الحافظ"، مثلًا أطلقت على أول شهيد منهم: عوض السريحي" الشهيد الحافظ للقرآن، ومحمد قناف مرشد غنيم شهيد الكرامة، أيضًا كني بالشهيد الحافظ، وارتبطت ظاهرة ألقاب الشهداء بالأحزاب الدينية، الحافظ، الحافظة، والشهيدة الحافظة "تفاحة" في ساحة تعز.

في نفس المنحى أطلقت التسمية على الجولة التي سقط فيها العديد من شباب الكرامة، والتي تقع بالتقاطع مع الخط الدائري والرقاص والمستشفى الإيراني" جولة الشهداء "، وبعد سقوط العديد من الضحايا في مسيرة جولة كنتاكي سميت بـ"جولة النصر".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرجة " حذاء أحمد الرعيني":

أمام فرجة تثوير المعتصمين، وإعلانات المسيرات، والتوجه إلى الصلاة، والتبرعات، كانت الفرجة الكبرى، وهي التبرعات، والمزاد العلني لشراء أغراض الشهداء كحذاء الشهيد، أو الموتور، وفرجة صور القادة السياسيين والقبليين والدينيين الأحياء والأموات يمنيًا وعربيًا كـ" حسن البنا، وعبد المجيدالزنداني وعبدالملك الحوثي، وأخيه الراحل حسين الحوثي، وأبيهم بدر الدين الحوثي، والرئيس الراحل إبراهيم الحمدي، وجمال عبد الناصر، وصدام حسين، والجنرال علي محسن، وشيخ المشايخ عبدالله حسين الأحمر، وأولاده، والنوبلية توكل كرمان، والشيخ حمود المخلافي،..إلخ، تفتتح المنصة كرنفالاتها في مزادات بيع مقتنيات خاصة بالشهداء، بضاعة قابلة للزيادة والنقصان، من ضمن هذه الكرنفالات/ الفرجات، حذاء شهيد مسيرة الحياة في ديسمبر2011، أحمد الرعيني، ذي الـ 17 عامًا، وصلت قيمة الحذاء بحسب المزاد الثوري العلني، بدأ بمائة ألف ريال يمني، ودخل في المزاد رجال أعمال وبرلمانيون حتى وصل/ رسى المزاد على ثلاثة ملايين ريال يمني، اشترته إحدى النساء، واسمها "أم العز عبد السلام"، وتبرع رجل الأعمال عادل عنان لأسرة الشهيد بسيارة مرسيدس نوع " أربت".

تم ذلك في أجواء احتفالية مشهدية ووسط احتفالي مشهدي أقيم في مسقط رأسه " قرية اليهاري" محافظة إب، ألقيت فيها الأناشيد والهتافات، وألقيت كلمة من قبل أم العز، والنائب الحميري.

"أقامت حرائر قرية اليهاري ريف إب حفلًا فنيًا صباح اليوم على شرف الثائرة أم العز بمناسبة فوزها بالمزاد العلني لحذاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشهيد أحمد الرعيني...وسط حضور صحفيين من ساحة التغيير ومدير تحرير الصحوة موبايل وصحفيي قناة سهيل وعدد من شباب الثورة بمحافظ إب والبرلماني الشيخ محمد الحميري عضو مجلس النواب المنظم للثورة الشبابية..."[1]

وهذه قصيدة لخطيب ساحة تعز فؤاد الحميري:

هذه رأس وليست قدمًا فهي لا تصلح إلا للسماء

إلى أن يقول:

قدم لكنها تعلو على

كل نعل يتسمى حاكمًا"[2]

في الساحة المقابلة جرت وقائع المزاد العلني، لساعة أحد المعتصمين من أعوان أحمد علي نجل علي عبدالله صالح "عندما انضم إلى الساحة، فطرح ساعته (تقليد قبلي)، وعندما سمعت إحدى النساء/أم محمد بهذا العرض قررت شراء الساعة بسبعمائة ألف ريال يمني "[3]

ضمن فعاليات الاستعراض المجاني للمنصة جرى الاحتفاء بطفلة عمرها عشر سنوات نذرت بعقدها الذهبي، وإحدى الفتيات فسخت خطوبتها لأن خطيبها يريدها أن تشاركه في اعتصامات صالح بالتحرير، حيث قالت: "لايشرفني أن أكون خطيبة لهذا الشاب، على الرغم من أنه عاطل عن العمل، سأكون مع الوطن ومع الشعب، وليس مع فرد وأسرة ظالمة "[4]

---

(1) http://yawmeyateeb.blogspot.com/2012/01/blog post_26.html ،19،3،2022 صباحًا، (9:24

(2)https://www.yemeress.com/yemenvoice/7020(11:48 ،2022/3/19) ،

(3)http://sahafahnet.net/show379702.html

(4) نقلًا عن صحيفة الشرق الأوسط https://www.alrakoba.net/179431

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سوق الشهادة الرائجة

كم سعر الشهيد اليوم؟ ليصبح ضخ اعداد الشهداء، تبعًا لإيقاع المفاوضات، والمساومات، كالقبول بالمبادرة الخليجية، من عدمها، بعد خطاب رئيس النظام، صفقات ربحية بين المشايخ الكبار والقادة من الستينيين والسبعينيين، مواقع جديدة تسلم وتنفذ وتستلم، بمنطق لا غالب ولا مغلوب، فالزحف سيد الصفقات، ويجب أن تتجاوز حدود الساحة المقرر والمرسوم سابقًا، كالوصول إلى شارع الزبيري والقاع، على سبيل المثال، اللذين يعدان حدود النظام، فكانت نتيجة هذا الزحف كارثية إذ وبعد كل جولة كان هناك وجبة من الشهداء، لتستمر ولائم البكائيات، والتنديدات، ونقل صور الجثث في كل وسائل الإعلام المحلية والدولية،..إلخ من مهرجانات/ فرجويات الدم والأشلاء.

كرنفال الشهداء أو الشهادة الاستشهاد، كان الاستعراض الجلل، فرجة قائمة بذاتها، أما بعد الشهادة والتشييع تأتي بعد ذلك فرجة أخرى، وهي فرجة التحول إلى مزاد في سوق نخاسة رخيصة تكون المنصة هي الراعي الرئيسي لذلك.

عليه تكاد معظم المسيرات لا تخلو من قتلى ورؤوس مهشمة، وأعضاء مبتورة، وجرحى ومعاقين، وما أكثر المعاقين في سيل هذا المشروع الربحي الهام" مشروع شهيد". لتستمر سوق العرض، لتباع أدواتهم وتصنع شهادات وصور فوتوغرافية، وفيديوهات،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتروج في القنوات الفضائية، وتصنع منها أيقونات تباع وتشترى، وبرامج أليمة تستعرض حياة الفقيد من قبل أسرته وأصدقائه.

ولكم شهدنا من كرنفالات المنصة واعلاناتها الصاخبة، و"ياحراجاه يارواجاه " لحذاء الفقيد، أو دراجته، أو قطع من ملابسه، ولعل فرجة الشهادة لمجزرة الكرامة 18مارس 2011، كيف اشتغلت سلطة الساحة والمنصة والصورة والإعلام المحلي والدولي عليها، وفرجة الطفلة " عتاب" من أهم استعراضات 2011، التي آلمت الناس في الداخل والخارج.

تبدأ الأسعار في المزاد منخفضة ثم ترتفع إلى أن ترسو على مشتر وهكذا في بقية الأغراض، وقد قيل إنها تذهب لمساعدة أسر الشهداء، لقد كان برنامجًا كرنفاليًا يتم عقب كل مسيرة ومجزرة.

شاهدت - الباحثة- فرجة التبرعات في أول يوم خيمة20 فبراير2011، قبل أن تنتشر في كل الساحات وتصبح عادة كل يوم، وخصوصًا أيام الجُمع، والمسيرات، وكانت التبرعات النقدية تهل من الداخل والخارج، وما أكثر النساء اللواتي تبرعن بذهبهن، والنقود بالعملة المحلية الريال وبالدولار، خصوصًا أيام الجُمع/ الحشود المليونية، فترى مجاميع من النساء والرجال والأطفال، كل يحمل وعاء " سطول بلاستيكية باحجام مختلفة، أكياس، كراتين، صينيات، سماطات، قبعات، أحجاف الملابس " الزنن"..إلخ. بعضها مكتوب تبرعات لدعم الساحة، أو تبرعات لأسرة الشهيد "س"، وأسرة الشهيد "ص"، أو تبرعات لجرحى الساحات، والبعض الآخر بدون عنوان ناهيكم عن التبرعات بالأكل والشرب والخيم والبطانيات والفرش..إلخ.

كان الذمول " الكعك البلدي " رفيق المعتصمين إذا قامت النساء بعمل هذا الكعك وتوزيعه بمسرحية عجائبية، إذا حُملت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أقراص الذمول الكبيرة شعارات: "الشعب يريد إسقاط النظام" و"ارحل". كانت هذه الاستعراضات من المنصة، وعروض التبرعات بالذهب والمبالغ المالية تتم من على المنصة.

لقد أصبحت التبرعات أهم حدث، بل مشروع استثماري للطرف المهيمن القابض على الساحة، الحزب الديني ومعروف عن هذه الأحزاب شغفها وانهجاسها بالتبرعات كجزء من بنيتها العقائدية والسياسية، من المساجد، وحملة تبرعات من أجل القدس، والمسلمين في الروهنجا، والشيشان، والحروب داخلية في اليمن، فلا تخلو جمعة ولا صلاة من فرجة التبرعات في أوقات السلم والحرب.

كانت بعض خطب الجمعة تستهل بإشهار الخطيب التبرع مبتدئًا بنفسه، وفيما يلي نستشهد بمقطع مما حدث في جمعة الدولة المدنية الديمقراطية، ويحدث في كل الجُمع، والمسيرات، وتكيات وخيم للتبرعات "... وبعد جولة من الهتافات، اعتلى المنبر مرة أخرى خطيب الجمعة وجمعة الدولة المدنية الديمقراطية، الشيخ عبدالله صعتر.. وحكى للناس بعضًا من معاناة إخوانهم النازحين في محافظة أبين.. وطلب منهم التبرع لهم بالمظلات التي أحضروها معهم.. وحثهم الشيخ على البذل.. ثم قال أنا أول المتبرعين.. فمن أراد أن يتبرع بمظلته فليرفعها.. وهنا رفعت بلحظة عشرات الآلاف من المظلات.. ثم بدأ كل شخص يعطي مظلته لمن يقف أمامه.. فصرنا نرى زحف جيش من المظلات إلى المنصة الأمامية"[1]

(1) القديمي، نواف، " يوميات الثورة من ميدان التحرير إلى سيدي بو زيد، حتى ساحة التغيير"، الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت 2012، ص150.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي تلك الأثناء يكون هناك مسيرات تعبوية مشهدية ك " كلنا أبين"، " كلنا تعز"، والمنصة تشتغل ليل نهار على القضية، وهكذا.

تزيأت الساحة أيضًا بفرجة الأسماء والألقاب، أطلق على جولة كنتاكي التي سقط فيهاعشرات من الشهداء والجرحى، اسم "جولة النصر"، وأطلق على مقر الفرقة الأولى مدرع "حديقة أنس السعيدي" الرضيع الذي قتل في شارع جولة كنتاكي، وبشعارات:" أجمل أمانينا" أحمل كفني بيدي..إما أعيش كريمًا أو أموت شهيدًا"، وشعار مكتوب تحت يافطة صورة أول شهيد سقط في ساحة التغيير، صورة الشهيد الحافظ" عوض السريحي" مكتوب" من مات دون حقه فهو شهيد، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه".

ومهرجانات" يوم الشهيد"، "أنا الشهيد"، وجمعة " الفرصة الأخيرة "2011/4/22، حيث خرجت نساء عدن لابسات أكفانهن ".

واشتغل المصورون في وكالات الإعلامية الخارجية والداخلي، وحتى الهواة باستعراض شعائري فلم نعد ندري الشعائري/ الصوري، من الواقع من شدة اندماجهما، وربما لم تستطع عقولنا أن تستوعب الذي حدث.

أصف طقس الجنائز، والتشييع في الساحة عند تشييع قتلى جمعة الكرامة في 21مارس2011، كان استعراضيًا حزينًا، التابوهات المرصوصة، والأجساد المرصوصة، الدموع والزغاريد، والخطب، والتبرعات، القصائد والتعازي، وحكايات الضحايا تزيد من الهتاف والدموع والغيظ على الفاعل المجهول، أو الفاعل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعلوم " صالح" واستجلاب العطف، وفرجة خطابات التأييد من قبل أساطين التثوير في العالم العربي، دعاة الربيع العربي كالقرضاوي، بشارة..إلخ.. وكان ينقل عبر الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي وسط تهاليل المعتصمين الله أكبر، والزغاريد..إلخ، ومارثونيات التبرعات، من داخل اليمن ومؤسسات خارجية، "كسوة العيد للأيتام، وأبناء الشهداء، أضاحي أسر الشهداء، مشروع بطانية الشتاء، هدايا العيد لأبناء الشهداء، سداد دين الشهيد، استعراض أولاد وبنات الشهداء في كرنفالات التبرعات، كبنت الشهيد فهد الزبيري، وعتاب المنيعي التي استثمر مأساتها ومأساة أسرتها.

نخلص:

الشهادة ثقافة، ودين، مقدس، تجذب الناس في اليمن، فلا يخلو زمن إلا وفيه شهداء، ومن شهداء الشرف، وشهداء الوحدة، وشهداء رغيف الخبز، وشهداء الشرعية، تعشق الشهادة في تاريخ اليمن، شهداء الإنقلابات والثورات والثورات المضادة والاحتجاجات، وليس آخرها احتجاجات 2011، وما تلاها من قرابين بالآلاف بما فيهم الأطفال الذين سيقوا، مؤخرًا وليس بأخير إلى الموت في معارك انقلاب الحوثي، الذي أهلك الحرث والنسل، والبشر والشجر والحجر. من سمات المجتمع القبائلي المعطل تدوير الحروب، ولن تسمى حربًا إذا لم يكن هناك أفواج وأفواج من الضحايا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الثانية: " تينك العينين

المستوى الوصفي:

التقطت الصورة بتاريخ 2011/3/12، حوالي الساعة السادسة صباحًا، إثر قيام قوات الأمن المركزي بالاعتداء على المعتصمين بساحة التغيير فجرا، وذلك برشهم بالغازات المسيلة للدموع، وإطلاق الرصاص الحي عليهم، مما أدى إلى استشهاد أحدهم، وإصابة أكثر من مائتين بالاختناق.

الصورة لأحد المحتجين الجرحى، التقطت في المستشفى الميداني، أثناء إسعاف عشرات المصابين جراء الاختناق بمسيلات الدموع.

الجريح/ الضحية، يلبس أداة/ جهاز التنفس الاصطناعي، كمامة، وهو في حالة من الاختناق والفجيعة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستوى التعييني:

الرسالة التشكيلية:

الحامل: التقطت الصورة بساحة التغيير، بصنعاء، في جولة تقاطع الخط الدائري، وشارع الزراعة، وشارع الرباط، والصورة من المستشفى الميداني في الساحة.

الإطار: 3872×2592

الحجم: 3.19 ميغا بايت

التأطير: الصورة مستطيلة الشكل، وقد ركّز ملتقطها على الوجه المختنق، وعليه كمامة الأكسجين، التنفس الصناعي كان تحديدًا التركيز على العينين، انقسمت الصورة إلى قسمين، القسم الأول والذي أخذ الجزء الأكبر من مساحة الصورة وهو الوجه، والقسم الآخر هو الفراغ. وقد التقط المصوّر هذه الصورة وهو قريب من الشخص.

زاوية التصوير: التقطت الصورة جانبية مابين اليمين واليسار، وركزت العدسة على الوجه ونصف الوجه المغطى بالكمامة تحديدًا، وبأدق " تينك العينين.

التركيب والإخراج: يلفت المشاهد أو قارئ الصورة أول ما تقع عليها عيناه، شيئان هما " تينك العينين "، وكمامة الأكسجين.

الألوان والإضاءة: جاءت الألوان ما بين بشرة الوجه المائلة للحمرة، واللون ما بين الأبيض المائل إلى الرمادي في لون الكمامة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع الأخضر، ثم اللون البني الداكن في فراغ الصورة. والإضاءة مسّلطة على الوجه.

الرسالة الأيقونية:The Photographic message

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضمين في المستوى الثاني
الشكل البشري	وجه الشاب، العينان، الفم، صورة اليدين/ الكفين.	الرعب، والاختناق توحيان بالطمأنينة والأمان
الشكل الطبيعي	الكمامة/ جهازالتنفس	استعادة النفس

الرسالة اللسانية: مفهوم الترسيخ آت مما تقوله "تينك العينين"، مشاهد الجزع.

لا توجد رسالة لسانية في الصورة، سوى ترسيخ النظرات.

الرسالة التضمينية: سيميولوجيا الوجه/ النظرة/ العينان، حملت العديد من المدلولات الظاهرة والرمزية، والفيزيولوجية والنفسية، صورة الاختناق الظاهر على الوجه، وصورة المَخنقة/ الكمامة، وإن كانت تؤدي وظيفة التنفس/ النجاة، في صورة عينيه الهلعة خوف وموت. نرى أيضا صورة الفراغ ذي اللون القاتم " البني الداكن"، الذي هو لون الموكيت، ولون الفراغ القاتم.

تحليل الحركات والإشارات، البادية في الوجه كاملا، الخوف والرعب من الموت، ولغة العيون التي احتقنت الحمرة أسفلهما، وحملت الكمامة البخار في قعرها، فكتمت النفس، وتجلى، والفزع من لحظة انبثاق الموت، لاسيما في تلك الأيام حيث كانت الأخبار ووسائل التواصل الاجتماعي تنشر عن الضحايا من الشباب الذين لقوا حتفهم بالغازات المسيلة للدموع، وأن النظام يستخدم المواد الكيماوية السامة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"أن نبحث في الوجه أو في الإيماءة عن دلالات كونية لا تحكمها السياقات ولا الثقافات الخاصة، علينا أن نبحث عن موقع الوجه والإيماء داخل الممارسات الإنسانية وداخل الثقافة التي تسنها. فما نقرؤه في الصورة ليس عضوًا ولا حركة ولا شكلًا، بل يتعلق الأمر بقيم دلالية تسربت عبر الزمن إلى الوجه والإيماءة ومجموع مكونات الجسم الإنساني، فنحن نبحث عن الانفعالات الإنسانية في الوجه والإيماءات وأشكال الجلوس أو الوقوف. وهكذا فـ"اليأس" و"الأمل" و"التشاؤم" و"الشجاعة"و"النبل" مفاهيم مجردة تغادر مواقعها لكي تسكن الأشياء والأشكال والألوان، وكل مكونات السلوك الإيمائي الإنساني"[1].

صورة المعتصم، صراع ظاهر وباطن من أجل البقاء، وبالرغم من حالة الموت هلعًا والبادي من العينين، لكن اليد التي تلامس الصدغ تحمل رسالة الأمان والطمأنينة، والنجاة أيضًا.

الصورة، صورة موت، أو بالأحرى صورة مصغرة للموت، كما عبر عنه رولان بارت" ذلك الموت حيث تحيطني إشاراته"[2].

الموت دانٍ في الصورة، الوجه لا يشي به، ولكن هو حال في العينين، هكذا تقول لغة النظرة/ العيون.

ثمة خطوط صغيرة بالفراغ البني توحي بالاضطراب، من يخيف الآخر: عدسة المصور، أم تينك العينين؟ في الصورة، يا ترى، لمن كانت تلك اللفتة الواسعة المفتوحة، هل لملتقط الصورة أم بتأثير الوجع والفجيعة اختناقًا؟

---

(1) بنكراد، سعيد، "السيميائيات،مفاهيمها وتطبيقاتها"، دار الحوار، ط2، 2012، ص 132 .133

(2) مرجع سابق،" الغرفة المضيئة"، ص18.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النظرة، شكلت الشعرة بين الحياة والموت، وبينهما: الاختناق/ الكتمة/ العتمة/ الروح المضطربة، الموت المحدق بكل معنى الكلمة، وفتيل الحياة ينبثق من خلال أنابيب الأكسجين، ولمسة اليد على الصدغ.

لماذا كل هذا التحديق، وغرس النظرة/ الطعنة للكل، للفضاء، للشخص المقابل، لأي شخص يمر، أطباء، وجرحى، توليد المعنى من خلال تلك النظرة.

ماذا كانت تريد أن تقول " تينك العينين"، تلك النظرة، بؤبؤ الهلع؟ هل تريد أن تسرد/ تحكي، مشاهد ذلك اليوم العنيف، عن كل من سقطوا؟ والسؤال الأهم، لماذا يحدث كل هذا وذاك؟

ربما أراد أن يقول للعدسة، صوّر! ليرى العالم ما الذي يحدث، كما كان يقول الجرحى عقب حوادث العنف، وربما يصرخ صامتًا" -وهي الأوجع- كفى، أغلق الكاميرا، إني أموت، وأنتَ تلتقط الصور- بالرغم أنه في تلك اللحظة، كانت المصورة والعدسة تبكيان وتحسان بنفس الاختناق، والدنو من الموت المعلن/ الموت الفجائعي.

يقول بارت عن النظرات: " أريد تاريخًا للنظرات، ذلك لأن الصورة الفوتوغرافية هي حضوري أنا، تعيني بوصفي آخر: هي انفصال مراوغ للوعي بالهوية، إلا أن الأكثر غرابة: هي المساحة الأكبر لحديث الناس عن رؤية الازدواج، كانت في الزمن السابق للفوتوغرافيا.[1]

(1) المرجع نفسه، ص16.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك النظرة، هي البونكتوم، الوخز، وركزت عليه، تلك الطعنة/ الصدمة، بل والإيغال في الوخز الصدمة، التي تصوبها تينك العينين لكل من يشاهدها، وستظل توخز، حتى وإن أغلقت الكاميرا، وانتهى الحدث – الساحة/ الاحتجاج.

لقد أتى جهاز الأوكسجين ليعيد النفس/الحياة لتينك العينين، أي العودة من " حلق الموت" بحسب التعبير الشعبي، وكان ذلك في الأخير: النجاة.

إنها الصورة الصادمة، قسوة مشهد الاختناق/ رؤية الموت، مستوى التضمين في الصورة بادٍ من تشجّرات الوجه، تقاطيع الوجع، الكمامة، والألوان، والمضمر معنى تلك النظرة/ الوخزة: البونكتوم" وخز، ثقب صغير، بقعة صغيرة، قطع صغير- وأيضًا رمية نرد. البونكتوم- هو تلك المصادفة، التي توخزني (ولكنها أيضا تؤلمني، تطعنني)"[1].

(1) المرجع نفسه" الغرفة المضيئة، ص29.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الثالثة: محرقة " المقارم": الثورة السوداء"

أولًا: المستوى الوصفي:

مجاميع من النساء المحتجات بينهم طفلات، ورجال بشارع الستين، والذي تقع داخله ساحة التغيير وقد حضر بجانب النساء العديد من المصورين، وحضرت اللافتات والهتافات، وكتل من " المقارم"* المراد إحراقها.

في الصورة بدت النساء الملفعات بالسواد/ النقاب/ الشرشف الذي يعد أحد الأستار/ الأحجبة للمرأة اليمنية، ويحملن بأيديهن العصي، والمقارم تلتهب مخلفة شعلة من النار، تبدو من خلال الصورة ألوان المقارم/ الأحجبة، أما شكل اللهب كأنه امرأة/

* المقارم جمع مقرمة، وهي غطاء الرأس خاص بالنساء/ الوشاح/ الحجاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شخص يحترق، تماهيًا مع حريق بوعزيزي في تونس إبان ثورة الياسمين2010.

المستوى التعييني

الرسالة التشكيلية:

الحامل: التقطت الصورة، ضمن فعاليات "المنسقية العليا للثورة الشبابية/ النساء"، بشارع الستين المتاخم لساحة التغيير بصنعاء، بتاريخ2011/10/26، صباحًا. وعرضت الصورة في مواقع التواصل الاجتماعي، والعديد من مواقع القنوات الإخبارية المحلية والعالمية، أشهرها قناة الجزيرة.

أخذت الصورة من موقع،

httpswww.ye1.orgforumthreads626829page-46

الإطار: محدد بمقاس، 507×640، وبحجم: 229 ميغابايت

التأطير: تم التركيز على المقارم المحترقة، من خلال تصاعد كم اللهب المنبعث جراء احتراقها وشكّلت المساحة الأبرز في واجهة الصورة.

زاوية التقاط الصورة: التقطت الصورة من الأمام.

التركيب والإخراج: تقع العين أولًا على ألسنة اللهب التي تتصاعد جراء إحراق واشتعال المقارم والتي تبدو على شكل إنسان، ثم النساء المكتسيات بالسواد/ الشرشف وعلى وجوههن وأجسادهن، ثم العصي.

الألوان والإضاءة: يغلب على الصورة اللون الأسود والبرتقالي، والأحمر والدخان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسالة الأيقونية:

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضمين في المستوى الثاني
الشكل البشري	النساء	محتجات
الشكل الطبيعي	المقارم النيران العصي	تحمل دلالة الحجبة والسترة لدى نساء اليمن. دلالة الغضب وطلب النجدة الثبات والقوة والأمر بالنجدة

الرسالة اللسانية: لم توجد رسالة لسانية مباشرة.

المستوى التضميني:

الصورة واقعية، استدعاء العيب الأسود بحسب الأعراف القبلية، أطلقت من ضمن الفعالية المعروفة بالوقفة الاحتجاجية لثائرات اليمن، وتعد "المنسقية العليا للثورة اليمنية" هي صاحبة الدعوة لهذه الفعالية ومعظم فعاليات ساحات الاحتجاج، ونفذتها نساء تعز.

وكانت الفعالية بتاريخ 2011/10/26، تنديدًا بالصمت الدولي جراء جرائم نظام صالح ورفعت خلالها شعار "يالعار، يالعار سلمية تضرب بالنار" إلى "يالعار، يالعار، حرائر اليمن تتهان".

شهدت الساحة كرنفالًا، فرجة جديدة/ قديمة، موكبًا كبيرًا للنساء المعتصمات وقيادتهن، ومجاميع من الأطفال، والشباب وبعض الرجال، جميعهم يتقدمون نحو كومة من المقارم وأغطية الرأس، كانت الأحجبة الملونة الأكثر تكدسًا في واجهة الحرق من بين جميع الأغطية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من خلال سيل الفيديوهات* التي شاهدناها، والقراءات المختلفة للحدث لاحظنا الآتي:

تتقدم موكب النساء عبير أبو الأسرار، " مديرة مدرسة"، معظمهن من نساء تعز، وهن يشعلن النار في الأقمشة "من أحجبة النساء"، ويحملن شعارات: "ياللعار، يا للعار علي يقتل الحرائر، أين النخوة يارجال"، ولافتة كبيرة مكتوب عليها: " نداء من حرائر اليمن" منسقية الشباب"، ها نحن نحرق مقارمنا ليشهد العالم المجازر الدموية التي يرتكبها الطاغية علي عبدالله صالح باستمرار في حق الشعب اليمني".

وتضمن المشهد كذلك عبارة " الطاغية علي صالح"، مكتوبة باللون الأحمر، وتتضمن التساؤل: "أين ضمير الإنسانية من قمع الثورة السلمية"؟ لماذا القتل؟ بالسلمية، بالقبلية الثورات العربية تنتصر. وصدحت الزوامل التي تستدعي زامل القبائل الشهير: " إحنا لها، إحنا لها، إحنا خوات رجالها".

وسط هتافات: "قد أحرقنا المقارم"، "حرية، حرية"، "قل جاء الحق وزهق الباطل"، "غدًا ستحاكم يا قاتل"، وأشعار، لإحدى الثائرات، بلقيس دحوان:

يا رجال العز وأصحاب الشجاعة
يامشايخ يا قبائل يا مراجع
اسمعوا بنت اليمن عبر الإذاعة والفضائية
وعيروها المسامع
جاءتكم تعمل بقدر الاستطاعة

---

* https://www.youtube.com/watch?v=2u6W28TOLxg.(2020/6/16، 9:38 صباحا)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مالها حيلة سوى حرق البراقع[1]

ووسط تهليل الجموع وخصوصا النساء، وهن يهتفن "حرق المقارم واجب، واجب علينا واجب" جاء استدعاء للشعار الشهير،1972 أيام الجبهة القومية إبان الحكم الإشتراكي/ الشمولي في جنوب اليمن* أثناء تظاهرات النساء وهتافهن آنذاك " إحراق الشيذر واجب، واجب علينا واجب".

لكن الاستدعاء الأكثر كان لموروث فزعة القبيلة، حيث يطلق عليها في الأعراف القبلية" النكف"، لإغاثة المظلوم، والتقاعس عن النجدة يعد عيبًا أسود، كما صرحت القصيدة القبائلية " يا رجال العز وأصحاب الشجاعة، يا مشايخ ياقبايل يامراجع".

وقالت توكل كرمان عن فعالية "حراق النساء لمقارمهن: "إنه يعبر عن رفض الظلم الذي فرضه نظام صالح عليهن، وهذه مرحلة جديدة للمرأة اليمنية، لأنها لن تختبئ وراء الحجاب، وخلف الجدران، أو أي شيء آخر "[2]

لقد كان النشيد الجمهوري يصدح، أثناء قيامهن زرافات برمي عشرات المقارم الملونة في أتون النار المشتعلة، تعدّ هذه الفعالية "إحراق المقارم" ردًا على أحداث عنف خطيرة في شهر أكتوبر 2011 أهمها:

---

(1) http://albaath as party.org/nprint.php?sid=123308.12:25 ،2020/6/16

* جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سابقًا. والشيذر لباس أسود تلبسه نساء اليمن خصوصًا، ويشبه السفساري التونسي.

(2) https://www.dw.com/ar/%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1-%D8%A3%D9%85

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- مقتل عزيزة عبده عثمان أول شهيدة في الثورة الشبابية. في يوم تاريخ 2011/10/16.
- قصف قوات الحرس الجمهوري، لأحياء الحصبة، وجماعات الشيخ صادق الأحمر، وقصف أحياء صوفان في 2011/10/22.

وهذان الحادثان الأبرزان: قتل النساء، والاعتداء على معقل القبيلة الأكبر والأقوى في اليمن" حاشد"، وزعيمها عبدالله بن حسين الأحمر، ففي التظاهرة جندت واستدعيت المفردات القبلية، والدينية، وخلعت الألقاب على المحتجات اللواتي قمن بإحراق المقارم،" الثائرات، المؤمنات، الطاهرات"، تبعًا للنشيد لتحية "حرائر اليمن": " حيوا حشود الثائرات المؤمنات الطاهرات".

تحمل الصورة إيحاءات ودلالات حرق المقارم، ففيه تُحْرق الوجوه المكشوفة، والدليل على أن الأحجبة ملونة، والأحجبة الملونة علامة تحرر، تلبسها كثيرًا فتيات تعز، وعدن وتهامة، فضلا عن الريفيات بوجههن المكشوف، على العكس من المناطق الشمالية ذات البنية القبيلية الوعرة، التي تحتم على الطفلات ما دون الثامنة عشرة ارتداء السترة الكاملة بما فيها الوجه، والكفين والجسد بالنقاب/ الشرشف، من رأسهن إلى أخمص قدميهن، كما هو بادٍ في الصورة، إذ يعتبر "الشرشف" ركنا أساسيًا لشرف المرأة وجزءا لا يتجزأ من شرف القبيلة، بل ويعد أحد أركان الهوية اليمنية للمرأة العفيفة الطاهرة والمؤمنة.

والدليل على ذلك أن فكرة إحراق المقارم أتت باسم نساء تعز، بجانب المتصدرة للمشهد يومها كانت مديرة إحدى المدارس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المهمة لتعز، فإن إلقاء الخطاب الحماسي تصدرته أيضًا إحدى الناشطات البارزات من تعز، وهي صحافية وحقوقية وقانونية، " نبيلة الحكيمي".

وكما هو معروف بأن البنية القبلية والشوكة العصبية ليست قوية في تعز و في عدن عدن وتهامة، بل لقد كرست بالقوة وانتشرت في ظل نظام صالح، ودعمت مع صعود التيار الإسلاموي، لقد حرص النظام على ضرب مدينة تعز بصناعة المشيخيات وتناحراتها.

الملون، الوجه المفتوح/الفاتش يحرقان من أجل سيادة الأسود "المغلمق"/ المغلق/ القفص/ الهوية السوداء للمرأة اليمنية، ليقولوا، هذه تعز الحالمة/ المدنية/ الثقافية/ مدينة المتعلمين (كما يطلق عليها) هي أيضًا تستنجد بالقبيلة، مشيخية ومرجعية.

ساقت الصورة قراءة للألوان جراء اللهب:

اللون الأحمر والبرتقالي المنبثق من السنة اللهب، وكأنها تستصرخ المقتلة للألوان وللوجه المكشوف، أمام السواد المقدس، فاستدعاء القبيلة يتجانس مع الأسود إن لم تكن الحامية المنتجة له فهو لون العورات/ المعورات: النساء.

وفي التقاليد اليمنية يعدّ السواد علامة الحياء والسترة، وهو لون الحزن والخوف والظلام أيضا، ففي بعض المناطق اليمنية عندما تولد البنت، توضع على وجهها مقرمة سوداء علامة للحياء، بمعنى عندما تكبر تكون معتادة على الطمس، فالمطموس "المغلق " للمرأة اليمنية كينونة هويتها الساترة- القفص الأسود المتحرك، والذي لا يتنفس إلا شهيقه وزفيره.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشرشف بلونه الأسود علامة تحقيرية، تحملها المرأة/ المكلف في الموروث الشعبي، وتتزامن مع اللغة التحقيرية للذكر والاستنقاص المدمر للعصبية الذكورية القبائلية اليمنية "القبيلي العسر" إذا ما تقاعس عن أداء مهمة موكولة إليه، يـ" فلان شرشف"، وفي التحدي يقول الرجل "سألبس الشرشف إن لم أفعل كذا"، وكانت هتافات جموع المحتجين، مناداة الرئيس السابق علي عبدالله صالح، بـ" يا علي شرشف"، " يا علي شرشف ارحل بشرشف أحسن لك"، وكانت صوره " المدبلجة"/" صالح مشرشفًا" مبثوثة على الطرقات والجدران والخيم في ساحات التغيير بالمحافظات.

وجرت التقاليد أن ترى عند أبواب المحاكم، بعض الأمهات أو الزوجات مثل أمهات وزوجات المعتقلين، والمختطفين، يحرقن ضفائرهن وشراشفهن للمطالبة بالإفراج عن ذويهن من السجون، أكانت تلك التابعة للدولة أو التابعة لمشايخ القبيلة والمتنفذين الكبار، فـ" الصورة تمتلك قوة راصدة، والرصد هنا لا يتعلق بالموضوع، بل بالزمن. من الوجهة الفينومينولوجية، تفوق سلطة التصديق في الصورة سلطة التمثيل"[1]

في الصورة لاح من بين السواد واللهب، العلم اليمني/ العلم الوطني اليتيم وهو محشور بين تلال السواد، والأقدام، والأدخنة، أنه يضيع، ويبهت، وإن لم يحترق، سيتدخن، مثله مثل مفهوم

(1) مرجع سابق" الغرفة المضيئة "، ص 82.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوطن، الذي يعج بكل المشهديات، إلا أن يكون وطنًا. ومثل وجه نساء اليمن المكظوم، إذ يستحيل أن يكون وجهًا.

لقد حملت الصورة مدلولات أيديولوجية، وعرفية، ودينية، وسياسية، وتاريخية، وهي الاستنجاد بالقبيلة من وحي الذاكرة الجماعية" وامعتصماه"، فأتت ياقبيلتاه"، من وحي السير تأسيًا باستنجاد إحدى النساء العربيات بالخليفة المعتصم إثر تهجم جنود الروم عليها، فلبى النداء وتحرك جيشه لنجدتها.

كان ذلك باديًا من الكتل السوداء للنساء، والفضاء الأسود الملتهب بالنار، ويأتي الأسود متفقًا مع العيب الأسود الذي صنعه صالح بقتله للنساء والمعتصمين، والقصف على معقل شيخ مشايخ القبيلة" عبدالله بن حسين الأحمر" والذي يعد شيخ الرئيس، باعتراف علي عبدالله صالح نفسه.

يرمز الأسود أيضا للعلم اليمني/ الوطني، إلى الظلم والاستبداد والعزلة التي فرضتها الأنظمة البائدة لحكم الأئمة الذي امتد لأكثر من 1200 عام. إضافة إلى لون الفقر والمرض، والجهل، والحداد، والقيامة.

لا، فصول أربعة في حياة وهيئة المرأة اليمنية، وإما تلك الفصول التي تبدت من خلال الخمار لشابات تعز، فقد أحرقت باستدعاء سادة الأسود وصاحب سلطة الأسود بقوة العرف: القبيلة، واستدعاء، التاريخ، بـ" وامعتصمااه".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الرابعة: الجرافيتي: اللون والنساء

تمهيد:

"إن الصورة ليست هي الأشياء التي تمثلها، إنما استعملت لتقول شيئا آخر" رولان بارت تعريف الفن الجرافيتي Graffiti Art، أحد الفنون البصرية الحديثة الهامة، خصوصا مع اندلاع الاحتجاجات، وكلمة جرافيتي:" GRAFFITE، يعود أصلها إلى الإيطالية" نتاج الجمع بين الإيطالي غرافيتو "graffito"، تعني الخدش Scratched، الذي تتكون منه الكلمات أو الرسوم على الجدران التي تعبر عنها الطبقات المحرومة والفقيرة بمنتهى الحرية. وهو فن عشوائي يتم عن طريق خدش سطح جدار برسومات عشوائية قد تكون كتابة أو صورا ومن ثم تلوينه بالبخاخ. فهو عملية تفريغ لطاقة كامنة على الجدران الخارجية للمنازل والجسور ووسائل النقل العامة، وبدون إذن مسبق.

الصورة ضوئيا بـ CamScanner

والذي يولد في بعض الأحيان فنًا إبداعيًا "[1] وعرف باليمن من خلال احتجاجات 2011، على يد مجاميع شبابية، سبقتها الفعالية الشهيرة" الجدران تتذكرهم" عن المخفيين قسريًا، وكان أهم الشباب الفاعلين في هذا المجال الفنان الشاب مراد سبيع.

الوصف:

التقطت الصورة، ضمن فعاليات/ حملة" لون جدار شارعك" بتاريخ 2012/4/5، في شارع الزراعة، العاصمة صنعاء، من على جدران مدرسة الفرات للبنات.

نرى فتاة منقبة/ مشرشفة، تمسك الفرشاة بيد ووعاء الألوان باليد الأخرى، وترسم على الجدار الأبيض، يبدو من خلال اللوحة/الصورة، أنها ترسم بالونات ملونة تطير، وهذا بادٍ من خط الرسمة السفلي كأن البالونات مربوطة بخيط للطيران.

المستوى التعييني:

الرسالة التشكيلية:

الحامل: التقطت الصورة ضمن فعاليات حملة " لون جدار شارعك"، جدار مدرسة الفرات للبنات، صباحًا، في العاصمة صنعاء.

الإطار: 2848×4288، بحجم، 4.94 ميغا بايت.

التأطير:الصورة مستطيلة الشكل، مأخوذة من جهة اليمين، وركزت على ثلاثية الألوان(الأسود شكل الفتاة، وألوان للبالونات، ومساحة الجدار المطلي باللون الأبيض).

---

(1) حسين، ميادة، المؤمني، واصف،" جماليات الفن الجرافيتي في الفراغ الداخل"، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 10، عدد1، 2017، 35 48، ص36.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زاوية التقاط الصورة واختيار الهدف: الصورة التقطت جانبية، بحيث تركت مساحة للفضاء/ الجدار باللون الأبيض، هذه المساحة البيضاء مريحة للعين، في الاتجاه المقابل كان اللون الأسود في ملابس الفتاة، ووجهها، وفي الوسط تتمركز الألوان.

التركيب والإخراج: رغم أنه لا توجد رسالة لغوية، لكن العين تقع أولًا على كتلة الألوان ووجه المرأة المحجوب.

الأشكال: البالونات الملونة، لا خطوط فيها لأنها صورة فوتوغرافية.

الألوان والإضاءة: توفرت ألوان كثيرة، داخل الصورة الجرافيتي، اللون الأبيض أخذ المساحة الأكبر، والتالي تمثّل في مساحة اللون الأسود لملبس المرأة ووجهها، وكتلة الألوان كانت بين اللونين المتضادين الأسود والأبيض.

الرسالة الأيقونية:

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضمين في المستوى الثاني
الشكل البشري	الفتاة	ترسم، بالونات ملونّة، وكأنها تطير بالفضاء، علامة الحرية، كون الفتاة، مكتومة باللون الأسود على وجهها.
الشكل الطبيعي	الدوائر، البالونات	وترمز إلى الطيران، والحرية.

المستوى الألسني: تكرار الألوان في الصورة ثبتت مفهوم الترسيخ.

المستوى التضميني:

الصورة واقعية، التقطت من مكان الفعالية" لون جدار شارعك"، السينوغرافية المشهدية لفنون الشارع أيضا متمثلة في الجرافيتي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرجة الجرافيتي:

بدأ الرسم الجرافيتي بالظهور المشهدي، تحديدا بعد أن أقفلت الساحات. لتبدأ مسيرة جديدة للاحتجاجات تخرج من الجدران البصرية ليوميات الاحتجاج. الجدران تكتب وترسم باللون، الجدران تحكي، لقد أصبحت لجدران اليمن حكاية. من نصوص، ولوحات، وصور فوتوغرافية، وسينما، فنون لأول مرة تدخل ضمن الشغل الثقافي لليمن بفعل الاحتجاجات، وقد كانت الاحتجاجات من الطور الثاني بعد المبادرة الخليجية، ورفع الساحات، وإخفاق مشروع الشباب، وحلمهم الكبير والرئيس الدولة المدنية. وأصبح الرسم على الجدران لا يحدد بجغرافية معينة: ستين الثورة، وسبعين النظام* بل أصبح فنّ الجرافيتي الجديد يتنقل في كل شوارع مدن اليمن بما فيها الشوارع الرئيسية، بل ويدخل جامعة صنعاء، وقد أطلق عليه في بعض الأحيان" ثورة الفن".

كانوا مجموعة من الشبان، أهمهم الفنان مراد سبيع، ويبدو أنه من المتأثرين بالجرافيتي في مصر إبان ثورة 2011، وثورة الياسمين في تونس أواخر2010، ثم بدأت تظهر ألوانًا مبهجة تتناول قضايا مختلفة وجامعة بين اليمنيين.

** شارع/ مقاطعة الستين التابع للاحتجاجات، مقابل شارع/ مقاطعة السبعين التابع للنظام، وهما من أكبر الشوارع في العاصمة صنعاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اشترك في الجرافيتي شباب من أولئك الذين أطلق عليهم ثوار، وبعض الشباب المحسوبين على النظام، ومن مستقلين، ونساء، وأطفال، وطلاب مدارس، وناشطين، وقوى مدنية سواء كانت منتمية إلى الأحزاب، أو غير منتمية...

تحمل الصورة (جسم الفتاة المتغطية بالأسود) العديد من الدلالات والمعاني، فاسوداد الملبس "الشرشف/ النقاب"- كما ذكرنا سابقًا- يحمل معنى الظلام والتعمية والإحساس بالمنع والحجر والاستعباد، جعلها تطلق أحاسيسها بالحرية، والتطلع نحو السماء، وذلك من خلال رسمها العديد من البالونات رمزا للحرية، وطيرانها في الفضاء المفتوح الذي لا يحد، وكذلك الألوان الفاقعة التي هي الانطلاق والحرية بما هي الحياة.

جاءت الرسمة محاكية لهدف الحملة" لون جدار شارعك"، برسائل السلام، والتسامح والتعايش، وأن تسود ألوان الحياة، بدلا عن إيقاعات البنادق والحروب، والسواد، رمزية للألوان على جدران المدارس، ومدارس البنات، وكأنها تحمل رسالة، أن خارج اللون الأسود الذي يرتدينه على أجسادهن ووجوههن، فإن ثمة ألوان أخرى، وألوان صارخة من، الأحمر والأصفر، والبرتقالي، والأخضر... ورسالة أخرى أن ممارسة الرسم ضرورة وفي حضرته تسقط قوانين وأعراف المنع، وغير مجرم في المدارس، أهميته كأهمية المواد الأخرى.*

* حيث جرى تحريمه في سنوات سابقة، فمنعت حصص التربية الفنية، وحصص الرياضة، لصالح حصص التدبير المنزلي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحكي الرسالة الضمنية من خلال اللون، والبالونات، معناه، حتى لو أجبرنا على لبس الشرشف كموروث ثقافي (ديني، ودين-سياسي، وقبلي) فإننا نستطيع أن نخلق حريتنا. هذه البالونات الملونة، ومساحة الجدار الأبيض، والاتكاء على اللون الأحمر هو الثورة والتمرد، على الأسود والحجب والأستار.

طيّرن البالونات في الفضاء، لاستنشاق الهواء وطعم الحرية في واقع يحاصرهن بالكتمة والأسود العتمة المستديمة من المهد إلى اللحد، ولذا كانت هناك مشاركة كبيرة من قبل طالبات المدرسة، بالرسم على جدران مدراسهن.

حمل شكل الفتاة وملبسها التحدي والحزن معا، ولغة تمرد بادية من رسمة البالونات الملونة، والاتكاء بفرشاتها على اللون الأحمر، الدال على التمرد والثورة، ولغة مقاومة الحداد "الموروثات" التي كبّلت النساء، والطفلات في الريف والمدينة. وإن الأسود نقيض الأبيض، بالأسود ممثلًا بالفتاة عل اليمين، وأتى اللون الأبيض على اليسار، وتتوسطهما ألوان مختلفة للبالونات.

تحمل البالونات دلالة رمزية التكور، لبطن المرأة(الحمل والولادة)، مكان الخصوبة والحياة معا.

ألوان للبالونات الألوان الصاخبة، ألوان الفرح والحياة، وهذا بادٍ، من اللون الأصفر للبالونات، بطن النساء وكأنها تطير كالبالوات الخفيفة، وزر الطيران، هو اللون الأحمر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

احتفت الرسمة، باللون الأخضر، لون الخصوبة، والأرض والطبيعة، والعطاء، محاطة بالألوان المتعددة التي تعلم البالونات، حملت الرسمة في مجملها شكل الّرحِم والولادة.

الصورة، قالت مالم تقله النساء والمجتمع المكبل لهنّ بثقافته الذكورية الصرفة، المستندة على الموروث "الدين- سياسي"، وثقافة القبيلة" المراجع"-كما قالت الشاعرة، في صورة إحراق المقارم- لكنهن يمتلكن التعبير بالألوان والجدران خير صورة ودفتر ولون. إنها بالونات الحرية، والانطلاق من الأرض الخضراء والصعود نحو الفضاء، فضاء اللاكتمة، واللاأسود، واللاحزن.

الصورة، صورة التعبير عن الحرية من خلال الجدران، واعتبار المرأة إلهة الخصب والنماء، قادرة، على استنشاق وطعم الحرية، وإن كبلها السواد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الخامسة: "غزوة الغازات"

الوصف:

هي صورة مركبة من مسرح أحداث البدايات الأولى لساحة الاحتجاج" ساحة التغيير، بصنعاء"، جولة "سيتي مارت" إذ هاجمت قوات النظام/ الأمن المركزي ساحة التغيير في 2011/3/12، في ساعات الفجر الأولى، بالرصاص الحي، والغازات المسيلة للدموع، مما أدى إلى سقوط قتيل وعشرات الجرحى والمصابين جراء الاختناق بالغازات.

احتوت الصورة الأولى، على هيجان المحتجين، إثر رشّ الغازات المسيلة للدموع، ومجاميع المحتجين الواقفة متصدّية لآلة الرش للدفاع عن نفسها، بالحجارة، واللهج بالدعاء: الله أكبر، و"حسبنا الله ونعم الوكيل"وهتافات ارحل،" الشعب يريد إسقاط النظام"، كما يظهر في الفيديوهات التي بثها المركز الإعلامي.

جغرافيا، ومن خلال ما يشاهد في الصورة، كان الشارع يتقاطع مع جولة مرورية، وهذا باد من المكان حيث يقف شرطي المرور" اللون الأصفر". والخط الدائري شارع حيّ واضح من خلال التقاطعات مع الشوارع الأخرى، كشارع الزراعة، وشارع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرباط، الذي وقعت فيها أحداث مشابهة بتاريخ 2011/2/17، ويبدو أيضًا من كم اللافتات والإعلانات المعلقة على أبواب المحلات، والمنازل..إلخ.

يشاهد المحتجون وهم ملثمون حتى لا يصابون بالغازات، وبأيديهم الحجارة، التي اقتلعوها من على الأرصفة، وتمّ تكسيرها عبر مجاميع شبابية، وجوههم يبدو عليها الهلع، ترى هيئة المحتجين مختلطة ما بين مجاميع من القبائل، وشباب المدينة، وهذا باد من اللبس.

أمّا في الصورة الثانية، فترى مجاميع الشباب بعد هدوء العاصفة، وهم يقتلعون صورة علي عبدالله صالح، في فورة هيجان جماعي، وبأيديهم أسياخ، وعصيّ وأحذية. ولافتة لصحيفة الأولى، وهي إحدى أهم الصحف اليمنية اليومية، وكذلك بعض اللافتات الشعاراتية.

المستوى التعييني:

الرسالة التشكيلية:

الحامل: التقطت الصورة في ساحة التغيير بصنعاء، عند هجوم قوات النظام على الشباب المحتج.

الإطار: إطار مستطيل، بمقياس 300×1000، بحجم، 136 كيلو بايت.

التأطير: ركزتّ الصورة الأولى على عملية الاعتداء على المعتصمين بعربات رش الغازات المسيلة للدموع كان التصوير من أحد الأركان للشارع الذي وقعت فيه الأحداث. والصورة الثانية، عند اقتلاع صورة رئيس النظام، علي عبدالله صالح، وهما في نفس اليوم، مع فارق التوقيت فقط، أي قبل إطلاق الرصاص والغازات المسيلة للدموع، وبعده.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زاوية التقاط النظر واختيار الهدف: كان التركيز على التقاط الصورة الأولى من أحد الجوانب. أما الصورة الأخرى فقد كانت صورة مائلة قليلًا، وأجساد المحتجين كانت إلى الخلف.

التركيب والإخراج: تدرك العين في البداية، صورة المقاومة والهلع البادي على وجوههم، والماء المتدفق على الأجساد. تمثل الصورة الأخرى، اقتلاع صورة صالح ورميها بالحجارة والأحذية.

الأشكال: صورتان فوتوغرافيتان مدمجتان، للحدث نفسه.

الألوان والإضاءة: يبدو قسم من الصورة، وهي الأولى، ضبابيًا مائلًا إلى اللون الرمادي، ذلك أن التقاط الصورة كان قبل شروق الشمس، على حوالي الساعة السادسة صباحًا تقريبًا. والصورة الأخرى، بعد انتهاء العملية، وعودة الهدوء إلى الساحة، وانسحاب قوات الأمن المركزي. ألوان المباني من لون الوجوه، المائلة إلى البني الفاتح والمحمر. كذلك لون الملابس، ما بين الأبيض والأسود، والرمادي. أما اللوحات الإعلانية فقد غلب عليها اللون الأزرق والأبيض.

الرسالة الألسنية:

توجد في الصورة عدة شعارات مكتوبة، الشعار الأول الذي كان يشغل حيزًا جانبيًا في الصورة الأولى، مكتوب عليه" يحظر تسخير القوات المسلحة والأمن والشرطة وأي قوات أخرى لصالح حزب أو فرد أو جماعة".

والرسالة اللسانية الأخرى، بدت على صورة الرئيس، دعاية له" نعم لعلي عبدالله صالح" وبتوقيع اللجنة الشعبية لدعم ومناصرة مرشح الإجماع الوطني، بالتعاون مع معهد الرسالة"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسالة الأيقونية:

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضميني في المستوى الثاني
الشكل البشري	مجاميع بشرية	محتجون لإسقاط النظام
الشكل الطبيعي	العمارات الحجارة إشارة المرور صورة علي عبدالله صالح الحذاء	مباني ومحلات للدفاع عن أنفسهم الأحداث وقعت عند جولة المرور إسقاطه وإسقاط نظامه التحقير

المستوى التضميني:

للصورة دلالات عديدة، حيث أبرزت مجاميع المعتصمين، وهم يتلقون خراطيم الرش بالغازات المسيلة للدموع، وطريقة مقاومتهم بالدعاء والهتافات، والرمي بالحجارة، مع احتياطات ذلك اللثام الذي يعد قطعة القماش" المشدة/ الغترة" جزءا من غطاء الرأس لمعظم اليمنيين.

ترجع بنا الصورة الأولى والمحتجون يرمون قوات الأمن المركزي بالحجارة، إلى أحداث المقاومة وانتفاضة الحجارة بفلسطين المحتلة- وما أكثرها في الاحتجاجات اليمنية- وبرزت الحجارة في الصورة، مع بناء البيوت من الحجارة، حتى أخذت نفس ألوانها.

جاء هيكل إشارة المرور الذي تحطم برميه على الأرض، ولسان حاله يشي بدلالات، أن نظام الشرطة كاذب وباعتباره جزءا لا يتجزأ من بنية النظام الكاذب والفاسد، والذي جعل الشعب ينتفض، كان سقوطه من إسقاط النظام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت الألوان الأسود والرمادي والأبيض طاغية على ملابس المحتجين، منسجمة مع لون الإسفلت والحجارة التي تفترش الشارع، والملابس " الزنن البيضاء"، تنسجم مع الشعارات المكتوبة باللون الأبيض،، وستائر النوافذ البيضاء والتي تعلوه القمريات، ذات الإطار الأبيض، وأيضًا منسجمة، مع لون الفضاء. وفي الصورة الثانية جاءت رمزية إسقاط الصورة تنسجم مع هدف الاحتجاجات من إسقاط النظام، وربما إسقاط الرئيس في فترة لاحقة، كما اشتغلت عليه الأحزاب التي هيمنت على الاحتجاجات، ونظمت وسيرت الاحتجاجات بحسب ما تريد أجندتها(السياسية – الدينية)، واللاعبون على المستوى الإقليمي والدولي (يبقى النظام ويسقط الشخص/ الرئيس فقط).

وحملت صورة الحذاء الذي لوّحت إلى صورة الرئيس بعد إنزالها وتمزيقها، دلالة تحقيرية نابعة من لغة الثقافة الدونية للحذاء في الثقافة اليمنية والعربية، وخصوصًا في الثقافة الشعبية*، وقد جرّتنا إلى مشهدية حذاء "منتظر الزيدي"، الذي قذف به وجه جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أثناء المؤتمر الصحفي، بالعاصمة بغداد عام 14 ديسمبر 2008.

---

* يحفل قاموس التراث الشعبي في اليمن وخصوصًا المعتقدات عن الحذاء العديد من الدلالات والوظائف في الحياة اليومية، بعض المعتقدات وخصوصا عند الفلاحين، يعلق الحذاء على رقبة الثور والأغنام، حتى لا يصاب بالعين، والأرواح الشريرة، وعند رؤية الحذاء مقلوبًا، يعد حرامًا في وجه السماء، ويضرب بالحذاء على شق من الوجه عندما يصاب الطفل بالرطين، أو مايطلق عليه علميًا التهاب الغدة النكافية، ولا ننسى الحكاية الشعبية الشهيرة " وريقة الحناء" التي تشبه حكاية السندريلا، عندما سقط حذاؤها أثناء الرقص في حفلة ابن السلطان،.. إلخ الحكاية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويحتل مشهد الأحذية أو" الجزم"/ الصارمية/ مساحة في الوعي اليمني السياسي الشعبوي وكان منظر الأحذية مبثوثًا في ساحة الاحتجاجات، إذ ترى عشرات الأحذية من كل شكل ولون أوتلك التي كانت توجد عند بوابات الخيم، وأحيانًا توضع صورة علي عبدالله صالح بجانبها، ويؤشر من خلال الشعارات التي سجلناها، إلى " أن مكانك ياصالح هنا"، و" يا علي ياجزمة"، بعض طلاب المدرسة يرددونه، " الرئيس المخلوع لايفهم سوى لغة الأحذية" مكتوبة على ورق بجانب الأحذية عند مدخل الخيمة. وتوالى رمي الأحذية في المشهد الاحتجاجي اليمني، كحادثة رمي صور صالح بالأحذية عقب خطابه في 27 مارس 2011، لرفضه التخلي عن السلطة. وفي شهر فبراير2012، يتكرر رمي صالح بالحذاء شخصيًا في نيويورك، وهو يقف عند بوابة الفندق الذي ينزل فيه مع المرافقين له.

ومشهدية الأحذية المضرجة بالدماء، عند أعمال العنف، كمجزرة الكرامة وغيرها. وقبل سنوات من احتجاجات 2006، كانت بطلة الحذاء السباقة في حروب "الأحذية الأولى، الكاتبة رشيدة القيلي، رئيسة حلف الفضول للحقوق والحريات، وقد رشقت بحذائها(المبارك) أكثر من مرة، المرة الأولى أحد الصحفيين، والسبب أن أحد الصحفيين التابعين للنظام قذف إحدى الصحفيات اليمنيات فدخلت وحذاؤها المبارك التاريخ من أوسع أبوابه، والمرة الأخرى، رمته أيضًا في وجه أحد قادة السلطة عبده الجندي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي 2008، ظهرت صورة أحد الصحفيين وهو يلطم بالحذاء وكيل وزارة الإعلام. حادثة أخرى وهي قيام أحد الضباط برمي حذائه في وجه قائد القوات الجوية، ثم أتت "الثائرة" نادية عبدالله والمصورة الفوتوغرافية، وتعد إحدى أيقونات احتجاجات2011، لتقتفي خطى أستاذتها رشيدة، فرشقت أحد الجنود بحذائها، ومؤخرًا، ذكرى العراسي وهي ترمي بحذائها وجه حمزة الحوثي في مؤتمر جنيف للسلام2015، لتدخل الأحذية في المزاد الفرجوي، فمنهم من سيشتري الحذاء بمبالغ هائلة، ومنهم من سيمنح القاذف سيارة غالية الثمن، استعراض في استعراض، يصاحبه منح الأوصاف والتعابير للحذاء ولقاذف الحذاء والمقذوف تتفاوت بين القداسة والتحقير، " الضربة المقدسة"، الضربة المباركة" يستاهل الحقير"، " جزمة عزكم الله"، لقد خرج الحذاء من وظيفته ليشتغل سياسة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة السادسة

فرجة: لا دراسة ولا تدريس، الجهل المضاعف:

"ولا شك أن عصرنا... يُفضّل الصورة على الشيء، النسخة على الأصل، التمثيل على الواقع، المظهر على الوجود...وما هو مقدس بالنسبة له، ليس سوى الوهم، أما ما هو مدنس فهو الحقيقة، وبالأحرى، فان ماهو مقدس يكبر في عينيه بقدر ما تتناقص الحقيقة ويتزايد الوهم، بحيث إن أعلى درجات الوهم تصبح بالنسبة له أعلى درجات المقدس "فيورباخ (مقدمة من الطبعة الثانية – من جوهر المسيحية " [1]

الوصف

التقطت الصورة على اليسار بتاريخ 2011/3/17، ذات صباح بساحة التغيير بصنعاء، ضمن مظاهرة صباحية عن التعليم، والصورة الثانية لمجموعة من الطالبات بساحة الحرية../2011/4 في المساء، ضمن البرامج اليومية لثوار الساحات.

---

(1) مرجع سابق، "مجتمع الاستعراض"، ص7.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حملت الصورة الأولى الشعار الشهير " لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الخسيس"، وتستبدل في أغلب الأحيان بكلمة الرئيس وهو الشعار الأشهر" لادراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس"، ترفع الشعار إحدى المعلمات، حيث يبدو جزء من وجهها الملفع بالنقاب الأسود (الشرشف ملبس نساء اليمن والمدرسات اليمنيات، ومن الندرة أن تجد أستاذة بوجه مفتوح، فهو يعد الزي/ الستار الرسمي لنساء اليمن) رافعة بجانب اللوحة قلم السبورة " الفلومستر"، وكانت تلك المسيرة للعاملين في سلك التربية والتعليم، جابت نواحي الساحة، بعضهن/ هم يحملون الأقلام، والمصاحف، في الصورة تبدو أيضًا، جزءًا من لافتة معلقة في فضاء الساحة.

أما الصورة الأخرى لمجاميع من التلميذات وهن يجبن ساحة الحرية في مدينة تعز، وكان ذلك المشهد أمرًا اعتياديًا وشبه يومي لمجاميع من طلاب وطالبات المدارس، وهم يجوبون الشوارع في مسيرات كبيرة، ثم يأتون إلى الساحة يتقدمهم المدراء والطاقم التدريسي، ويشرفون عليهم وعلى هتافاتهم..إلخ من الأمور التنظيمية.

وتظهر الصورة جموع الطالبات وهن مرتديات الزي المدرسي الخاص بمدينة تعز، حاملات حقائبهن، وبعضهن كتبهن، وهن لطفلات لم يتعدين الرابعة عشرة وبعضهن في سن الثامنة تقريبًا.

كل من الصورتين تظهر جزءًا من الأعلام الوطنية، وصور الشهداء المعلقة في الصورة الثانية، وكذلك جزء من الخيام والمباني المحيطة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان الهدف من الحملة، إيقاف العملية التعليمية، المتزامن مع شعار الاحتجاج " الشعب يريد إسقاط النظام"، وكان يقود هذه العملية البرلماني ونقيب المعلمين " فؤاد دحابة" الذي كان مستأسدًا على المنصة والصلوات ويردد من عليها ذلك الشعار، وتهتف الجموع مرددة شعار " لا دراسة ولا تدريس... ".

نوع العنصر: JPEG

الأبعاد: 300×1000

الحجم: 260 كيلو بايت

المستوى التعييني

الرسالة التشكيلية

الحامل: التقطت الصورتان من ساحتي الاحتجاجات، الصورة الأولى، من ساحة التغيير بصنعاء بتاريخ 2011/3/19، بعد مجزرة الكرامة بيوم واحد، والثانية من ساحة الحرية بتعز، بتاريخ، 22 أبريل2011. بمساحات مستطيلة.

الإطار: صورت الصورة الأولى من الأمام، مع إطار السماء وجزء من الشعار والأشجار، والصوة الثانية إطار السماء والمباني، صور الشهداء والحشود.

التأطير: في الصورة الأولى أبرزت بشكل كبير اللافتة " لا دراسة ولا تدريس.." من الوجهة الأمامية للتأكيد على واقعية الحدث، في تلك المسيرات الحاشدة.

وأخذت صورة الطالبات من الوجهة الأمامية لإظهار جزء من الصف للعيان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زاوية التقاط الصورة: أخذت الصورة الأولى مقابلة/ أمامي وبزاوية تظهر الشعار، ووجه الأستاذة الحاملة للشعار، وكذلك تم التقاط صورة الطالبات بشكل جانبي لتظهر كثافة وامتداد الطابور مع أخذ جانب من المتجمهرين.

التركيب والإخراج: أول ما تقع العين عليه في الصورة هو الشعار، ثم بعد ذلك نصف الوجه والملبس

وفي الصوة الأخرى، الصف وامتداده، والزي المدرسي، وكم الحماس البادي على وجوه الطالبات.

الأشكال: كلا الصورتين أخذتا من موقع الحدث، مع تفاوت في تواريخ المسيرات، والساحات والمدن.

الألوان والإضاءة: الصورة الأولى جمعت بين الألوان الباردة والألوان الحامية، اللون الأخضر للوحة الشعار، وألوان الكتابة، من الأزرق والأحمر والأخضر. في الصورة الثانية ظهر اللون الأبيض، والألوان الترابية المتمثلة في الزي المدرسي المقرر في مدينة تعز، وظهرت الألوان الحمراء للشعارات وصور الشهداء المعلقة، وجاء لون الزي متساوقًا مع لون المبني ذي النوافذ الكثيرة. والإضاءة تركزت في الصوة الأولى من الأمام، وفي الأخرى من الجانب مع بداية خفوت وهج الشمس بعد العصرية.

التركيب وإخراج الصورة: الصورة مركبة وتركز العين على الشعار، وجمهرة الطالبات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسالة الأيقونية

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضمين في المستوى الثاني
الشكل البشري	وجوه وأجساد الطالبات، وجزء من وجه الأستاذة،	محتجون من أجل إيقاف التعليم حتى إسقاط النظام
الشكل الطبيعي	لا فتات، وشعارات، وصور، مبان	يرمزان إلى الاحتجاج، وإلى المكان/ الساحة

الرسالة اللسانية

تنوعت الرسالة اللسانية مابين الشعار الرئيس" لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الخسيس"، ثم شعار الخيمة المعنونة باللغة العربية والإنجليزية، " خيمة أول كيلو حرية"، "The frist kilo of Freedom"، وكذلك إعلان عن مسابقة من ضمن الفعاليات التي تقام في كل ساحات الجمهورية، ومن ضمنها ساحة تعز التي تأتي الساحة الثانية بعد ساحة التغيير في العاصمة صنعاء. تنوعت كتابة الرسائل اللسانية بالأحمر والأسود والأزرق.

الرسالة التضمينية:

عُدَّت تظاهرات الطلاب والطالبات إحدى الفرجويات الهامة، كرنفال الأطفال من طلاب وطالبات بالزي المدرسي، وهي تهتف في الساحة بالشعار الشهير " لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس" و" يا علي يالزقة، اخرج من تحت البلكة".

ظلت سلطة الساحة ممثلة بالمنصة " الثورية" تشتغل ليل نهار وطوال فترة الاعتصام على شعار: " **لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس**" وشلت المنظومة التعليمية عن بكرة أبيها، أكان على مستوى المدارس أم مستوى التعليم الجامعي، وهذا الشعار مأخوذ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من شعار الثورة السورية، في مظاهرة حمص في 2011/8/18. وكذلك من الثورة المصرية كما رأينا هتافاتهم، وربما أخذ الشعار أصلًا من تونس أيام احتجاجات الطلاب 1976، حيث يقول بوعزيزي:" اليمن تربط في أحد شعاراتها ربطًا شرطيًا بين الإضراب عن الدراسة وسقوط الرئيس لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس، وهو بالمناسبة شعار يستعيد إيقاعًا تونسيًا رفع سنة ست وسبعين وتسع مائة وألف عند ظهور ما يسمى بالحرس الجامعي " لا دراسة ولا تدريس حتى يخرج البوليس "[1]

وبعد احتلال الفرقة الأولى مدرع بمليشياتها القبلية والعسكرية، وانضمامها إلى الاحتجاجات رسميًا في 21/مارس/2011 شكلت المتاريس العسكرية، واحتلت المؤسسات التعليمية مثل جامعة صنعاء، ومدرسة أزال الوادي، ومدارس وكليات أخرى، ومعاهد، والمكتبة المركزية،..إلخ، واستوطن مئات الجنود فيها، بحجة حماية المحتجين في الساحات، كون ساحة الاحتجاج تقع متاخمة ومتداخلة مع جامعة صنعاء وكلياتها المختلفة، ولأول مرة في تاريخ اليمن والحركة التعليمية، يجرى احتلال الجامعات والمدارس من قبل قوات الجيش، واستبدال الحراسة الجامعية بحراسة أسموها" الحرس المدني الجامعي"، وتعطلت العملية التعليمية، وتم ذلك بمباركة وزير الداخلية عبد القادر قحطان وزير الداخلية، وكذلك وزير التربية والتعليم" الدكتور عبد

(1) بو عزيزي، محسن،" اللغة والثورة، قراءة في الدلالة"، ص113، http://yaf.ps/server/uploadedFiles/docs/PALASTINIAN ISSUS1/9.pdf.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرزاق الأشول وهما أيضًا منتميان إلى حزب التجمع اليمني للإصلاح، مما جعل السلطة الحاكمة تبحث عن مقرات مؤقتة لاستكمال العملية التعليمية.

وتم إغلاق الدراسة في جامعة صنعاء تحديدًا في 2011/5/2، وكتب طلاب التغيير على بوابة الجامعة " مغلق من قبل الطلاب"، وخرجت بعد ذلك المسيرات والتظاهرات من قبل الطلاب والطالبات من الجامعة كلية الآداب، وكلية الطب وكلية الإعلام وو..إلخ، الذين ضجوا بأصواتهم هتافات" لا دراسة لا تدريس حتى يسقط الرئيس"، وفي عبارة أخرى استبدلت الرئيس ب" الخسيس".

وأصبح الذين أرادوا مواصلة التعليم عرضة للتحريض المضاد أكان في المدارس أو الجامعات التي ظلت مفتوحة وتقع داخل منظومة صالح، وقد قدم العديد من أساتذة الجامعات استقالاتهم وانضمامهم إلى الساحات الاحتجاجية كما في تعز وصنعاء، وكانت مسيرات أكبر مدارس تعز وأهمها على الإطلاق هما مدرسة الشعب وثانوية تعز وقد تخرج منها مئات من قادة الرأى العام، خرجوا يستعرضون بحماس، وهم قادة المظاهرات الشباب ويحملون لا فتات وهتافات: " لا دراسة، ولا تدريس حتى يسقط الرئيس، أو لادراسة ولا تدريس – الثورة تعني حراسة"، بل وخرجت من جامعة صنعاء أيضًا مسيرات لإسقاط النظام من الأكاديميين والطلاب المنضمين إلى الساحة بعد سقوط نظام بن علي في تونس 2011/1/15، وخرجت المظاهرات من قلب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جامعة صنعاء في 2011/1/16، تحت شعار " الشعب يريد إسقاط النظام. وكانت المظاهرات تتناوب شبه يومي، ليس بإسقاط النظام بل وإسقاط رؤساء الجامعات و العمداء والأكاديميين، هذه إحدى شعارات جامعة صنعاء انصبت على رئيس الجامعة الدكتور خالد طميم، "ياطميم شلوك الجن، كم لك بالمكتب تعجن"، يالله ارحل ياطميم"، "من حقي أهتف وأسأل ليش حق الطالب مهمل"، لا قاعات ولا معمل، يالله ارحل ياطميم"، وبالمثل في جامعة عدن والمحافظات التي وجدت داخلها ساحات الاحتجاج. كما خرجت من كلية الآداب بجامعة صنعاء مظاهرة طلابية، تهتف بإسقاط عميد كلية الآداب "حسن الكحلاني"، وشعارات بجانبها عن التعليم، مثل "الدراسة بدون معامل في كلية علمية، يعني تهميش التعليم"، نطالب بعزل عميد كلية الآداب وإصلاح التعليم ووقف التدهور"، "آن الأوان كي نطهر جامعاتنا من الفاسدين"، "من حقي أن أجد تعليمًا أفضل بدولة مدنية حديثة"، يكفي تعليمًا خاطئًا".

كانت هناك مجاميع من الطلاب والطالبات الذين يحشدون للخروج بمسيرات لإسقاط النظام، وشعار لا دراسة ولا تدريس حتى إسقاط النظام، وارحل..إلخ من الشعارات، وبالتعبئة المعروفة لا يكتفون بالشعارات، بل ويقومون بتمزيق وإحراق الكتب والدفاتر. وكانت تتم داخل ساحات التغيير في المدن اليمنية، وكذلك الطلاب والطالبات في موقع مدارسهم، وفي الشارع كذلك، بعضهم مادون 18سنة، بعضهم طلاب وطالبات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابتدائي، كالطلاب الذين تدفقوا إلى ساحة التغيير في أكثر من مسيرة، وغير مسيرة في الشارع، أو داخل المدارس، فتراهم في أروقة الساحات، أو من على المنصة، يهتفون" يا حمادة* قل لابوك، اليمن مش حق أبوك، يا زبيري أبو الأحرار إحنا معك على خط النار"، يا علي يا دجال الكرسي يشتي رجال"، " يا علي ياجزمة"، و"حجر وسيري سايرة، علي بايرحل طايرة"(1)

في الجانب الآخر، كانت هناك أصوات تستنكر إيقاف العملية التعليمية، وربطها، بإسقاط النظام، إذ عدوها سابقة في تاريخ اليمن، إحدى الأكاديميات سعاد السبع، أستاذة المناهج وطرائق التدريس في جامعة صنعاء، تقول مستنكرة "إن إيقاف التعليم خطأ ديني وسياسي وتاريخي وإنساني يتحمله كل من ساهم في ارتكاب هذا الخطأ سواء بالإضراب عن العمل في مؤسسات التعليم أو التحريض على إقفال المدارس أو الدعوة إلى عدم الذهاب إلى المدارس أو سد منافذ المؤسسات التعليمية كجامعة صنعاء، لأن التعليم مثل الصحة إذا توقف توقفت الحياة... فالتعليم لا ينبغي أن يكون ضحية لصراعاتنا، وأن إقفال المدارس والجامعات ينذر بكارثة اجتماعية وأخلاقية كبيرة ستعاني منها كل الأسر اليمنية"(2)

تضمنت خطة التهييج إعطاء الأوامر لمدراء المدارس، وللمعلمين والمعلمات بالخروج والعصيان، بحجة التضامن مع

---

* حمادة، للتصغير والتدلل معًا، والمقصود هنا،أحمد علي عبدالله صالح، وهو الابن الأكبر للرئيس، وقائد الحرس الجمهوري.

(1)https://www.youtube.com/watch?v=F8WZAGKbIBY ، تمت المشاهدة 2021/2/7، الساعة التاسعة صباحا.

(2) http://www.madarisna.info/?p=17876.(2021/2/7، الساعة العاشرة صباحا)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إخوتهم في المحافظة الفلانية، أو لمطالبة بالمساواة، وهكذا كانت المظاهرات ضد التعليم في كل المحافظات التي تتواجد بها ساحات التغيير، كطلاب مدينة الحديدة (المجلس الطلابي لشباب التغيير- جامعة الحديدة) الذين خرجوا يطالبون" تأخير الدراسة مساواة بإخوتنا في جميع المحافظات"

وفي نفس الاتجاه كانت تعز تنتفض وترفع ذلك الشعار، إسقاط الدراسة والتعليم وهي من أوائل المدن في تاريخها الحديث التي طالبت بالتعليم، وعلى مواطنيها أطلقت عليهم صفة المدنية لتميزهم عن بقية المحافظات في هذا المجال، ولكن خرج الطلاب والطالبات وأساتذتهم، وأساتذة الجامعات بالآلاف في مسيرات متفاوتة، تطالب بوقف التعليم، "يا علي سلم سلم، نشتي رئيس متعلم" و"من صنعاء وتعز وعدن لن ندرس إلا معًا".

وانعقد أكثر من اعتصام في مدينة تعز أمام التربية والتعليم، وداخل المدرسة النموذجية المعروفة بـ"نعمة رسام" وخارجها أيضًا، وطالعتنا وسائل الإعلام المختلفة، وخصوصًا الفيديوهات مجموع الطالبات والمعلمات يجبن الشوارع خصوصًا شارع جمال الشارع المزدحم وساحة التحرير، بالميكروفونات والطبلة وعند مكتب التربية والتعليم وأروقته في هيجان جماعي، بعضهن لم يتعدين العشر سنوات، "نحن أجيال المستقبل ونطالب بمستقبل أفضل"، " المديرة فاسدة"، "لادراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس"، اعتصام اعتصام حتى تسقط بنت رسام"، ما تعبناش ماتعبناش الحرية مش ببلاش"، " الله أكبر حرية"، "سرق سرق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثورة على كل السرق"، و" لادراسة ولا تدريس حتى تسقط بنت إبليس"، نفس شعارات ساحات الاحتجاج.*

وبالمثل كانت الفوضى والهيجان الجماعي لطالبات مدرسة "سنان حطروم " بالعاصمة صنعاء، لإسقاط مديرة المدرسة جميلة الأحلسي بسبب ما زعمنه من تعامل غير أخلاقي من قبل المديرة" والفساد ونهب الثروات " وورد من شعارات طالبات سنان حطروم، شعارات: " ارحل، ارحلي، " الشعب يريد إسقاط المديرة"، المديرة فاقدة للأخلاق" وفاقد الشيء لا يعطيه"، "15 عامًا من الفساد والظلام"، يا وزارة ياجديدة، اسقطي هذي(هذه) المديرة..ارحلي"(1)

وبعد " الانتصار بإسقاط المديرة" أقيم احتفال في ساحة التغيير، واستدعيت قيادات "الانتفاضة" من الطالبات الصغيرات، ليلقين الكلمات وسط تصفيق المحتجين، إحدى المحتجات الطالبات التي تظهر دومًا في الساحة والإعلام، تقول:" عندما طالبنا بتغييرها استدعت البلاطجة إلى مدرستنا وقاموا بضربنا بالأعصية الخشبية والأعصية الحديدية، ونحن نرفض الصمت ونرفض الظلم رفضًا باتًا، لأن الصمت مقبرة الجبان والساكت عن الحق شيطان أخرس، نحن خرجنا لنطالب بحقوقنا ونقول كفى ظلمًا وكفى فسادًا، نحن جيل المستقبل نحن الذين يفخر بنا الوطن- تلتفت لتشير إلى جموع المحتشدات-هؤلاء من يفخر بهم

---

* https://www.youtube.com/watch?v=yiBM4_hrq.(2019/2/9، الساعة السادسة والنصف -صباحا)

(1) https://www.youtube.com/watch?v=x2oLcpoqnx8(2021/2/9 الساعة السادسة والربع صباحا)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوطن"، طالبة أخرى، تقول وسط الضجيج، " هذه المديرة ظالمة جدًا ونحن خرجنا ضدها، فقامت باستدعاء بلاطجة للاعتداء علينا وضرب الطالبات".

إحدى المسؤولات والقياديات في المسيرة" المخلافي" طالبة لا يتجاوز عمرها السادسة عشر، تقول من على المنصة وبخطبة عصماء، " خرجنا تحت مطلب واحد إسقاط جميلة الأحلسي بسبب إهانة المدرسات وإهانتنا نحن الطالبات، لقد تعرضنا لجميع أنواع الإهانات، وتواصل الخطبة والجموع تهتف بما فيهن الطالبات " الله أكبر حرية". وتوجه كلامها إلى المحتجين في الساحة " تعلمنا منكم الحياة والسلمية، الصمود والإباء ومارسناها في مؤسساتنا التعليمية التي ستبني الأجيال، رفضنا الظلم والاستبداد لكي نخرج جيلًا متعلمًا مثقفًا لا يحكمه أشخاص... خرجنا لرفض الظلم والاستبداد، ونحن مقتدون بكم، أنتم يامن ظللتم في الساحة، فأسقطنا المديرة ولله الحمد" تنهي الطالبة الخطبةإذ يقوم أحدهم بتقبيل رأسها[1]

وبالمثل قامت طالبات مدرسة نسيبة بـ"ثورتهن" على مديرة المدرسة أمل عوض الحضرمي، ووكيلة المدرسة، "إحنا الطالبات خرجنا ضد المديرة وأختها الوكيلة، طلع الحكم وراثي حتى داخل المدارس، خرجنا مظاهرات بالساحة وفي الشارع علشان نخلعها وهي فاسدة وهي رمز من رموز الفساد، لا مدرسة ساع الناس لا

(1)https://www.youtube.com/watch?v=0nVz78NFt7k الساعة السابعة وسبعة وأربعون 2021929) دقيقة صباحًا)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مشروع مياه للحمامات لاساحات لامدرسات ذات كفاءات ولا حتى فراشات نحنا ننظف الساحات واحنا ننظف الحمامات ما معناش كتب نعاني من نقص الكتب أغلب الطالبات يشتروا الكتب من برع، وفي النهاية الوزارة تجيب الكتب وهي تجيبها للمدارس الخاصة. هل هذا يستحق القيام بالثورة ولا مايستحقش؟يستحق القيام بالثورة. نحنا خرجنا نطالب بحقوقنا الأساسية خرجنا ندافع عن حقوقنا ولن نتراجع – وتكرر– ولن نتراجع حتى تجنح الوزارة وتعطي ورقة استقالة أمل عوض، نحن مستمرين على المظاهرات داخل المدرسة إذا وصل الأمر بنقود مظاهرات إلى وزاراة التربية والتعليم هذا آخر قرار لنا"[1]

تظل خطبهن، وآراؤهن هي آراء من يقودونهن في سياق لغة خطاب الساحة، أو بالأحرى الخطاب المهيمن على الاحتجاج، وهم جماعات الإسلام السياسي، والقبائلي، والعسكر.

ماهي الثورة المعرفية التي استندت عليها قوى الربيع العربي وخصوصًا في اليمن لوقف التعليم واحتلال المدارس والجامعات والمقرات المختلفة الخاصة بالمؤسسة التعليمية، والذي هو بالاصل محتل من قبل الجماعات الإسلاموية طوال المسيرة التعليمية في اليمن؟

وبالرغم من أن حقيبة التربية والتعليم ليست سيادية بمفهوم السلطة الغنائمية الحاكمة، إلا أن جماعة الإسلام السياسي، تعدها من أكبر وأهم غنائمها، وزارة دسمة سيادية بامتياز، إذ عبرها

(1)https://www.youtube.com/watch?v=cDNmsXbaPpM.(2021 يناير 7)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشكل حاضر المجتمع ومستقبله كيفما تشاء، حقيبة التعليم هي ملكها وراعيها الرئيس منذ عقود من الزمن، واستملكتها بالقوة والدم، خصوصًا بعد حرب " الردة والانفصال 1994، وغزو الجنوب، فاشتغلت على إلغاء العقل من خلال مناهج التعليم، فأسلمتها مثل أسلمة التعليم برمته وأسلمة المجتمع. فمن يستولي على التربية والتعليم استولى على العقل، استولى على المستقبل، وفق أجندته الفكرية في التشكيل.

منظومة السلطة الدينية لا تعتبر السلطة الموازية فحسب، بل هي حالة في قلب النظام، وتفاصيله، هي التي تحكم معنىً ومبنىً، وأصبح الجهل والتجهيل المبرمج قيمة اقتصادية رابحة، يستثمر بها في كل الأرجاء الداخلية والخارجية، حيث التفريخات الجهادية تأتي من حقل التربية والتعليم من المدارس الحكومية، والأهلية، ومدارس التحفيظ، والمعاهد العلمية، والمعاهد القرآنية، والجامعات والكليات.. إلخ تفريخات منظومة العنف ومشاريع الجهاد الاستشهادية والحروب المجتمعية وتصديرها إلى الخارج، إذ يعد رأسمالها المادي والرمزي.

وقيمة اقتصادية للحرب/ الثورة حيث أصبحت مؤسسات التعليم ثكنات عسكرية للنصع، والتدريب والإنتشار، بل وتصدير الإرهاب من خلالها، وقوة الجهل في الساحة كانت عنيفة، وتصيب الهدف بسرعة الغريزة.

فعبر السلطة الثائرة المهيمنة على الساحة والمعتصمين جرى تدوير الجهل مثلما جرى تدوير الزمن، وإنتاج الجهل والعطالة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لاستخدامهما في مهمات تثويرية، منها مشاريع الشهادة الرائجة والرابحة معًا.

سعى حزب التجمع اليمني للإصلاح بقيادة الإخوان المسلمين وتحت مظلة تنظيم الإخوان الدولي، وعلى مر تاريخهم، ومنذ عقود من الزمن إلى استملاك التربية والتعليم للوصول إلى الحكم، فهي صاحبة القاعدة الشعبية الهامة والأخطر، في تاريخ الحركة السياسية في اليمن خاصة والوطن العربي عامة.

أجندتها وأيديولوجيتها لعقود من الزمن – خصوصًا منذ السبعينيات عندما – تأسست المعاهد العلمية " الوهابية " وبفاشية ممنهجة صهر المنهج المدرسي، والزي، ونوعية الحصص، والأنشطة المدرسية، وجرمت الفنون والموسيقى والرسم، وأغلقت المسارح المدرسية ليتم تحويلها مخازن للخردوات وإلى مساجد، بعد أن كان المسرح يعد جزءا لا يتجزأ من معمار المدرسة والجامعة التي بنتها وعمرتها دولة الكويت قبل عقود.

وحتى المكتبات وإن وجدت فقد غدت متروسة بكتب أصولية ومرجعيات القرون الوسطى خصوصًا الفقهيات كـ"ابن تيمية"، والغزالي، وسير الخلفاء، والبطولات، والخرافات والغيبيات. أما النشيد الوطني هل يجوز أولا يجوز أن ينشده التلاميذ في المدارس، فلم يسلم هو الآخر من حرب الجماعات عليه فقد اشتغلوا على منعه بهدوء، فبعض المدارس الغت النشيد الوطني وتحية العلم، خصوصًا في مدارس الريف، وكان نشيد معاهدهم، نشيد الإخوان المسلمين المعروف" الله غايتنا، والقرآن دستورنا..إلخ، والذي ذكرناه سابقًا، فضلًا عن صرخة ثنائي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحكم: " الإصلاح/النظام: " الله،الوطن، الثورة، الوحدة"، و" الوحدة أو الموت"، ليس في المدارس بل والجيش والإعلام، وكافة المؤسسات لإفراغها من معانيها وأشتُغل عليها كرأسمال أساسي للحروب وأسلمة وأفغنة المجتمع والحياة برمتها.

وكان أحد إفرازاته الساطعة في أحداث 2012 كإعلان العديد من مناطق اليمن من أبين، وشبوة "عزان " إمارات إسلامية، فقد قامت جماعة " أنصار الشريعة " في –مديرية جعار – أبين بتشكيل لجنة تتعلق بالتعليم تمخضت عن التالي "تشكلت لجنة تعليمية وأقرت منهجًا تعليميًا للصفوف الدراسية، وألزمت المدرسين بموجبه... والتقوا مع مدراء المدارس وألزموهم بالعمل بالمنهج الدراسي وفق النمط الإسلامي، إضافة إلى العديد من الإجراءات الأخرى مثل منع الاختلاط بين البنين والبنات في المدارس، وكذا منع تحية العلم والسلام الجمهوري في الطابور الصباحي "[1]

فرجة، حملة " أنا نازل"، "لا لعسكرة الجامعة"

حملت القوى المهيمنة على الاحتجاجات في اليمن عدة أوجه، ففي الوقت الذي تغلق الجامعات، وتمنع التعليم وترفع شعار" لا دراسة ولا تدريس..."، لها وجهها الآخر، حيث خرجت مسيرات نسائية داخل ساحة التغيير، تطالب بعدم تسييس التعليم، نعم للكفاءات"، و"كفى تعليمًا خاطئًا"..إلخ. وبنفس الشيء عندما وجدت حملة " أنا نازل لا لعسكرة الجامعة" 22ديسمبر2012، من قبل الشباب الرافضين للفرقة والجماعات الدينية وعسكرة الثورة،

(1) صحيفة الأولى – العدد 366 – الاثنين 12مارس 2012

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى هذه لم تخلو منهم، فأرسلوا شبابهم " الجنتل-إسلامي"، وعمدوا إلى التبني الشكلي للفعالية لتهميش الشباب المدني، المستقل، أو ممن انضووا تحت الأحزاب الاشتراكية والقومية.

وقد خرجت العديد من المسيرات بعد أشهر من الاعتصامات ضد الفرقة والسلطة القابضة على الساحة تطالب بترك التعليم يمارس مهمته الأصلية، وإخلاء المدارس والجامعات من العسكر. أهم هذه المسيرات "حملة أنا نازل، لا لعسكرة الجامعة". am , going " I

ظهرت حملة قوية وهامة عند المحتجين اليمنيين الذين رفضوا ممارسات الطرف المهيمن على الاحتجاجات والساحة طوال فترة وجود ساحات الاحتجاجات، ونتيجة لاحتلال الجامعات والكليات، والمدارس الواقعة في ذلك النطاق الجغرافي، صار الشباب ينتفضون، وعند الترويج لحملة "أنا نازل لا، لعسكرة الجامعة"، 22 ديسمبر، 2012، وتكرر النزول، في أيام كثيرة على سبيل المثال " لأن العسكر ماخروجوش"، كما في 12 يناير2013، في وسائل الإعلام المختلفة " الفيسبوك" وادماج الصور الشخصية بشعار الحملة، وما أن تم اعلان المسيرة، في ذلك اليوم، حتى سارع أعضاء من حزب الإصلاح وأذرعه في الساحة إلى الاعلان عن نفسهم أنهم نازلون ضمن الحملة ويرفضون عسكرة الجامعة على سبيل المثال "خالد الآنسي"، المحامي الشهير في حزب التجمع اليمني للإصلاح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولأكثر من أسبوع خرجت المجاميع الشابية هاتفة" حرية حرية جامعتنا مدنية"، " ارحلوا عن جامعاتنا"، " نبني دولة مش معسكر"، " لا لعسكرة أحلامنا"، " علي محسن يهلوس، با ييجي بكرة يدرس"، " يا طالب، وياطالبة، عندي قصة عجيبة في الجامعة مصيبة، جيش كامل مش كتيبة"، " جامعتنا للتدريس مش مجمع متاريس"، كيف ندرس ونتعلم، ومن الفرقة نتألم"، "" من كل قاعة وكلية، صفقة صفقة قوية، جامعتنا مدنية، مش ثكنات عسكرية"، " الجامعة للطالب مش للفندم والضابط"، " جامعتي تعليمية، مش كعكة سياسية ".

كما ذكرنا، من خلال المشاهدة، وأنت في ساحة الاحتجاج، تفتح عيونك على مشاهد العسكر وبسلاحهم يتمخطرون في أروقة الجامعة والكليات، والقاعات، والساحة، بل ويتدربون في أروقة الجامعة، ومدرسة آزال الوادي، أسلحتهم ودباباتهم داخل الجامعة والكليات. ولقد تعرض بعض الطلاب والطالبات في مسيرة النزول إلى مضايقات وانتهاكات، كالضرب بالهروات، واطلاق الرصاص، والسجن كما حدث، للشابين، هاني الجنيد وهاشم الأبارة، والاعتداء على ماجد الشعيبي، والكثيرون بما فيهن النساء.

كان أصحاب الصوت المغاير على قلتهم، وخفوت صوتهم أمام حشود ملايين الدوغما، يواصلون مسيراتهم، ضد عسكرة الجامعة من أي طرف، وتعسكرت الجامعة ليس فقط من كتائيب الفرقة الأولى مدرع وتراهم وهم يرفلون في ساحات الجامعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والقاعات، وساحة التغيير ويتمترسون بالمباني، فالإصلاح نزل، والحوثيون باسم الصمود وأنصار الله*

ولئن كان يوجد صوتًا يحظى باحترام من المنتمين، وأحد كوادر الدولة والأكاديميين في مجال التعليم، فهو صوت الدكتور صالح باصرة وزير التعليم العالي، إذ انتقد أكثر من مرة الأحزاب التي أوقف العملية التعليمية في ظل الاحتجاجات، إذ قال في هذا الصدد" لم تشذ عن المسار السياسي الذي شهدته اليمن منذ الأربعينيات، ولم يسجل خلاله أي اعتداء أو محاولة احتلال مبنى أو مؤسسة تعليمية... القوة الحاكمة في اليمن لم تحتل مبنى تعليميًا سواء في عهد الحكم الإمامي أو الاستعمار البغيض ولم تسجل واقعة اقتحم جنود لمقرات التعليم بقصد التعطيل والإيقاف كما هو حاصل اليوم... حتى في ظل صراعات الحزب الاشتراكي اليمني التي وصلت في ثمانينيات القرن الماضي إلى المواجهات في الشوارع لم تحتل مراكز التعليم ولم تتطاول المواجهات على المدارس والجامعات"(1)

استخدم الطلاب والطالبات والمدراء والمعلمون والمعلمات والمنظومة التعليمة، في هذا التأجيج لإيقاف العملية التعليمية، وأيضا أتت فرجة متزامنة مع هذا التأجيج، وهي فرجة "الثورة

---

* والحوثيون أيضًا احتلوا الجامعة في انقلابهم 21سبتمبر 2014، بالرغم من نزولهم ضد عسكرة الجامعة، ومسيرات كثيرة منها، إخلاء المدن من المعسكرات في 2012، لكن صراعهم كان ضد الفرقة وعلي محسن، صراع شخصي، لكنهم أظهروا أنهم لايختلفون عن الفرقة الأولى مدرع البتة، والإسلام السياسي، إن لم يكونوا أكثر عنفًا وتطرفًا، وطائفية.

(1)https://althawra news.net/news4881.html.(الثورة نت)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخلاقية في المؤسسات"، كما أطلق عليها القابض على سلطة الاحتجاج، باسم الثورة مقدسة واليمن الجديد؟ كانت تبث هذه الفرجويات الثورية على الفضاءات الإعلامية، مثل ثورة المدارس على مديرات ومدراء المدارس، والمعلمين، فرأينا، باسم الثورة كل تلك الانتهاكات.

هذا التكتل وتشجراته الظاهرة والمستترة، هو من قاد "الاحتجاجات وهيمن عليها، وعسكرها، وفجر وقاد الحروب ما قبل 2011، وما بعدها.

لم يكن المجال الديني فقط طقوسيًا، بل جوهر وفكر وروح، تمثل اليمني كائن/حيوان ديني، ومذهبي ومفرط في انتمائه الديني، العصبوي والعنيف. استخدمت هذه الفرجة، كأيديولوجية أو أسطورة بحسب رولان بارت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة السابعة:

فرجة الحشود" الجمعة السيلانية"" الدولة المدنية -أنموذجًا

"السلفيون عندما يقولون دولة مدنية يقصدون دولة لايحكمها غيرهم إنما هم من يحكمون، هو تكتيك سياسي "[1]

(1) العسكري، سليمان، " ثورات الربيع العربي 2011، عالم الفكر، العدد 4، المجلد 40، أبريل يونيو، ص303

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوصف:

حشود مليونية من المحتجين الذكور والإناث والأطفال يصطفون أسبوعيًا في يوم الجمعة للصلاة، في شارع الستين حيث تقام الاحتجاجات من مسيرات وصلوات واحتفالات.. وقد سميت هذه الجمعة بـ" جمعة نحو دولة مدنية ديمقراطية"، وفي عناوين أخرى " نحو دولة مدنية ديمقراطية حديثة"، بتاريخ 2011/7/15.

أخذت الصورة من موقع[1]، https://akhbaralyom-ye.net/news_details.php?sid=42609.

يرى المشاهد الأعمدة الحجرية التي تعد جزءًا من شارع الستين، ويقف عليها المصورون الذين يلتقطون الصور من الأعلى ليبين حجم الحشود المليونية.

في الصورة، كتلة صغيرة للنساء بلباسهن الأسود، حث يتم اجتزاء مساحة من الشارع العام لهن ولأطفالهن، ليمارسن احتجاجهن بالصلاة، أو الهتافات، أو في المسيرات، ويتم عمل سياج أو حماية للفصل بينهن وبين المصلين الرجال.

وفي الصورة سيارتان تبدوان للطوارئ. وبعض الأعمدة الإعلانية، واللوحة الإعلانية الكبيرة باسم الجمعة والتي تتغير حسب مسمى الجمعة في كل أسبوع، نرى في الصورة بعض الأشجار، والأعمدة الكهربائية، وجسر الستين، وفي الجهة اليسرى تشاهد الخلاء.

---

(1)https://akhbaralyom ye.net/news_details.php?sid=42609 (16م/2/2021 الساعة السادسة والربع صباحًا).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستوى التعييني

الرسالة التشكيلية:

الحامل: صورة فوتغرافية منشورة في صحيفة أخبار اليوم، وهي صورة طولية، يبلغ حجمها، 133 كيلوبايت، الأبعاد:610×408، ونوع العنصر: JPEG

الإطار: شكل عمود الجسر واللوحة الكبيرة لعنوان المليونية لجمعة الدولة المدنية إطارًا للصورة. والتقطت الصورة من أعلى حتى يتبين عدد حشود الجمعة ككل الحشود التي في الساحة – المنصة، أو المسيرات، أو الجُمع.. لكن حشود الستين أضعاف مضاعفة من حيز الساحة.

التأطير: كان التركيز على اللوحة التي احتفت بعنوان الجمعة "نحو دولة مدنية ديمقراطية".

زاوية التقاط الصورة: علوية مع ميلان نحو اليسار، وجهت الكاميرا نحو اللوحة والجموع الذكورية، وكذلك النساء بصورة زاوية ضيقة "كتلة".

التركيب والإخراج: أول ماتقع عليها العين هو الحشود البيضاء للرجال، واللوحة الإعلانية لمسمى الجمعة، وأخيرًا الكتلة السوداء للنساء.

الأشكال: حوت الصورة بعض الأشكال، اللوحة كشكل مستطيلي، وأشكال عمودية وهي الأعمدة الكهربائية والحجرية، وطولية الطرقات.

الألوان والإضاءة: اللون الأبيض للحشود الذكورية التي تلبس الزي اليمني المعروف، والمتمثل ما يعرف بـ "الزنة البيضاء،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغطاء الرأس المشدة/ الغترة"، واللون الأبيض يحضر أكثر في صلاة الجمعة. ثم اللون الأسود للحيز/ الكتلة النسائية المحشورة بين الملايين، واستخدم اللون الأحمر لكتابة شعار فعالية الجمعة" جمعة من أجل دولة مدنية ديمقراطية". أما الإضاءة فتكرست على الأجساد التي بدأت بعيد فتكتلت في جزئيات صغيرة. تذرير الحشود في التصوير من علو.

التركيب وإخراج الصورة: الصورة طولية وأتت متجانسة مع الأعمدة، وتركز العين على الشعار، والحشود المليونية.

الرسالة الأيقونية:

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضمين في المستوى الثاني
الشكل البشري	أجساد، الحشود المليونية	محتجون ومصلون للمطالبة بالدولة المدنية الديمقراطية
الشكل الطبيعي	لافتة الشعار، الأعمدة، أعمدة أشكال المباني الجمالية للجسر، والجسر الحديدي، السيارات	ويرمزون إلى الشارع/ المصلى، للمطالبة بالدولة االمدنية.

الرسالة اللسانية:

الرسالة اللسانية الوحيدة في الصورة هي لغة الشعار" جمعة من أجل دولة مدنية ديمقرطية"، ميدان الستين – صنعاء 2011/7/15"، وكتابة على لوحة لإعلان مادة استهلاكية، هناك كتابات أخرى لاتقرأ، نظرًا لتصغير حجم الصورة.

المستوى التضميني:

يعد يوم الجمعة عيد المسلمين الأسبوعي في أوقات السلم، وفي أزمنة الاصطفاف والتكتلات أكانت سياسية أم دينية، أم قبلية، وفي حالة الحروب أيضًا، إذ يكون يومًا مناسبًا للاستنفار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والنفير، حيث تبث الحشود رسالتها (مع وضد) بحسب ما يأمر به المُهيمن، أكان نظامًا، أم معارضة، شيخًا قبليًا، أو رجل دين، كما في كل جُمع 2011.

تلك الحشود التي كانت تحضر ساحة الاحتجاجات، ومعها أدواتها، أكانت أدوات فرجة عفوية أم أدوات فرجوية مقصودة "صناعة الفرجة"، أي مسيسة، فهل كانت فرجة الجمعة في ساحات الحرية التغيير عفوية، أم مقرونة بسلطة، وماهي تلك السلطة، أم بأيديولوجيا، كما عبر عنها ديبور "الاستعراض سلطة"[1]؟ أم بالإثنين معًا؟

حضرت أدوات الفرجة من الخطاب اللساني والبصري بقوة الجماهير/ بأجسادها المليونية الفاعلة والمفعولة، الملابس، والشعارات، والمسيرات، والقتل، والدم، والمسجد، والصلاة، والجُمع، والقات، والخيمة، والجنابي" الخناجر"، الطبول والرقص "البرع"، والأناشيد، والنساء المجلببات بالأسود، والقيامة، الورود، النعوش، الورود البلاستيكية، الأكفان، الطبول والمطاعم، والكافيهات، وأصحاب العربيات، وبائعي القات، حضرت المنصة بخطبائها المكرسين لهذا الغرض، حيث يتم اختيارهم بعناية، حضرت فرجة اللسان، من هتافات عفوية ومسيسة، وفرجة بصرية/ الصورة. فضاء الساحة هو كل تلك الألوان، والعمارات والأسواق، والإعلانات، وو..إلخ، ففي حشد

(1) مرجع سابق، "الاستعراض"، ص103

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيام الجمعة وتسمياتها تحضر كل هذه السينوغرافيا في ساحات الاحتجاج في عموم اليمن.

أجساد مستلبة من حشود مليونية رجالًا ونساءً، حشود جماعوية أخضعتهم الآلة الاحتجاجية للنفير التثويري، وأحيانًا يخضعون للموت حين يتطلب الأمر تقديم باقة من الضحايا والقرابين. كمجزرة الكرامة، التي كانت أثناء صلاة الجمعة18 مارس2011، ورئاسة الوزراء- بنك الدم 11مايو2011، ملعب الثورة 27أبريل2011، مجازر كنتاكي من 18 سبتمبر-23سبتمبر انتهت بقتل 100قتيل، وإصابة 500جريح" كما سجلت وسائل الإعلام المختلفة المحلية والدولية.

كانت الساحة بما هي ذلك الفضاء الذي يمارس فيه الناس تمثلاتهم الثقافية - الصلاة- الجمعة- المسيرة، أي الحشود، والمليونية في العواصم الكبيرة كـ "تعز"على سبيل المثال صورة مصغرة من المجتمع الكبير، يحمل مدلولات رمزية. أو كما قال ديبور " صورة المجتمع المرآوي "[1]

ولقد أصبحت الحالة السيلانية المتدفقة لأساطير الجمعة في الوجدان الإسلامي، والمعيش الاجتماعي والتي خرجت من أطارها الديني لتتحول إلى سياسة صرفة، فتجمدت وتحجرت لتصبح أداة في يد مقاولي الساحات، ومقاولي السلط المختلفة - وما أكثرها في اليمن- التي انتقل منها إلى الساحات في مشهدية لم تر مثلها اليمن خلال تاريخها الحديث والمعاصر، بعد أن استغل

(1) المرجع نفسه، ص95.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإعلام المرئي – الصورة في صنع هذا الاستعراض وترويجه محليًا وخارجيًا، من ذلك الاستعراض وصناعة الأيقونات.

فشكلوا في وعي الجماهير الأساطير " الثورية"، من حالاته السيلانية إلى المتحجر بصبغة ثورية لاتخلو من التعصب العنيف، "... هذه الحركة الجوهرية للاستعراض التي تتمثل في تلقفه لكل ما كان يوجد في النشاط الإنساني في حالة سائلة لتملكه في حالة متجلطة كأشياء"(1)

الحشود من أعلى ومن أسفل:

"الشعب يريد إسقاط النظام"، و"ارحل"، الشعاران اللذان اجتاحا وجدان الجماهير الغاضبة، ورددهما الصغار والكبار، في الحضر والريف، عُد هذان الشعاران في مركز القداسة، في لغة الاحتجاجات العربية واليمنية، وخطاب الجمعة والصلوات عامة، إنهما الدينامو الذي كان يحرك الجماهير في" ثورتهم" التي احتلت قداسة السردية الكبرى Grand Narratives.

ترى الجماهير المخدرة بالقات والخطاب الديني الشعبوي المتعصب والمتطرف تهيّجهم، فتنبري مشهدية الحشود كأنما أصيبت بمسٍ، خصوصًا عندما تحضر الرموز الدينية، والدعاة كـعبد المجيد الزنداني، عبد الوهاب الديلمي، وعبدالله صعتر، ومحمد الحزمي، عبدالله أحمد العديني، وغيرهم من أساطين اللحوم المسمومة، وأنت ترى الحشود، وقد أصابها المس/ الجذبة، جموع منفعلة تتعصب حد العنف الجسدي والمعنوي، ويصبح

(1) المرجع نفسه، ص19.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطاب الساحة بالمجمل خطاب تثويري انفعالي منفلت، يستدر الآهات والدموع والمال ونجدة السماء بزوال علي عبدالله صالح وتحقيق الانتصار للوصول إلى الفردوس، الذي يروج له الدعاة من أول يوم في الساحة، وبأنه على بعد مرمى حجر، وتحققه سيكون فقط بالثبات في الساحة، والدعاء بالويل والثبور لصالح الظالم، والرؤيا والأحلام لأبطال السيرة الإسلامية.

وكما ذكرنا يحضر اقتصاد الجُمعة، في السلم وفي الاحتجاج وفي الحرب أيضًا، لتمرير ما يريدون(السلطة، وحاشيتها من الخطباء والدعاة) على الحشود في كل آن وآوان، على مر التاريخ العربي الإسلامي، وصولًا إلى عهد الإمام في التاريخ المعاصر، ومن ثم نظام صالح في الانتخابات، أو ضرب معارضيه، بالصاق تهم، مثل، أعداء، خونة، مرجفين، عملاء، مرتدين، صهاينة، أو تمييع قضايا سياسية، أو الانفعال لها، كما كان يشتغل النظام وأساطينه من الأحزاب الإسلاموية. ثم جمع الاحتجاجات 2011،:" وما النصر إلا من عند الله"، و" معًا لتحقيق أهداف الثورة، و" بشائر النصر"" جمعة منصورون بإذن الله"، "جمعة اصبروا وصابروا ورابطوا"، "جمعة الثبات"، "جمعة ثورة حتى النصر"، " واثقون بنصر الله"، "جمعة الانتصار للشعب"، "جمعة الحسم"، " جمعة واعتصموا بحبل الله"،"جمعة من نصر إلى نصر،..إلخ.وغيرها من الجُمع، وشارات الانتصارات، الصمود، والنصر المحقق، " إنهم يتصنعون الغباء لكي يتمكنوا من حمل الجمهور على الصراخ ونقله من التواطؤ بالعجز إلى التواطؤ بالذكاء "[1]

(1) مرجع سابق "أسطوريات"ص24.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واتضح أن السلطة القابضة على الساحة والمعتصمين والصلوات تعمل وفق رؤية " المعرفة هي الشر" كما يقول بارت [1] فكانت تتصدر وتصدر الغباء، وتخشى من أي إنسان يمتلك معرفة، (وخصوصًا الشباب المستقل، أو الشباب المتمرد على الأحزاب وأجندتها) كان هوس الجماعات وقادتها، وأذرعها طاغيًا في الساحة تعمل ليل نهار، من خلال المنصة، والصلوات، والتنقل بين خيم المعتصمين، للتحقق من أن المحتجين، رهائن الدوغما، وأنهم ليسوا خارج السرب، ومن أن القطيع مازال حبله في أيديهم. وهذا هو أسلوب حياة وعمل دأبت عليه الجماعات منذ عقود طويلة في مفاصل البلاد ومؤسساتها.

وعليه كانت أدوات الساحة "المليشيات الثورية"، تبطش بكل من ينتقد، وأخف عقاب غير الضرب، والتعنيف، والسجن في سجون الساحة، وصمهم بـ "مندس"، "أمن قومي"، ثم التعزير" الدردحة "علنًا، والذي يكسر الكرامة الإنسانية*.

إذن، فمن هو الشعب الذي يريد إسقاط النظام، هل هو الشعب الذي تبلغ أميته أكثر من62.1٪، ويعيش تحت خط الفقر، وتتخاطفه اصطفافيًا القبيلة والنظام معًا، وأئمة الجوامع، والأعيان، والأحزاب، هل هو الشعب الذي قال عنه عزمي بشارة محلقًا" خرج الناس طلبًا لإحقاق حق أو دفع ظلم "[2]، أو في مقابلة أخرى، يقول، " المثير والمدهش الرئيس، هو هذه الحالة من

---

(1) المرجع نفسه ص43.

* الكاتبة كانت شاهدة على كثير من الحوادث، ومنعت من التصوير.

(2) بشارة، عزمي، " في الثورة والقابلية للثورة، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى،بيروت،2012، ص14.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشباب الذين تجاوزوا وفاقوا كل التوقعات من حيث الجرأة أولًا، أسميته (الجهاد الأكبر)، الجرأة وترك السلاح في البيت وهذا الترفع عن الخلافات القبلية والعشائرية والجهوية وتعلم درسًا للكبار عن الوحدة الوطنية كيف تتم والمستوى الثقافي المرتفع بالجملة السياسية في ساحة التغيير نموذج للثورات، تركوا السلاح في البيوت"[1]

فماهو مفهوم الحق، ودفع الظلم، عند الجماهير، وماهو مفهوم الجهاد الأكبر ذي الصبغة الدينية؟

هل هي الجماهير المليونية التي تعتصم مع الستين بقيادة حزب الإصلاح والسلفيين والقبائل، والفقهاء وحارسها الجنرال علي محسن، أو الجماهير التي تعتصم بميدان السبعين، بقيادة جيش الشرعية الدستورية، وحارسها علي عبدالله صالح بنظامه، وخرجت من أجل تأبيده؟!

لنشاهد خطبتي الجمع في 2011/5/13 في كل من الستين والسبعين، لقطبي النظام المتصارعين، علي عبدالله صالح وعلي محسن:

علي عبد الله صالح في جمعة13 مايو 2011 وأسميت بـ"جمعة الوحدة"، " نقول للمشترك كفاكم لعبًا بالنار، مالم فإن جماهير شعبنا بكل القرى والعزل والأحياء وإلى جانبهم المؤسسة الأمنية، والعسكرية البطلة سيكونون مضطرين إلى ألا يبقوا مكتوفي

(1)https://www.youtube.com/watch?v=U6FUdS6sPtQ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأيدي، وسيردون الرد الشافي على من يمارسون أعمال التخريب والاعتداء على المؤسسات والممتلكات العامة والخاصة.

سنواجه التحدي بالتحدي، ومن يريد السلطة فعليه أن يتجه إلى صناديق الاقتراع وليس إلى قتل النفس المحرمة أو قطع الطريق لمنع مرور قاطرات الغاز والنفط من مأرب؛ فهذه موارد ملك للشعب وليست ملكًا حزب المؤتمر ولا ملك أحزاب التحالف وإنما هي ثروة الشعب وملك الشعب ومن عائداتها يأكل الشعب ويشرب، ومنها تصرف مرتبات الموظفين وتمول مشاريع التنمية"(1)

ويرد الجنرال علي محسن، في بيان إدانة واستنكار في جمعة الحسم 13مايو2011، وتشييع ضحايا مجزرة بنك الدم، يقول" يا شباب وشابات ساحات التغيير رموز الحرية والكرامة والشرف... أناشدكم باسم كل آبائكم الوطنيين الأحرار، وإخوانكم أبناء القوات المسلحة والأمن.. الصمود الصمود.. السلمية السلمية.. وأن نصر الله قريب.. وأنتم يا أبناء قواتنا المسلحة والأمن الشرفاء الصناديد أناشدكم الله ثم قسمكم العظيم الذي أقسمتموه على أنفسكم أن تكونوا حماة لهذا الوطن ودرعًا لهذا الشعب وأن لا تتسابقوا خلف الطغاة، وأن لا تحملوا أنفسكم وزر غيركم الاعتداء على إخوانكم وأخواتكم وأبنائكم وبناتكم وأمهاتكم المعتصمين السلميين الصامدين في كل ساحة من ساحات الوطن توقًا للحرية، وبحثًا عن العدالة والكرامة والحقوق، المراهنين على

(1) مرجع سابق، "سوسيولوجيا الثورة"، ص119 120.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انتزاع حقوقكم من الطغاة قبل حقوقهم.. فالله الله.. أن ما تقدمون عليه من تنفيذ لأوامر النظام وأزلامه وزبانيته بالاعتداء على المعتصمين ومسيرتهم السلمية جريمة شنعاء، لايقرها شرع ولا قانون، وينبذها ويشمئز منها كل صاحب ضمير حي، فلماذا توردون أنفسكم إلى التهلكة"[1]

فكل من سلطتي الستين والسبعين، يتكيء على المضمار الذي لا ينضب: الحشود، أو ما يطلق عليه الجنرالان المتصارعان "جماهير شعبنا اليمني".

وسواء هتفت الجماهير بـ" الشعب يريد إسقاط النظام"، و"ارحل"، و"الشعب يريد يمن جديد"، و"دولة مدنية حديثة"، وهتافات أخرى، كشعار الطلائع الثورية " لن نغادر إلا ليمن جديد"، فهي يافطات يتفنن فيها القادة المهيمنون على الاحتجاجات من أجل لفت العالم، بأن من يطلق عليهم إرهابيون، هم دعاة تغيير، ودولة مدنية، ويمن جديد..إلخ، لقد صدقها الحالمون الشباب!، وهتفت هذه الجماهير بـ" الشعب يريد " علي عبدالله صالح"، فكله استثمار في آلة الحشود على مر تاريخ الإنسان اليمني.

إن إضفاء خصائل للشعب والثورة، بعشوائية، ومفارقة للواقع، وزرعها، وجزها متى مايريد خطاب السلطة الثائرة، أو خطاب النظام، لهو مفارق للعقل والحقائق، فيها مساحة من الابتزاز السياسي والديني، والشعب الحشدوي الخام، المغلول

(1) المرجع نفسه، ص119 120.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بجوعه ومجاعاته المختلفة هو الضحية. مثل كتابات بعضهم،: "ما يميز ثورة 11 فبراير عن كل الثورات السابقة، أن الشعب كان هو الفاعل الرئيسي فيها. حيث خرج الشعب من تلقاء نفسه دون إيعاز من طرف سياسي معين، ودون أن تقوده نخبة معينة، بل كان الشعب هو القائد، وهو روح الثورة. هذا وضع يبعث على الاطمئنان من جهة صعوبة قيام طرف ما بتوجيه الشعب باتجاه معين، أو أن يختطف ثورات، لأن الشعب امتلك وعيًا بذاته وبمصالحه. ويرفض قيام أي طرف بالإنابة عنه أو التحدث باسمه"(1)

وكما أسلفنا، كان مسار الساحة المحتشد بالكثير ممن حضروا بتوجهاتهم العصبوية ينذر بالنقيض، با للاحتجاج/ با للاثورة، كون ممن انشقوا عن النظام كانوا هم من أسسوا له بل هم السلطة، وهم من كانوا يقودون الحروب كـ" حرب الردة والإنفصال1994 "، وحروب" صعدة ستة حروب "، وقد كانت المسألة تعبر عن أحقاد وانتقامات شخصية ونزاع على الغنائم حول التوريث، وانقسام في بنية النظام القبلي الذين أتوا من دواخله العميقة المترسبة من قرون.

إذن، ماهي الثورة، وماهو التغيير، وما نقيضهما، في فكر وسلوكيات وأعراف جنود الاصطفاف لأي طرف مستقو؟

(1) السامعي، عيبان، " ثورة 11 فبراير.. مقاربة سوسيولوجية"، العدد 6141، 2019/2/10، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=627579&r

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد نزلت مجاميع شبابية إلى الساحات وهم مهجوسون بحلم التغيير، وجملة من المبادئ التي يحملونها ولم تتحقق من قبل، فأتت الساحات، أو كما يسميها بعض الكتاب والباحثين بـ" اللحظة التاريخية" المناسبة لتحقيق أحلامهم خصوصًا من الشباب المدني، وتوقهم للدولة المدنية.

أما بشأن تلك الجماهير المليونية والحشود الضخمة، هل كانت تعي ماذا تريد؟ تعرف معنى التغيير، معنى الحرية؟ معنى إجلال العقل، والعلم، والتقدم، تعي معنى المستقبل، معنى أ/ب أس الحياة خارج منظومة ما قاله وأمر به داعي السلطة، وداعي القبيلة، أو داعي الأحزاب، وداعي الأئمة، وداعي السيد" ولاية الفقيه"، بل وحتى داعي عصائب المليشيات الأخرى. جميعهم انضموا إلى الساحات، وهتفوا بـ" ارحل، والشعب يريد إسقاط النظام.

أي حشود ويوجهها مجموعة من أساطين الاستغفال، وهم يحركون المليونيين عقب كل صلاة، بحركات تأبط الأيدي وهي تهتف بإسقاط النظام، أو أن يوجهوهم بحركة، إلى الخلف در، أو زحفًا باتجاه الرئاسة..إلخ.

وأي يمن جديد، أو يمن مدنية، ومواطنة، سيخلق ويتخلق من ثقافة"الداعي" القبلي- الديني-العسكري-الاصطفافي، وفكر" من يخرج على الصف يذوق السم ونقيعه"، بحسب الزامل الشهير، "يامن من الصف يخرج، لابد يذوق السم ويشرب نقيعه"؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من هو الشعب الذي يريد يمنًا جديدًا، وهو يعتصم بالقبيلة والخرافة، والقديم، ويخشى المدينة، والحضر، والمستقبل، يخشى من التعليم، يرتضي لنفسه وأولاده أن يكونوا رعية في خدمة الشيخ، بل ويرتضي أن يظل هو وأسرته وأولاد وأجداده أولاد خمس، " والعين لا ترتفع عن الحاجب"، وما قاله الشيخ/ السيد/الفقيه/ العقيد" سبر؟

أي يمن جديد؟ ومعظم المعتصمين، وهم يأتزرون السلاح والقات، والغزو، والآخر هو الكافر، وجب قتاله؟

أي دولة مدنية تصنعه دويلة/ قبيلة حاشد "الحصبة" يمن داخل يمن، وشيخ مشايخ الرمز عبدالله حسين الأحمر ورئيس البرلمان، وهو يردد في الإعلام" الشعب كله قبائل؟، ويخطب فيها أساطين تكفير الدولة والمدنية، والحياة في كتبهم وخطبهم، فيعتلي خطبة " نحو الدولة المدنية الديمقراطية، خطيبًا الداعية عبدالله صعتر في صنعاء، والدعية محمد الحزمي في إب! وهم يكفرون الدولة المدنية، والديمقراطية، والحرية؟

عن أي دولة مدنية تتحدث الاحتجاجات في المسيرات، من على المنصة، وتهرق الألوان لكتابة على اللافتات، وشاشات الإعلانات والمرجعية هي المصحف والسيف والعرف القبلي، واللادولة واللانظام بل العرف، والداعي، والتعديل والتهجير القبلي وضخ الأثوار المقتولة على أبواب المؤسسات والوزارات ومجلس النواب بل ورئاسة الجمهورية؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي دولة مدنية يتحدثون وهم يجرمون الغناء والموسيقى والرقص والرسم، حتى إنهم منعوا تشغيل أغاني أيوب طارش الوطنية في بداية الاحتجاج ولم يسمحوا بها إلا بعد جهد جهيد، بل قاموا أكثر من مرة بتدمير منصة (الشباب المدني) التي كانت تذيع أناشيد أيوب الوطنية؟

لقد كان الجديد عندهم هو القديم/ المنتقم الثأري، إسقاط رأس النظام/ شخص النظام "علي عبدالله صالح" فرفضوا أن تسمى الساحة بساحة الحرية وفضلوا لفظ التغيير، تغيير صالح فقط مع بقاء منظومته التي هي منظومتهم صنعوها وثبتوها لعقود من الزمن؟

أي دولة مدنية و أساطين القاعدة والإرهاب وبعض المطلوبين دوليًا بتهم الإرهاب، أصبحوا داخل ساحة التغيير والحرية بجنودهم ومريديهم، بل ومن المنظرين للعمل الثوري التغييري، وهم من على المنصة التي ينادون بـ" يمن جديد"، والدولة المدنية الحديثة، وبتبادل الأدوار والأقنعة، يترجل الداعية عبد المجيد الزنداني- حزب الإصلاح- المنصة مطالبًا بالخلافة الإسلامية، ويكفر الدولة المدنية، وتلك الجماهير التي تردد الشعب يريد يمن جديد، هي نفسها تصهل بغيبوبة الشعب يريد " خلافة إسلامية"، بل وتخرج أبواق من الجماهير تهدد وتتوعد بقطع لسان أي محتج يعترض على خطب وآراء الشيخ عبد المجيد الزنداني.

بعض حشود " اليمن الجديد بالخلافة الإسلامية"، هو ذاته الذي لم يدرس الطب، يخترع نظريات علاج الإيدز، ومكافحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفقر، وتستضيفه للأسف كلية الطب وأساتذتها الكبار الذين تخرجوا من أعلى الأكاديميات العلمية في العالم، ليحاضرهم عن اختراعه علاج الإيدز، ثم ينضم إلى الساحات،"غزوة" ويخطب عن الخلافة الإسلامية"، "سنأتي على ذكرها"؟

نعتقد، أن مفردة الجديد في الذهنية القبائلية معناها، تغيير الشخص الذي قال لهم القائد وجب إلغاؤه بناء على الأحقاد والمصالح، وصراع التوريث والغنائم، وما أبعد ذلك عن مفهوم اليمن الجديد، الذي لن يتحقق إلا بوجود الدولة، الفرد، والمواطنة، ومنظومة الحقوق والحريات، والانفتاح على العالم، والبنى التحتية للخدمات، والعلوم والثقافة والفنون، ووو، وعلى مستوى تاريخ اليمن لم يتحقق مثل هذا الشيء، إلا النزر اليسير.

الجديد هو القطع مع الماضي، والخرافة، أي مع أن تكون مع الحداثة والمدنية والقيم الحضارة والتعايش والجمال والفنون..إلخ، وهم يناوؤنها ويعتبرونها شركًا، بل ويحكمون على من يشتغل عليها بالكفر كأضعف الإيمان إن لم يكن القتل، وضد أعراف القبيلة الأصيلة.

لا بد من تفكيك مفردة " الشعب" فقد اشتغل عليها المحتجون بكل تشكلاتهم باللاوعي، وباللعب والتناقضات، من قبل القابضين على الاحتجاجات، وأصبحت كل فئة وقوى تشتغل على هذه المفردة، لدرجة أصبحت تتلقف من الأيادي إلى أخرى، ومن فكر جماعة إلى أخرى، فأفرغت من معناها الحقيقي، وأصبحت مطية، وأرجوحة للمشاريع الحزبية والسياسية النفعوية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد تلاعبت الجماعات المنظمة كحزب الإصلاح بشعار أس التغيير لاحتجاجات تونس، ومصر " الشعب يريد إسقاط النظام"، ارتفع شعار خاص بهم، " الشعب يريد إسقاط صالح"، وحاولوا أن يعمموه وينشروه، إسقاط ممنهج لمفردة ومنظومة "النظام" أساس التغيير، فالشعار الأساسي، هو في داخله يحمل إسقاطهم هم، كونهم من نظام ونسيج " واحد."

ف" كثيرون ممن نادوا بإسقاط النظام لم يفرقوا بين النظام والسلطة، وبين الوظيفة التعبوية للمصطلح عندما يرفع الشعار في الشارع، وبين كونه مطلبًا سياسيًا مباشرًا، وهم بالتالي لا يفرقون بين إسقاط النظام كعملية، وبين إسقاط السلطة كحدث مباشر. إسقاط النظام ليس حدثًا بل عملية وهو لا يسقط بسقوط السلطة الحاكمة، لأن الاستبداد ليس موجودًا في الحقل السياسي فقط، بل هو في التشريع وفي العلاقات الاجتماعية وفي الحياة الاقتصادية، وفي منظومة القيم العامة وآليات التفكير، وفي جميع مناحي الحياة الاجتماعية الأخرى، تصونه ثقافة استبدادية سائدة وترعاه وتعيد إنتاجه، وأن إزالته من هذه الحقول تحتاج إلى زمن يمتد إلى عقود من السنين "[1]

لقد كانت الفرجة صناعة الاعتباط داخل مشهدية الساحات الاحتجاجية؟ كان لنا مشهدية تخصنا في 2011 واعتمالات ساحة الحرية والتغيير في اليمن، تتقاطع عن غليان الربيع في العالم العربي.

---

(1) خدام، ربيع" "ربيع سورية" الشعب لا مع السلطة ولا مع المعارضة،، عن كتاب " التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير أربع سنوات من الربيع العربي"، 2014 1436، مؤسسة الفكر العربي لبنان، ص82.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكلتا صناعة الفرجة، والاعتباط معًا" ثنائيان معًا، أي صناعة وعفوية، حيث الفرجة أفق لإنتاج خطاب تمردي، ثوري، ينم عن فكر وهدف وثقافة وأفق سياسي واجتماعي مغاير لما خرجوا الناس من شأنه أي تحقيق أهداف الثورة، وأهمها: إسقاط النظام، وبناء يمن جديد كما في جاء في الهدف الشعاراتي الذي خرج من أجله المحتجون "الشعب يريد إسقاط النظام، وارحل، والشعب يريد بناء يمن جديد هذا ما كان يبدو للجميع ومن أول الاحتجاج عندما إسقط نظام حسني مبارك في 11فبراير 2011.

"إن الانطلاق ممن هم الفاعلون في الأحداث، وماهي أفعالهم وأقوالهم، هو الذي يسمح لنا بتحديد طبيعة الأوضاع الثورية"[1]

استمطار الجُمع

يتضح أن اقتصاد " الجُمعة الجامعة الدعوة السامعة" بحشودها من عل، ومن أسفل، والخطيب الأعلى، تحتاج إلى أكثر من قراءة سوسيولوجية وأنثروبولوجية وسيمالوجية. ونشير إلى أن الجمعة في الذهنية العربية الإسلامية، لها قداسة فريدة، وكان هذا اليوم يومًا استثنائيًا في مسيرة الاحتجاجات في اليمن، وفي البلدان التي حل بها الربيع العربي. هذا على المستوى الديني.

كما تعتبر يومًا سياسيًا بامتياز، تجمع القادة السياسيين، ممن انضموا إلى الساحات، رجال دين، جنرالات، أكاديميين ومثقفين، فنانين، ويكون يومًا لتمرير القرارات السياسية بعد الاجتماعات في الأماكن المغلقة للقادة المهيمنين على الاحتجاجات.

---

(1) بن عاشور، عياض، " تونس ثورة في بلاد الإسلام"، ترجمة، فتحي بن الحاج يحيى، معهد تونس للترجمة/ سراس للنشر، 2018، ص84، وقد أخذه من أوليفي فيليول، ومنية بناني الشرابيبي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويعد يومًا إعلاميًا استثنائيًا، حيث يهب الصحفيون الإعلاميون والمراسلون للقنوات الفضائية، لبث صلاة الجمعة مباشرة، ثم الرسائل الإعلامية الأخرى، من كتابات، وخصوصًا على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي. وتعد أيضًا ماكنة اقتصادية صرفة، إذ تعد التبرعات في يوم الجمعة موردًا اقتصاديًا ضخمًا يضخ لصالح الجماعات والقائمين على الساحة.

صلاة الجمعة، مؤسسة خطابية قائمة بذاتها، مؤسسة وعظية بامتياز، أكانت قبل الاحتجاجات أو أثناءها، أو بعدها، صلاة استراتيجية، اقتصاديًا ودينيًا، وسياسيًا وإعلاميًا.

وكلما كان هذا الإيمان القطعي/ القطيعي مستعرًا، كلما ضخت الصلوات والابتهالات، فلقد كانت جُمع دغدغة الثبات المقرون بالانتصارات الإلهية الضخمة، هذيانًا كليانيًا مفرطًا، وكأن السماء تمطر انتصارات، خصوصًا في أيام الجُمع، كونها أيامًا مقدسة.

وبلغ عدد جُمع ما يطلق عليها "مليونية" أثناء الاحتجاجات ما يقارب "مائة وعشرين جمعة" تقريبًا، استعراضية" فرجة الجمعة" لتمرير أي أمر سياسي من طرف الساحات الثورية أو طرف الشرعية الدستورية" نظام صالح"، وكأنهم في ملعب وحوش، اقتتال خفي على مستوى الخطب، يترجم إلى حروب على الأرض، جُمع النكايات الدامية والدموية، وأيضًا لتوصيل رسالة محلية أو خارجية، عبر لغة الخطاب الاستعراضي اللساني" والمرئي، تشمل حتى المجازر التي حدثت " فرجة الدم والأشلاء"، للمساومة.إنها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الإيديولوجية في أقسى عنفوانيتها، كما يشير ديبور، ف"ما ترينا العالم هو أيضًا ما تعمينا عن النظر إليه، إنه الأيديولوجيا"[1]

لا نغالي لو قلنا بأن الصورة كانت مشهدية صارخة" سيلان، سوق، كرنفال، فرجة، بهرج، احتفال، إنها سوق الاستعراض الفاضح المغموس بالصراع السياسي، صراع السلطة والنفوذ، صراع الغنيمة والصورة كانت أحد مداميك هذا الصراع- الاقتتال، ولا يخلو هذا الاقتصاد الغنائمي من فورات عنف في صلاة الجمعة يفتك عشرات الضحايا من الطرفين كما حدث في جمعة الكرامة في الساحة 18 مارس2011، وجمعة رجب في مسجد النهدين2 يونيو2011، وغيرها من الفواجع الكارثية.

لقد تحول استعراض الاحتجاج والاحتجاج بالصورة إلى سوق كبيرة، ومن يملك السوق هو المسيطر " سوق على محسن، سوق الإسلام السياسي، وشعارات وما تلك الجموع إلا ورقة لمالك السوق الفعلي " العسكر والقبائل ورجال الدين "، وهو المالك الحصري للثورة، والفعل الثوري، بل وهو الفاعل الوحيد للاحتجاج، وأولئك المحتجون " المليونيون" هم ملك لهم، "أن من يملك سوقًا هو سيعرف بأنه الحقيقي"[2]

نعم، يتم تحشيد تلك المليونيات وبهتاف واحد ينزلون الساحات كفرجة ثورية" استهلاكًا للفعل الاحتجاجي، ليصبحوا ورقة مهيمنة أمام الطرف الآخر المناوئء الذي هو هم أنفسهم،

---

(1) مرجع سابق" مجتمع الاستعراض، ص290.
(2) المرجع نفسه، ص294.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنهم انشقوا تبعًا للمصالح الخاصة وأولها "الغنيمة". ومرد مليونيات " الداعي القبلي" الذي ينتهي بتسجيل " الشهيد" براتب يقل عن مائة دولار.

استملاك الجسد كمشاع والهمينة عليه وقبله العقل في مجتمع أمي، تبلغ أميته 62.1٪، تتزايد سنة عن سنة بفعل الحرب، لتصل الآن ما يفوق الـ70٪، ناهيك عن عزلته، والأخطر من هذا وذاك النظام القبلي الذي يقوم على الحشد والحشد المضاد، "الداعي" صوت القبيلة، والنفير، والقبيلة"السياسية-الدينية"- كما ذكرنا سلفًا- تشكل فرجة الأجساد صورة مهيمنة على المجتمع اليمني من خلال أدوات التواصل من التجمعات في المقايل، إلى الصور الفوتوغرافية، وصور الفضائيات، وأدوات التواصل الاجتماعي الأخرى، ولعل الفيسبوك كان الوسيلة الإعلامية الطاغية في ظل انقطاع الكهرباء.

الحشد قبل الإنسان/الفرد، وقبل المواطن، من حشد القبيلة الجماعوية في ساحة القبيلة الصغيرة/ القرية، المعروفة والمتوارثة إلى ساحة القبيلة الأكبر المدينة، والأوسع، وتداعي القبل الأخرى، والناس من الفئات الأخرى الذين يجمعهم " الشعب يريد إسقاط النظام"و"ارحل".

إن ترى الحشود من عل، ترى كتلًا لحمية متزاحمة متفجرة على امتداد شارع الستين والسبعين الفضاءات المختنقة ركوعًا وسجودًا وهتافًا "... هل يجب بعدها أن يعاود المرء السقوط داخل الفضاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعتم، حيث تمضي الحشود التي رغم إنها مرئية من أعلى، فإنها عاجزة عن الرؤية هناك إلى أسفل؟ "[1]

أجساد تتكاثر بفعل الطبيعة والغرائز رأسمال الفاعلين الذين ذكرناهم أعلاه، قوى مليونية معطلة غائبة ومغيبة منذ عقود من الزمن بل قرون من الزمن، حشود تتوارث العزلة، واللاتعليم،والآخرة، والفقر، والعصبيات، والمذهبية، والإيمان القطيعي، والخرافات بأشكالها وألوانها، أبًا عن جد، إنهم يقتاتون الهم والانكسار والموت ويرتضون بالفتات باسم القناعة، وأن الآخرة خير وأبقى، والحياة الدنيا باهتة، غرور زائلة وكأنه قانونهم – عرفهم الذي يساسون به. الحشود الخام حشود المجاعات عبر القرون، إنهم محبوسون بجوعهم" "المحبوس في جوعه، يقع دائمًا تحت الوعي السياسي "[2]

وبما أن هندسة يوم الجُمعة كيوم قداسي، استملكه حزب الإسلام المهيمن، مثلما استملكه صالح ونظامه، وجل خطباء اليوم المقدس من مشايخهم الكبار، والفاعلين في مساجد اليمن ريفًا وحضرًا في كل الأيام والمناسبات، الاجتماعية والسياسية وجرى تأميمها في 2011 من قبل جماعات حزب الإصلاح ومشايخها ودعاتها الدينيين المعروفين بانغلاقهم وتعصبهم الديني (عبدالله صعتر، صلاح باتيس، ضياء الحق الأهدل، السلفي عقيل المقطري، حمود الهتار، د.عبد الوهاب الديلمي، عبد الرقيب عباد،

---

(1) دي سيرتوه، ميشيل، " مسيرات في المدينة"، ترجمة، أحمد حسان، ص148.
(2) مرجع سابق، "أسطوريات"، ص47.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبد السلام الخديري، فؤاد دحابة، توهيب الدبعي، فؤاد الحميري، شوقي القاضي، وآخرون(والآخران، هما الوجه المعتدل للحزب).

وكان القطب المهيمن على الاحتجاجات يعطي فتات بعض الجمع للدعاة الحوثيين أمثال " أحمد محمد المداني، عبد الوهاب المؤيد، مفضل غالب إسماعيل، محمد مفتاح، محمد الباشق.

قادة التغيير، استولوا على العقل والجسد معًا، وصياغة المجتمع (قبل وبعد الاحتجاج) ببصمتهم الوهابية/ السلفية، لقد كانوا كمن " أعمى لقى ودعة".

وبالرغم من سريان الشعار الأسبوعي" يا علي صح النوم يوم الجمعة آخر يوم"، وجمعة الفرصة الأخيرة" التي كانت منذ البدايات الأولى للساحة، لا بأخر يوم، ولا بفرصة أخيرة، فجلسوا يراوحون على اللعب بالمشاعر واستجرار فاكهة الحلم بالانتصار.

فرجة الصلوات.. الملل والإملال:

إنها الفرجة التي لا تمل، الفرجة الدينية، رأسمال رمزي، واقتصادي باذخ يزداد ويتعاظم ولا ينقص، والفرجة السياسية، والاجتماعية.

افترشت الساحات والخيام، والشوارع الداخلية، والأسطح، إلى سجادة صلاة للصلوات الخمس، وصلاة الجمعة بشكل خاص، والصلوات الصغيرة والتهجدات، كالصلاة الوسطى، والشعار الذي يردد" حافظوا على الصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في بداية العمل الثوري، مسلسلات الفرجة اليومية يحتوي على المكرور من الموتيفات الفرجوية. من فرجة الصلاة فجرًا كما هو معروف، يفيق المعتصمون الفجر على صوت آذان الفجر بصوت النائب المستقل فؤاد دحابة فيصلون، ويهتفون بالدعاء على عفاش وأعوانه، وإسقاط نظامه، إلى فرجة افتتاح المنصة بآيات الذكر الحكيم، والسلام الجمهوري، والدعاء، والهتافات، واستقبال المنشقين من النواب والوزراء، والإعلاميين، ومشايخ القبايل والعسكريين والضباط، والأكل وتناول القات، والمسيرات الدائرية، والهتافات، والبرع والزوامل، وإن اعترى الساحة الملل، وبدأ الناس بالخروج منها سارعت أساطين الثورة/ التثوير، باختراع مسيرة ليسقط فيها شباب ليعود سريان الحماس من جديد خصوصًا في أوصال المنصة، والإعلاميين، إعلام قناة سهيل الفضائية والصحف والمواقع التابعة للجماعات والتي لا تعد ولا تحصى، منها بأسمائهم والكثير منها بأسماء مستعارة أو بمسميات مدنية وتشتغل عكسها.

وأصبحت الساحات ليست فقط استعراضا للشعارات والصلوات، والأجساد، بل معيش يومي للآلاف المؤلفة من الثوريين، ومن العاطلين عن العمل.

سلعنة الروح في قداسة الصلوات وسلعنة الفعل الثوري وهي البضاعة الرائجة في 2011 –2012، بل وإلى اليوم.

" كانت طرقات ساحة التغيير ممتلئة بالعابرين. ومكبرات الصوت ترج المكان، وتصدح بتلاوة القرآن والأدعية والأهازيج المحلية. وقد انشغل البعض بالوضوء استعدادًا للصلاة. وبعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دقائق رُفع آذان المغرب بصوت جميل عبر مكبرات الصوت الممتد من موقع المنصة الرئيسية أمام مدخل جامعة صنعاء، وعلى طول الكيلو مترات الأربعة التي تغطيها خيام الاعتصام في الشارع الدائري.

وبدأ الناس يفرشون السجاد بشكل متتابع على طول الطريق، وبعد قليل أقيمت الصلاة..فتراص الناس وكبّر الإمام، وتلا بعد ذلك الفاتحة بصوت رخيم شجيّ وآيات سورة النمل تحكي قصة ثبات الأنبياء والصالحين أمام جور أقوامهم، والتذكير بآيات الله مصدر القوّة والملجأ عند الخوف والرجاء، من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلًا ما تذكرون. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى عما يشركون) وفي الركعة الثانية قرأ الإمام خواتيم سورة النمل " من جاء بالسيئة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون. ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار وهل تجزون إلا ماكنتم تعملون. إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي جرى فيها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين". كان الوقار سيد المكان، والخشوع يسود الصفوف التي تمتد حتى الأفق في منظر مهيب وسط دقائق امتزج فيها الليل بالنهار، والخوف بالرجاء، والضجر من طول البقاء بالأمل بأن نصر الله قريب".

وكان جمع من علماء اليمن قد أفتوا شباب الثورة بجواز أن يقوموا بجمع صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء وذلك بسبب قلة توفر دورات المياه والانقطاع الدائم للماء. لذلك عقب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التسليم من صلاة المغرب، أقيمت بعد لحظات صلاة العشاء، وبعد الرفع من الركوع الرابع، بدأ الإمام بالقنوت.. وأخذ يطيل تسبيح الله وتعظيمه.. ثم دعا بنبرة حزينة وكأنه يغالب البكاء بأن يكتب لهم النصر، وأن يحتسب قتلاهم من الشهداء، وأن يرقق قلوب أفراد الحرس الجمهوري- وهي القوات التي تحمي الرئيس على إخوانهم شباب الثورة.. وكان يردد بتأثر شديد:" اللّٰهم اهدهم وأت بهم.. ودعا أن يجزي الله المعتصمين على ثباتهم لنصرة الحق وإقامة العدل، وأن يكفيهم من المرابطة في سبيل الله.. وكانت الحشود خلف الإمام تضج بالتأمين وأيديهم لا تفتأ تتعالى في السماء"...بعد ذلك توجهنا إلى قرب المنصة الرئيسية..حيث كانت الأناشيد تصدح بشكل متواصل، وكل حين يقوم بعض السياسيين بإلقاء خطابات حماسية.. وكانت هناك مسيرات ليلية لمجموعات من الشباب تطوف الطرقات وسط خيام الاعتصام، وتهتف:

يا الله يا ذا المن جنبنا كل الفتن

يا الله يا ذا المن احفظ ثوار اليمن

يا الله يا رحمان انصرنا على الطغيان

اعتصام اعتصام حتى يسقط النظام

هذا مقتطف وصفي صغير مجتزأ مما كتبه الصحفي نواف القديمي لما يعتمل في ساحة التغيير بصنعاء والساحات الأخرى[1]

(1) مرجع سابق، القديمي، نواف، " يوميات الثورة من ميدان التحرير إلى سيدي بو زيد، حتى ساحة التغيير، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.بيروت 2012، ص،135 138.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يكون للجمعة خطابان متناقضان، فرجتان متناقضتان لنفي الخطيب، الذي حلل والذي جرم، إنها فرجة التقية، وتسييس الروحانيات، والمصلحة للحمة النظام القبلي المسيس أيضًا، واعتمالات الغرف المغلقة لفاعلين" الثوريين"، باسم" جمعة الدولة المدنية الحديثة"، التي هي في عمق خطابهم" يوتوبيا الخلافة الإسلامية".

بألف وجه ووجه:

فرجتان مهمتان وخطيرتان في سياق احتجاجات الحرية التغيير في اليمن:

الأولى جمعة الدولة المدنية الحديثة"، وأحيانًا تضاف الديمقراطية، بتاريخ 2011/7/15،

وقبلها بتاريخ، 2011/3/1، كان قد دعا الشيخ عبدالمجيد الزنداني، ومن على منصة ساحة التغيير، بصنعاء إلى "الخلافة الإسلامية، ومن شعاراتهم المسفوحة في طرقات الساحة، وأكاديميات التعليم، المدارس والجامعات، والمعاهد والمناهج والثقافة، مثل: دولة الخلافة الإسلامية، دولة الشريعة الإسلامية، الحاكمية لله، دار الكفر والإيمان، الإسلام دين ودولة، دين الدولة هو الإسلام، الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات، " بناء دولة إسلامية حضارية شوروية معاصرة، توافق الشرع والدين الإسلامي" مكتوبة على أتناك معلقة على جدران وكمبات الساحة".

في ذلك اليوم الذي خطب فيه الزنداني، عن الخلافة الإسلامية، في وسط هيجان جماهير المعتصمين، ومن على المنصة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي ازدحمت بالحماية من قبل حرسه الشخصي، والحراس من الشباب، والمصورين، ومن يحملون المظلات لحمايته من حر الشموس، خطب يقول:" أيها الشباب، أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام، عن الأطوار السياسية التي ستمر بها أمة الإسلام، فأخبرنا وقال، بأنها تكون نبوة، أي يكون على رأس هذا النظام النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال/ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فكانت الخلافة الراشدة، ثم قال، ثم تكون ملكًا عاضًا فكان الملك العاض بعد نهاية الخلافة الراشدة، وفهم من قول الرسول"ص" العاض أي أن أسرة تملك الحكم وتورثه وتبقي عليه وربما عظت من اقترابه منه، ثم أخيرًا الرسول"ص"بأن الله يرفع هذا الملك العاض، ويأتي قول آخر، ثم يكون ملكًا جبريًا، جبريًا، جبريًا، أي بالقوة، أي بالحديد والنار، هذا الملك الجبري، الذي يأتي بعد الملك العاض.

ويضيف أكثر علماء المسلمين، يقولون إننا نعيش هذه الفترة، هذه فترة الملك الجبري، الملك بالقوة هذا الملك الخيري وسيلته إلى الحكم القوة وضمان بقائه بالقوة. فهذا الحكم الجبري. ثم قال عليه السلام، ثم يرفعها الله، أي يرفع هذه الحالة إذا شاء الله يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"[1]

وفي جمعة 2011/7/8، الشيخ عبد المجيد الزنداني يرفض فكرة تشكيل مجلس انتقالي، ويريد دولة إسلامية شوروية، وليس دولة مدنية، واشترط" أن المواد الإسلامية في الدستور ثابتة ولا يجوز أن

(1) https://www.youtube.com/watch?v=nu9mZX3LdJU

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعدل، وهي شرطنا على انتخاب الرئيس القادم، لأن الإسلام غير قابل للنقض ولا التعديل "[1]

تحالف حرب 1994، هو القوة الفاعلة في ساحة الاحتجاجات جميعها، وهو الداعي للدولة المدنية، والديمقراطية والحديثة، وهو الذي يكفر ويجرم الدولة المدنية، والديمقراطية، ويجرم الحياة برمتها.

لقد أقاموا فعالية " جمعة الدولة المدنية" بعد ضغط من قبل المحتجين المستقلين، و شباب من الحزب الاشتراكي اليمني، وبعض الفئات في الساحة، بالرغم من أن أحد أهداف ثورة 11 فبراير ينص على:" بناء الدولة المدنية الديمقراطية التي تكفل الحقوق والحريات العامة، وتقوم على مبدأ التداول السلمي للسلطة والفصل بين السلطات واللامركزية الفاعلة".

على مضض قبل الحزب المهيمن على الساحة بـ" جمعة الدولة المدنية"، وكان الخطيب عبدالله صعتر، أحد أقطاب الإصلاح، الذي كان إلى قبل سنوات رافضًا للديمقراطية، ففي مقابلة، يقول:" الديمقراطية تؤدي إلى المساواة، وبالتالي سيتساوى المسلم مع النصراني واليهودي، وهذا لا يمكن قبوله شرعًا" [2]

وبالمثل، تجريم، كل ما يقع خارج الخلافة الإسلامية، والدولة المدنية، هي أحد المدنسات، حقًا كانت فرجة: الحرية والديمقراطية فرجة التقية في أسوأ أوجهها.

---

(1) صحيفة أخبار اليوم، 6 يوليو 2011، العدد، 2364

(2) الشميري، سمير، " سوسيولوجيا الثورة الشعبية اليمنية"، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 2012، ص 290، من مقابلة مع صحيفة المستقبل، بتاريخ، 1991/3/13، العدد 35، ص7.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"إذا تعارضت الديمقراطية مع القبيلة فسوف نختار القبيلة"، هكذا تحدث الشيخ الأحمر"، رئيس مجلس النواب السابق، لثلاث دورات.

ولا يستثنى القائلون، من أن الديموقراطية لا تلائم أهل اليمن، خصوصًا الجماعات السياسوية/ الدينية.

وهذا ابنه الأكبر الذي خلف أباه كشيخ مشايخ حاشد، والمنظم إلى ساحة الاحتجاجات، يقول في 2011/7/30، أعلنت قبائل اليمن تحت قيادة الشيخ صادق الأحمر عن إعلان لتأسيس تحالف قبائل اليمن" الذي قال " علي صالح لن يحكم بعد اليوم اليمن مادمت على قيد الحياة، وأن القبائل مع إقامة دولة مدنية حديثة، لا تتعارض قوانينها ومضامينها مع الشريعة الإسلامية"[1].

وقد سارع تكتل العلماء الأحرار المنظم إلى الساحة، وأصدر البيان رقم(10) بشأن مصطلح (الدولة المدنية)

" تبين أن (الدولة المدنية) ليس معناها قيام النظام وبناء الدولة الشوروية والمؤسسات المعاصرة وسيادة القانون ومنع سيطرة المؤسسة العسكرية فقط التي هي مطلب الجميع، ولكن تبين أن بها عند أصحاب هذا المصطلح أنها تقوم على عدد من الأسس منه:

1- وضعية التشريع (القوانين) أي أن يكون التشريع وضعيًا من صنع البشر لا صلة له بالدين، وبذا يصبح الشعب إلهًا من دون الله وهو مصدر التحليل والتحريم وسائر التشريعات مصادمًا لأقوال الله تعالى إن الحكم إلا لله"(...)

---

(1) المرجع نفسه، ص 177- 178

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

2- المواطنة المتساوية، معناها (لا فرق بين مسلم وكافر وفي ذلك مصادمة صريحة لكتاب الله (...)3- الديمقراطية (...) بأن يكون الطريق لولاية الأمر هو الشورى.(ليصل اختتام البيان الطويل، إلى تحذير) لهذا كله يجب على أبناء الشعب اليمني المسلم التنبه والحذر من كل هذه المحاولات التي تستهدف إسلامنا وديننا ويجب علينا القيام بحماية الشريعة الإسلامية وعدم الانخداع بالمصطلحات الموهمة التي تحمل حقًا وباطلًا ونحن على ثقة أن شعبنا اليمني المسلم سيتصدى لكل هذه المحاولات التي تريد أن تمرر مخططاتها على حين غفلة من شعبنا وتحت مصطلحات وشعارات خادعة"[1]

ولم تخرج ممارسات ونشاطات المحتجين في الساحات، عن هذه الفتاوى، تارة بالحديث والخطب السلمية وتارة بالترهيب وممارسة العنف من ضرب وسجن وتكفير، طاول حتى النساء اللاتي تعرضن للعنف من قبل هذه الجماعات.

وعند تأسيس التحالفات القبلية بحجة حماية الثورة، كانت تقحم الشريعة، والشورى، واللغة الدينية.. هذا هو الخطاب الذي اشتغلت عليه الجماعة طوال فترة الاعتصامات والاحتجاجات

نخلص:

أن فعل الاحتجاج قد تحول إلى صور، فتلك المشهدية التي كانت تبثها وسائل التواصل الاجتماعي كانت جلها واخزة المًا خصوصًا حالات الاستشهاد لمجاميع الشباب، وحالمة أيضًا بفكر " الثورة المستمر"، ومع مرور الوقت وما حدث من تحولات في

---

(1) بيان تكتل العلماء الأحرار رقم(10) بشأن مصطلح (الدولة المدنية) صنعاء، 21 رجب1432هـ الموافق 2011/6/22.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشهد الاحتجاجي خصوصًا في الساحات، لم تظهر الصورة ماهو حقيقي، بل صور لم تعد موجودة في الواقع، أو على الأقل شوهت، فخطاب الأيديولوجية هو الفاعل والمهيمن على وعي الناس وانفعالاتهم.

إن جمعة الدولة المدنية، ماهي إلا استعراض لامتصاص الاحتقانات والصراع على السلطة، بهويات تصارعية انتقامية، والتي كانت تظهر في الساحة من استئصال الشباب، وسيطرة الحزب الإسلامي المهيمن، وأذرعه، على كل مفاصل الحياة الاحتجاجية.

ليصبح الشعار "نشتي دولة مدنية، مش دولة بلطجية، كش ملك " والذي ظل مرفوعًا منذ بدء الاحتجاجات عار، ويتم، بل ودفع خيرة الشباب المدني ثمنًا له في مجازر مختلفة من 2011، وحتى يومنا هذا..أما خطاب وشعارات دولة الخلافة الإسلامية وجه القبيلة والعسكر فمازالت ترفع خصوصًا في ظل الحروب المستعرة حتى اللحظة.

حلم، بطعم Flashback
يا "بلادي نشوفك بكرة
دولة مدنية حرة"*

---

* من شعارات شباب الاحتجاج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الثامنة: فرجة الخيمة

ارفع رأسك أنت في ساحة التغيير ومن دخل ساحة التغيير فهو آمن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوصف:

ماتراه العين جلي في الصورة الأعلى إذ ترى شارعًا ممتدًا من البيوت والعمارات السكنية، والخيم مسطورة إذ تنتصب فيه باصطفاف بين التنظيم والعشوائية، جنبًا إلى جنب وعلى امتداده عشرات الخيم، وفي الجهة المقابلة أيضًا هناك عدد مماثل من الخيم، وممرات للمشاة وأضعاف أضعاف مثلها-الخيم- تتناثر في ثنايا الساحة والأزقة، في كل مكان من ساحة الحرية، وتنتمي الصورتان إلى مايعرف بالصورة الثابتة.

وفي كل ساحات الاحتجاجات في الجمهورية اليمنية، لا تخلو أي خيمة من ديكوراتها من الشعارات، واسم الخيمة والترقيم كما في خيم ساحة التغيير بصنعاء، وتعلق بجانب الشعارات صور الشهداء والمخفيين قسرًا، والشهداء من قادة وأصحاب رأي في فترات تاريخية سابقة، كالرؤوساء المغدور بهم، إبراهيم الحمدي، وعبد الفتاح إسماعيل، والشهيد الشاعر محمد محمود الزبيري، وعشرات من شهداء الثورة اليمنية السابقة 26 سبتمبر1962، و14 أكتوبر1963، والمهاتما غاندي، وتشي جيفارا..إلخ.

نوعية الخيام بلاستيكية، وطرابيل قوية، بعضها تكون مداميكها من البلوك والأخشاب والأوتاد القوية، ومئات الخيم من النوع العادي والرخيص أيضًا.

في الصورة نرى العديد من المشاة، وبعضهم افترش الأرض لتناول القات، وتكاد لا تخلو خيمة من تناول القات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي الصورة السفلية نجد بعض المعتصمين، خارج خيمتهم الكبيرة، وهم يهتفون إثر مسيرة مرت بجانبهم، عنونت الخيمة باسم أبي الأحرار محمد محمود الزبيري، ويبدو عليها الفخامة من " الطربال" والاتساع، حيث يحتشد فيها مجموع من القبائل وبعض المشايخ، يظهرون في الصورة وهم يهتفون لأصحاب المسيرة، أحدهم في الواجهة يحمل المصحف.

المستوى التعييني

الرسالة التشكيلية:

الحامل: التقطت الصورة العلوية في تاريخ 22 أبريل 2011، من موقع ساحة الحرية بتعز، في العصارى، أما الصورة السفلية، فالتقطت في 2011/3/31 من ساحة التغيير بصنعاء صباحًا.

الإطار: بمقياس 1590×1208، ونوع العنصر: JPEG، والحجم 1.15 ميغا بايت، والصورة أتت طولية جراء التركيب.

التأطير: شملت الصورة حيزًا كبيرًا من المكان، وتم التركيز على الخيام الكثيرة والمتراصة في وسط الشارع، وعلى جانب العمارات والنوافذ وأسفلها المحلات كنمط البناء المديني في اليمن، اللقطة أخذت من علو لتظهر تلك التفاصيل الأشجار، وسائل المواصلات"الدبابات"، والمارة، واللوحات الشعاراتية والصور، والأعمدة الحديدية للسقالات" الخيام".

زاوية التقاط النظر، واختيار الهدف: التقطت الصورة الأولى من زاوية مرتفعة تسمح بالتقاط تفاصيل من ساحة الاحتجاج، مع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ميلان ويتضح هذا الميلان، من صورة المباني. والصورة الأخرى أتت من الجانب بحيث أظهرت الصف الممتد من المخيمين.

التركيب والإخراج: الصورة تعج بالعديد من التفاصيل إلى حد التشتت وفي جزء بينها كان صف العمارات والميكروفون والعمود الحديدي المعلق عليه عمل على لمة الصورة إلى حد ما.

الأشكال: احتوت الصورة على العديد من الأشكال، مثلثات الخيمة، والأعمدة الحديدية، التي نسغت العديد من الأشكال من مربعات ومستطيلات، ودوائر من خلال الميكروفون، والأشكال المزخرفة لعقود النوافذ "القمريات"، كشكل معماري في البناء التقليدي اليمني.

الألوان: احتوت الصور على بعض الألوان، كألوان الخيم، الأخضر والقريب إلى اللون الرمادي، والأزرق في الخيم والمتناسق أيضا مع لون المحلات. واللون الرمادي للميكروفون والأعمدة الحديدية وأيضا بعض الخيم، ثم اللون الأبيض لقمريات النوافذ، وحجارة البيوت المائلة إلى اللون البني. بعض صور الشعارات، وملابس المارة والمقتعدين غالبيتها بيضاء. ثم لون الأسفلت الأسود. وكذلك اللون الأخضر لبعض الأشجار المتراصة بين وخلف الخيم.

الإضاءة: أتت الإضاءة هادئة، وخافتة، فقد كانت في منتصف العصرية، ومع بداية أفول الشمس. وفي الصورة السفلية الإضاءة متوزانة، كونها التقطت مع شمس منتصف النهار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسالة الأيقونية:

هناك العدد من التمثلات البصرية في الصورة كالتالي:

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضمين في المستوى الثاني
الشكل البشري	صور الرجال المحتجين، مابين مشاة وقعود	توحي بالحياة اليومية للمحتجين، الذي يبدو أن المكان قد أصبح بيتًا يأكلون فيه ويتناولون القات، ويتناقشون، وينامون..إلخ
الشكل الطبيعي	خيم، لا فتات، وشعارات، وصور، مبانٍ، المحلات، ومصحف	تحمل رمزية مكوث المحتجين في الساحات حتى إسقاط النظام. أي استقرارهم

الرسالة اللسانية: حفلت الصورة بالعديد من الرسائل اللسانية، مثل الشعارات كالشعار اللساني الأول الذي تسقط عليه العين وهو عبارة عن مناشدة مكتوبة باللون الأصفر لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة بإطلاق سراح إحدى الضحايا مشعل ناصر الحماطي الذي قضى 22 عاما في السجون الإماراتية إثر حادثة قتل لصبي قاصر، وكان جزءًا من مفردات احدى الخيم، ومثل هذه المظالم الفردية والجماعية، تكون عنوانًا لبعض الخيم، ثم الديكورات التي تزين الساحات كما تزين الساحات الاحتجاجية شعارات مختلفة أهمهم، " ارحل، والشعب يريد إسقاط النظام.

وصورة لسانية أخرى لأحد الضحايا، وأسفلها" هذا ليس صوتي، إنه صوت الضحايا"، وكلمات وأرقام الميكروفون-ربما- رقم التليفون للمحل المستأجر منه الميكروفون، والاسم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإنجليزي، للشركة المصنعة للميكروفونات"، وفي آخر الصف الممتد للخيام، توجد لوحة سوداء، عليها كلمة" ارحل" باللون الأحمر، وكتابات لسانية أخرى، لم تظهر في الصورة بشكل واضح.

المستوى التضميني:

مداخل الساحة الثورية تنتصب الخيام، إحدى الخيمات مكتوب " مرحبا بكم في أول كيلو متر كرامة"، وقد نصبت أول خيمة بتاريخ 20 فبراير2011 بساحة التغيير بصنعاء- كما ذكرنا سابقًا- في ذلك اليوم كانت الساحة تعج بمجاميع شبابية ذكورًا وإناثًا يؤثثون ساحة مجسم" الإيمان يمان والحكمة يمانية"، بعضهم يكتب الشعارات والبعض الآخر يجمع التبرعات، وبعضهم يهتف، وتوزيع الماء، وكان الشعار المهم في أول يوم خيمة:" يا علي عطف فرشك، قررنا نسقط عرشك"، كذلك الشعارات التي اصطفت بعد ذلك "ارحل"، و"الشعب يريد إسقاط النظام"، ياعلي ارحل ارحل الكرسي تحتك ذحل"..إلخ.

وخلال ساعات نصب الصف الأول من الخيم، وتوالت العملية في بقية الأيام والأشهر، حتى امتلأت بها، الشوارع الرئيسية بما فيه شارع الستين وهو يعد من ضمن أكبر شوارع العاصمة. لقد امتدت سيلانات التخييم على شوارع رئيسية كشارع العدل، وشارع القاهرة وتونس حتى الحصبة، وكذلك شارع الرباط، شارع الزراعة وتوسعت " الساحة الجديدة- ساحة الجامعة القديمة، كانت الخيم مبثوثة على كل متر من الأزقة والحارات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد كانت الساحة وخيمها في البداية تشكل انصهارًا للفئات المختلفة فكريًا، من الإصلاح، والحوثيين والناصريين والاشتراكيين والمنشقين من المؤتمر، المختلفين على الساحة السياسية والفكرية وحتى المذهبية، خيم لعائلات وقبائل، ستجد خيم الإصلاحيين تتراص بجانب الاشتراكي، وخيم أبناء القبائل والأرياف الذين اعتصموا، وكلهم إلى جوار بعض، عدا خيم النساء التي نصبت عند بوابة جامعة صنعاء الجديدة.

وعندما تقف على سطح عمارة تجد غابة من الخيم تكسو شارع الخط الدائري وبالمثل ساحة تعز أكبر المدن اليمنية، غطت على كل شيء، حقًا ساحات الخيم بكل ما للكلمة من معنى.

وفي المسيرات كان المحتجون يخرجون من كل الخيم يثورون وهم يمضغون القات، ثم يعودون إلى خيمهم، يأكلون، وينامون، وقد أصبحت الساحات بيوتًا تأوي للمحتجين، وغير المحتجين الذين كانوا عاطلين عن العمل. بل واستمرت حتى بعد إطلاق المبادرة الخليجية، وإخلاء حزب الإصلاح لمخيماتهم وتجمعاتهم، بما فيها المنصة، " عطف فرشك".

كان المعتصمون يكنسون خيمهم وينظفونها ويزينونها، وينظفون معها الساحة، وقد سجلت مئات الصور التي تتناول هذا المشهد داخل الساحات والخيم.

هي حقًا بيوت للمحتجين، وقد زودت بالمولدات الكهربائية، بسبب الانقطاع الدائم للكهرباء، فـ " المواطير" تعمر الخيم، لتصبح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الساحة برمتها مطاحن يطغى أزيزها ليلًا ونهارًا، بجانب ضجيج المنصة بالميكروفونات الصاخبة.

هذه المشهدية الجديدة لحدث جديد، وبأساليب جديدة جعلت الحالمين الثوريين يشعرون بأن ساحة التغيير قد غدت "جمهورية مثالية"، يقول القديمي في كتابه:" غدت الساحة أشبه بجمهورية مثالية"(1)

أطلقت تعابير "الفردوس"، "مدينة الخيام"، "من دخل الساحة فهو آمن"، " مرحبًا بكم في أرض الحرية/ أول كيلو متر حرية"..إلخ. كما أطلق عليها البعض ووصفها بأوصاف خيالية ووصلت بالكثيرين إلى إضفاء مشاعر ووجدانات مافوق الحلم، كالمحتجين الذين نراهم، وأعينهم تفيض دمعًا" هذه الثورة أعادتني إلى شبابي، جددت روحي، إنها امتداد لثورة 26سبتمبر، وكان عشرات المعتصمين يبكون عند بث السلام الجمهوري، أو عند الهتافات،..إلخ".

بعد تدافع التخييم، أصبح الوضع يتخذ شكلًا آخر، فمعظم التجمعات التخييمية تكونت على أساس هووي، قبلي، قروي، مناطقي، فكري، جنسي، ديني، ومذهبي، وأصل وفصل، فكل خيمة تحمل اسمها والمسمى القروي والقبلي والانتماء السياسي والحزبي وشعارها، وصور شهدائها، وبعض الشعارات وبالمثل تؤثث داخل الخيمة بالأسرة، وأثاث المقايل، "المداكي" والكراسي عندما تكون الخيمة كبيرة، حيث تقام بها الفعاليات الخاصة

(1) مرجع سابق، "يوميات الثورة" ص114

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأصحاب الخيمة: المحاضرات والندوات، التوعوية أو الشعرية، خصوصًا" الزوامل"، ثم الروتين اليومي للمخيمين تناول القات والاستراحة، ويخرجون للطوفان في الساحة والصلاة والمسيرات ثم يرجعون إلى خيمهم، وهكذا. لقد انقلبت الخيم بيوتًا حتى بعد انفضاض الساحات بقيت خيم للسكنى لمجاميع كبيرة شبابية عاطلة عن العمل، أو من الجرحى الذين أصيبوا أيام المسيرات، أو خيم الحوثيين " أنصار الله " تحت شعار الثورة مستمرة، وبذريعة رفضهم للمبادرة الخليجية ورفض الحوار، كما ذكرنا سابقًا.

بعض الخيم تحولت إلى دكاكين/ بقالات صغيرة، لبيع المواد الغذائية، وبعضها لبيع القات، وبعضها لصناعة وبيع اللافتات، والأعمال اليدوية.. إلخ.

كانت هناك خيام صغيرة وكبيرة للفعاليات السياسية والدينية، وخيم كمستشفيات صغيرة للإسعافات، يقوم عليها بعض الأطباء والطبيبات، وكانت هناك أبنية من الأخشاب والأسمنت والبلوك مزودة بالنوافذ والأجهزة كالستلايت، والحمامات، وملاعب صغيرة للأطفال، والباعة المتجولين، والمحلات العشوائية، حملت عناوين مثل " شاي الأحرار"، ومقهى "ارحل " وو..إلخ

بل وقام بعض المعتصمين وفي يوم وليلة ببناء الحمامات العامة، وتجهيز المستشفى الميداني "الذي كان مسجدًا" والمركز الإعلامي، وخيم ومحلات تحولت إلى مراكز إعلامية، وكان في كل خيمة جزء من العمل الإعلامي الخاص بها، وكذلك كانت هناك فنادق واستراحات، ولوكندات للراحة والنوم والمقيل، وأسواق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعبية، وخيم لتعليم القرآن، وتعليم مبادئ الإسعافات الأولية، والندوات والمحاضرات، والأناشيد، والموالد الدينية. كان للخيام كما ذكرت أشكال وألون وأحجام، تبعًا للثقل الاجتماعي والسياسي، على سبيل المثال فإن خيمة الصمود التابعة للحوثيين، وخيم المشايخ وخيمة علماء الدين، كانت واسعة ومتينة، بينما خيم الآلآف هشة من الخيم البلاستيكية والقماشية الصغيرة.

وانضمت خيم بعناوين استعراضية، ضاحكة: خيمة الرئيس القادم" ميكي ماوس، وخيمة شباب الفيسبوك، تحت شعار: مطلبنا سلطة عصرية لا أسرية ولا شللية.

عامر السعيدي" من قصيدة، أهازيج فبراير"

في الدائري وقفتَ والتاريخ حولك دائر

وأنا النظام أنا الخيام أنا الحمام الطائر

هذا فمن في ساحة التغيير شعب ثائر

فرجة: خيم التفتيش والحواجز الأمنية

مع تأثيث الساحة بالخيام، والمنصة، انتشرت عشرات الحواجز ما يسمى " حواجز أمنية " للتفتيش، والخوف من اندساس قوات النظام. وظيفتها الأولى، حماية الساحة.

كان يقوم بعملية التفتيش العديد من الشباب المحتجين، ذكورًا وإناثًا، في غرف صغيرة، ومربعات خشبية، وأحيانًا سواتر من الطربال أو القماش، أو البلاستيك، يتم فيه التفتيش بشكل دقيق جسديًا وماتحويه أي حقائب أو أكياس، بل وجرى حتى تفتيش ماء الشرب والأكل، من خلال جعل صاحب الزاد والماء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والعصائر يتذوق ما يحمله. وكانت تحتجز الكثير من المأكولات والمشروبات والأشياء.

إحدى خيم النساء، كتب عليها، " شباب المنسقية العليا للثورة اليمنية- لجنة تفتيش نساء"، وقد جرى غسل الأدمغة والتخويف المرضي من أن هناك كتائب للمندسين أتباع النظام تقوم بتسميم المحتجين، وإلقاء القنابل،..إلخ من شائعات الهلع، التي كانت تسري كالنار في الهشيم، وقالت إحداهن للباحثة، إنه ألقي القبض على جماعات اخترقت الساحة لتضع السم في أكل المعتصمين، مضيفة: أن لجنة التفتيش النسائية أوقفت نساء يحملن طناجر ضغاط كبير فيها حيات وثعابين وعقارب لقتل شباب الساحة.

وفي ظرف ليلة بعد موافقة قادة وأساطين ساحة الاحتجاجات على المبادرة الخليجية، انتهت اللجان الأمنية، وأصبح الكل يسرح ويمرح.

في المقابل، كانت هنالك احتجاجات التي كانت سرعان ما تكتم بالعنف، كاحتجاجات السكان من أصحاب المنازل، والمحلات من هذا "الاستيطان/الاحتلال، الذي وقع لإحيائهم وبيوتهم في ظرف ليلة " كن فيكون"، بعض سكان أحد الأحياء أقاموا سورا من البلك، والخراسانات، وكتبوا عليه، تنويهًا، يقولون فيه: "ممنوع من أجل أمن واستقرار الحي، يمنع الدخول لغير سكان الحي، ونؤكد بأننا قمنا بعمل هذا الجدار نظرًا لما تقتضيه مصلحة أهالي وسكان الحي"، وفي لافتة أخرى، كتب" من أجل أمن واستقرار الحي، يمنع الدخول لغير سكان الحي، ونؤكد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأننا جميع سكان الحي سنتصدى لأي شخص أو مجموعة تحاول الدخول دون أن يكون من أهالي الحي".

فرجة القات

لا يختلف مجتمع الساحة الاحتجاجية عن المجتمع الكبير، فالمواطن العادي هو ذلك المحتج في كلا الساحتين الستين والسبعين، جميعهم يتناولون القات خصوصًا عقب تناول وجبة الغداء، حيث تتحول اليمن ريفًا وحضرًا وعن بكرة أبيها إلى كائنات "مُخزنة"، بما فيه النساء والأطفال، وهكذا كانت الساحات المتجمهرة مع النظام وضده.

بعض اليمنيين يتناولون القات "يخزنون" طوال اليوم، صباحًا فيما يسمى بـ" الفذاحة "، ثم تخزينة بعد الغداء، ثم تخزينة المساء.

مع وجود الساحة أصبحت هناك أسواق للقات، فلقد انتعش باعة القات في كل شبر من الساحة، بل كانت هناك خيم تبيع القات، بأسعار غالية، وفي بعض المناسبات يوزع القات مجانا، من قبل المشائخ الكبار، وبعض التجار المنظمين إلى الساحة.

لقد ظهرت صورة اليمني ككائن قاتي/مخزن، يحمل ورم وجهه في كل العالم، إذ يبدو في نظر العالم كائنًا غريبًا، إنسان، وليس بإنسان، كونه يعتلف القات مثله مثل الحيوانات، وأصبح السياح، والقنوات الفضائية المشهورة، يتهافتون على التقاط تلك الصورة. ويشاهدها معنا كل العالم، تراهم عندما يخرجون إلى المسيرات وهم بأوداج تكاد تتفجر من الانتفاخ، فتنفتح أفواههم الخضراء،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وللأسف ظهرت مئات الصور لتلك السحنات، كأنها مسوخ، تتناقلها كل وسائل الإعلام الخارجي*.

في المقابل كان بعض المحتجين وعلى قلتهم، يمرون بجانب وأمام الخيم في وقت المسيرات، وهم يرددون هذه الشعارات استهزاءً بهم، (خصوصًا النساء):

" ياللي عادك بالخيمة، الثورة مش تخزينة"

ياللي فاتح المحل غلق وعلي بايرحله

ياللي عادك بالمنزل الحق الثوار وانزل

كان هناك تصد مستميت في وسائل التواصل الاجتماعي ومن على المنصة، وبعض الكتابات، لبعض الانتقادات التي توجه للمحتجين في الساحات من أن الساحة أصبحت مأوى للعاطلين عن العمل، والمتبطلين، ولشذاذ الآفاق، أحد الردود:" يقول بعض عديمي الهمة: إن الشباب الذين في الساحات ليس لديهم هدف أو مأجورين. ويقول آخر: إنهم يذهبون إلى الساحة لتخزين القات أو المتواجدين في الخيم هم عاطلون عن العمل، إذا كان كل هؤلاء يعيشون بدون عمل- فوجودهم لبناء وطن يحتضنهم ويتسع للجميع، وجودهم لإحداث تغيير فعلي في حياة اليمنيين"[1]

---

* كما هو معروف عن الحالة اليمنية وقت التخزين وخصوصًا الساعة السليمانية، إذ تخلق معها الحالة الرومانسية، وتخلق قبله الحالة الذهنية النشطة، ثم الاسترخاء الطويل والمزاح الحاد لدى الكثيرين، كل تقلبات الحالة المزاجية كانت موجودة في ساحات التغيير إذ اعتبر القات الحياة الثانية بعد الأكل والشرب.

(1) من تقرير مجدي الضبيبي، صحيفة أخبار اليوم، https://akhbaralyom ye.net/nprint.php?lng=arabic&sid=43760

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نخلص

أنه بجانب الساحة كفرجة للفضاء الاحتجاجي، تم تأثيث الساحة بكم الخيام المرصوصة للمعيش لا تختلف عن مقيل كبير " ديوان الشيخ" أو لوكندا كبيرة، لبت احتياجات المعتصمين الشباب من إخراج مخزون انفعالاتهم وتوجيهها بالطريقة التي تريدها "سلطة الساحة" لا بالطريقة التي يريدها الشباب وخرجوا من أجلها.

تأثيث الساحة بمخدر القات، هو جزء لايتجزأ من فلكلور/ طقس الاحتجاج، وتخلق عنه بما يسمى " اقتصاد الساحة"، " اقتصاد الثورة".

استنتاجات التحليل السيميولوجي للصور:

حملت صور البحث الأبعاد (السوسيو- سيميولوجي - ثقافي) العديد من الدلالات، علامات، شكلها الإنسان في سياق علاقاته الاجتماعية.

فقد ركزتّ على الاحتجاجات اليومية وأساليبها النابعة من ثقافة المجتمع، من "القيم القبلية، والدينية، والجمالية كـ"إحراق المقارم، ومشاريع الشهادة، والجرافيتي، بما فيها الأساليب الجديدة المتزامنة مع أحداث الربيع العربي في بعض الدول العربية. كلها تدعو إلى إسقاط النظام.

أظهرت جانب المقاومة والتصدي لآلة العنف السلطوية تجاه المحتجين، عبر الحجارة، والدعاء للسماء لنجدتهم، وأيضًا الهتافات بإزالة الحاكم المستبد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حملت الصور بتحليلها اللساني، على العديد من القيم السياسية السائدة لدى سلطة الحكم " الإجماع الوطني" بنعم للحاكم، التحدث باسم الشعب... وغيره من الإعلام السلطوي المسير. وكذلك الرسالة الألسنية لمشروع شهيد. ورأينا ندرة الأشكال الهندسية والخطط في الصور، كونها صورا فوتوغرافية ثابتة.

ومن نافلة القول إنّ الصور، كان لها سلطة قوية في تكوين الرأي العام وتوجيهه. وباستقراء سيميولوجية عرفت الأبعاد الرمزية لمعنى الاحتجاجات، ودلالات الحركات والفعل الاحتجاجي لهدف التغيير الذي سعت إليه الجماهير.

كانت الصور مقربة، وأخذت أكثر من الأمام، حتى تظهر التفاصيل الصغيرة، تمكنا من قراءة رمزيتها، كما في صورة "تينك العينين". وأظهرت الصور كذلك العديد من الألوان، سواء أكانت الألوان الرمادية كما في احتجاجات الفجر والغازات المسيلة للدموع، أو الألوان السوداء في الغطاء الساتر للنساء اليمنيات، وحفلت أيضًا بالألوان المبهجة كما في الجرافيتي.

لم تكن للصورة تلك القدرة الاحترافية، لكنها استطاعت أن تنقل ولو النزر اليسير مما يدور في ساحة الاحتجاجات، وقراءة أبعادها الرمزية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

مآلات الفرجة المضاعفة للاحتجاجات وتشظياتها:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- "بؤس الفرجة"
- الفبرارجيون

سنصير شعبًا، حين ننسى
ماتقوله لنا القبيلة
بل سنصير مواطنين " محمود درويش"

"إن اليد التي تمسك بالمحراث وتحيل الأرض بساطا أخضر هي اليد التي تمسك بزناد البندقية وتحيل الأرض إلى شعلة ملتهبة. وإن الطاقة الإنسانية الهائلة التي شقت الجبال وأقامت عليها مدرجات غير عادية للزراعة، هي نفس الطاقة التي تكتسح الأرض الخصبة أو تدافع عنها. والدرع الذي حمى اليمن من كل معتد هو السيف الذي ينغرز في جسم الجماعة(إبراهيم الوزير 1971-194)*

الأنوميا الاحتجاجية

وقعت اليمن بين فرجتين تصارعيتين، للعليين من قبيلة/لحمة واحدة، "القائد التاريخي"، و"القائد الضرورة"، و"سادس الخلفاء الراشدين": علي عبدالله صالح الأحمر، و"الثوري الضرورة"، و"حامي الثورة وحارسها": الجنرال علي محسن الأحمر.

* مأخوذة الفقرة من كتاب " معالم تاريخ اليمن المعاصر"، عبد العزيز قايد المسعودي، 1992، مكتبة السنحاني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحولت فرجة الأوهام وخدرها، أو أحلام اليقظة الثورية، وصرف تعاويذ القداسة، التي أسبغت على الفعل الاحتجاجي، إلى لاهوت عصبوي وعصابي، خصوصًا من قبل أحزاب الإسلام السياسي، والجماعات المنضوية تحت عباءتهم.

واليوم ينبغي أن يكون هذا اللاهوت/ المقدس" السوسيو-ثقافي" موضوعًا للدرس والتفكير، ما الذي يجعل هذا الشعب ينقاد في غمضة يوم، وفي أكثر من ميدان، يهرول معتصمًا بكنتونات وموزعًا بين اصطفافات أصلها، أصلها واحد.

الكثير من الأكاديميين والمشتغلين في الحقل الثقافي، والبحثي، عاشوا الحلم، والأوهام وصوروا الواقع وقرأوه بمسارات فوق واقعية، فانتازيا بامتياز، بالرغم من أن بحوثهم السوسيولوجية تفند بصراحة أن النظام القبلي وعر، وأن سبب عدم وجود الدولة هي القبيلة، وأنها سبب الركود، والتعصب،..إلخ، ومع الاحتجاجات انساقوا مع عملية تقديس الوهم، كدعوة يقنية وأيقونية، فـ" حال نجاح الجماهير في تغيير النظام، فإن المتوقع تراجع القبيلة مستقبلًا، رغم أن هناك نخبًا قبيلية مشاركة في الثورة الشعبية، ذلك أن أبناء القبائل والنخب القبلية باتوا مرهقين من استمرار القبيلة، وباتوا يعانون من الثأرات والمشاكل، فبعض شيوخ القبائل هربوا إلى السعودية، وبعضهم الآخر قتل، وهكذا فان التوجهات القبيلية من المحتمل أن تتراجع بسبب ترشيد مصالح النخب القبلية. فالذي يسعى إلى الحفاظ على البنية القبلية هو النظام، أما النخب القبلية فقد بات كثير منها راغبًا في تغيير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النظام، واستبداله بنظام يقوم على المواطنة المتساوية منه، ويتيح التنافس على السلطة على أساس تكافؤ الفرص "[1]

ومن داخل خانة الأوهام، يقول آخر: " انضمام هذه الكتل(الفرقة الأولى مدرع، وتحالف القبائل، واللقاء المشترك) والأحزاب والقبائل شكلت النموذج لمجتمعات المستقبل والدولة المدنية التي تستهدفها الثورة، ذلك لأنها وحدت الجماهير المظلومة بمختلف مشاربها السياسية، وانتماءاتها، وفي إطار طابع سلمي وآليات جديدة غيرت أو أعادت النظر في المفهوم التقليدي للثورة التي غالبًا ما تعتمد على العنف "[2]

وكثيرة هي الكتابات التي سكبت الوهم في عقول ونفوس المحتجين، بل وروجته للعالم، لا نبالغ، إذا ما قلنا إن الاحتجاجات، أو الثورات، أزاحت شخص علي عبدالله صالح لكنها لم تسقط النظام ولا المنظومة، التي بقيت عنيدة حتى انشطاراتها وتكشف بأن حتى جل الذين انتفضوا على صالح وقاوموه لأسباب شخصية وثأرية كان بهدف الاستئساد بالغنيمة والسلطة، والتوريث.

كان المعطى القبلي، وفكر البدواة، والمتزاوج مع أيديولوجيا الإسلام السياسي، هو المهيمن وصاحب القاعدة الشعبية الكبيرة في اليمن، علاوة على تغلغله في مفاصل مؤسسات الدولة الهشة،

---

(1) "الفاعلون غير الرسميين في اليمن، أسباب التشكل وسبل المعالجة"، عن موضوع، " القبيلة فاعل غير رسمي في اليمن"، عادل الشرجبي، مركز الجزيرة للدراسات، أبريل 2010، ص51.

(2) محمد صالح علي، صحيفة الثوري، العدد 2191، تاريخ 2012/6/7.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد تغلغل من وقت مبكر في مفاصل مؤسسات التعليم، والمؤسسة الدينية والأوقاف والجيش والأمن، ومفاصل الحياة كلها.

فلم يتأسس بعد فكرة المواطن، الفرد، الدولة، وقيم الحياة السوية بمفاهيم العصر، ومن ثم أولئك المحتجون في ساحات الاحتجاج لم ينفجروا كمواطنين من ذاتهم، وإنما توحدوا وانصهروا بالجموع والحشود بأمر الوالي، الشيخ والفقيه/ الداعية وقبضة الجنرال.

ولذا تقلص هامش شباب الاحتجاج وسرعان ما تشتت وانطفأ، بالقتل في الجبهات المختلفة، كما تشرد داخل البلاد وخارجها، أو أصيب بالاكتئاب، خصوصًا الجرحى، أو..إلخ.

الاحتجاج/ الثورة، لم يكن احتجاجًا من أجل تغيير المجتمع، أو من أجل ثورة في الذهنيات، بل كان على نحو مايقول المثل الشعبي " قلعنا ثومي، وزرعنا بصلي"، بل الثومي والبصلي هما لحمة النظام" القبائلي، العسكري الديني. فـ"لا يمكن أن نطالب بالكرامة والحرية، داخل قفص الهويات والأعراف والفكر الأحادي، كما لا يمكن أن نتحرر من الطغاة والإستبداد، من دون أن نتحرر من الرواسب الثقافية النصية المطلقة وآليات الفكر العنيف" [1]

(1) عبد اللطيف كمال، " مدخل إلى قراءة الأبعاد الثقافية للثورات العربية"، ص 57، من كتاب، " الانفجار العربي الكبير – في الأبعاد الثقافية والسياسية"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت،2012.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفبرايرولوجيون*:

" عندما نفيق من ذهولنا، ندرك أن الكوارث تؤدي أحيانًا إلى اليأس وأحيانًا إلى ترسيخ إدارة الصراع. كان هذا أول درس اتعلمه من الجدلية التاريخية"[1]

"أدركت أن الثورة ليست أمرًا سهلًا وأنها تحصل لمجرد إيماننا بضرورة حصولها"[2]

مع كل يوم من الانهيارات، احتدم سؤال الصدمة: هل كان معنا ثورة، بحق وحقيقي، وإن كانت ثورة حقيقية، فلماذا لم تنجح؟ هول الصدمة التي أدخلت الكثيرمن الحالمين في أطوار اكتئابية وحزن عميق.

ودخلنا في سردية الحزاوي وخرافات الجدات، وخوارق بحر الأساطير، وما يندرج في " تاريخية سياق الزمن الجميل". الذي أصبح متاع الحالمين ومر الهزائم، وقحط العابثين من حرب ومجاعات.. اللاسلم الذي يعيشه اليمني، أبًا عن جد.

فكانت الثورة المُرة، مادة لفيض من الكتابات على مدى (عقد/ العشرية) من زمن الاحتجاج، وهم يعنونون كتاباتهم بـ"الثورة النقية"، "الثورة البيضاء"، وأن "الثورة منتصرة، بل وانتصرت، بغروب صالح عن مشهد الحكم، بالرغم من مآلاتها وما كان من انزلاق للبلاد عموما إلى تجديد دورات الحرب والصراع، التي تجددت معها الدورة الدموية لثلاثي شوكة العصبية

---

* أستعير المصطلح من مقالة الدكتور غرس الله،

https://www.elhourriya.net/31480.html

(1) شرابي، هشام، " مقدمات لدراسة المجتمع العربي"، الدار المتحدة للنشر، لبنان، الطبعة الثالثة، 1984، ص14.

(2) المرجع نفسه، ص21.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(القبيلة/العسكر/ رجال الدين)، وكان تعبيرها المكثف هو "حماة الثورة" والثوار.

" الفبرايرولوجيون نسبة إلى الفبرايرولوجيا، وما نتج عنها من هوس للتنظير والفرز بين " الثوار الأنقياء"، وغيرهم من الثواريين غير المكتملين.

لم ينحصر الفبرايرولوجيين في نطاق القابضين والمهيمنين على الساحات، بل انضوى إليهم الكثير من المستقلين واليساريين/ الجيفاريين، ومن الحزب الاشتراكي، والناصري. كانوا متمسكين بناصية المثل الشعبي، " عنزة ولو طارت"، أو " أيشوه من الديك"*

فهم لا يقبلون، بأقل من تسمية 11 فبراير ثورة، وثورة حقيقية مكتملة، وأنها أسقطت النظام، فالثورة حق لهم، ومن حقهم استملاكها مثلها مثل أي عقار وغنيمة، فهناك غنائمو الدولة، وكذلك غنائمو الثورة.

وأصبحت الفبرايرولوجيا فكرًا متعصبًا،/ أيديولوجيا، مفعمة بالإرهاب والإرهاب والعنف، التنكيل، التخوين، عبر وسائل الإعلام، والتجمعات ك" المقايل".

---

* وقصة مثل عنزة ولو طارت"، أن صديقين شاهدا أسودًا عن بعد، فقال الأول أرى غرابًا، قال الصديق الآخر، إنها عنزة، واشتد الخلاف بينهما، وعندما اقتربا من المكان، طارت الغربان، لكن الصديق الآخر أصر على رأيه، وقال بتحد، عنزة ولوطارت"، كناية عن التشبث بالرأي حتى لو كان خاطئًا. والمثل الشعبي الآخر "أيشوه من الديك" تعرف حكايته، أن رجلًا أصيب بالعمى على آخر شيء كان يبصره، وهو الديك، فكان يقيس كل الأشياء على مقاس الديك،هل هي مثل الديك/ أم لا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وطل علينا بعض الباحثين الوثوقيين/ الإيمانيين/ الحقيقيين والاكتماليين في ثورة 11 فبراير، يدلون بدلوهم، " إن ماجرى في اليمن اليوم ثورة سياسية اجتماعية شعبية ووطنية حقيقية، وهي ظاهرة سياسية اجتماعية تاريخية، وليست حالة عابرة أو خاصة... شخصيًا أجد نفسي قريبًا من وصفها بأنها ثورة حقيقية، بل ثورة كاملة وشاملة، حتى وإن لم تحقق أهدافها كاملًا حتى الآن، وهي في تقديري ثورة، لا قياسًا إلى المعاني والمفاهيم الاصطلاحية القاموسية والتاريخية للثورة، بل هي ثورة في صورة مفردات ومعطيات ووقائع وحقائق التحولات الثورية الكبيرة التي بدأت تحدثها وتمارسها في الواقع. على الصعد كافة، الأيديولوجية السياسية والاجتماعية والثقافية، أوجدت خلخلة عميقة وجذرية في بنية منظومة الجهاز المفاهيمي القديم كله، زعزعت الراسخ والثابت والأصيل في بنية المفاهيم والأفكار والقيم التقليدية"[1]

ويقول في موضع آخر، " استطاعت إلى حد ما تفكيك عرى البنى التقليدية(الاجتماعية والثقافية والمذهبية والدينية) وأواصرها، ورفعت دور المرأة إلى مصاف المشاركة السياسية والجماهيرية.. خرج من خلالها الناس إلى الشارع، وتحول معها الشارع إلى شعب، وإلى شعب حي وفاعل وقادر بالضرورة على إعادة صوغ علاقتنا بالتاريخ بصورة إبداعية ونقدية خلاقة، لتضع الشعب أول مرة في صدارة الفعل التاريخي، وتنقله من الهامش إلى

(1) مرجع سابق، " الثورة اليمنية الخلفية والآفاق"، تحرير فؤاد الصلاحي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، أكتوبر 2012، ص 101 103.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتن، معلنة دور المجتمع في المشاركة بعملية التغيير الاجتماعي، والسياسي، وترسيم علاقة جديدة بالسياسة والمجتمع والتاريخ "[1]

ويقول أيضًا، "أننا اليوم لسنا أمام حالة انقلابية عسكرية، ولا في حالة انقلاب سياسي أصلاحي فوقي من داخل النظام، كما أننا لسنا في وضع ثورة شعبية جماهيرية مسلحة، بل أمام ثوة شبابية شعبية جديدة في شكلها ومضمونها، ثورة سياسية اجتماعية وطنية ديمقراطية في طراز جديد، ثورة لم تكن خلفها أيديولوجية مسبقة، ولا حزب قائد، ولا زعيم أوحد، زعيمها هو الشعب" "[2]

وبمرور عامين على الاحتجاجات، يمضي قائلًا، "إن ماجرى في اليمن اليوم ثورة سياسية اجتماعية شعبية ووطنية حقيقية وهي ظاهرة سياسية اجتماعية تاريخية وليست حالة عابرة أو خاصة، هاهي الثورة تدخل عامها الثاني وتظل مستمرة الوتيرة المتصاعدة نفسها...وما يجري في قلب الساحات وميادين الثورة من فعاليات سياسية وفكرية وثقافية وفنية وأدبية ومسرحية كلها تؤكد أننا أمام مسالة ثورية حقيقية، وأمام ثورة سياسية اجتماعية فكرية تاريخية... " ففي قلب ساحات الحرية والتغيير تجري محاولات جنينية لتشكل صورة مجتمع جديد بكل تعارضاته وتناقضاته... في جمعة من أجل الدولة المدنية الديمقراطية، بتاريخ 2011/7/15 حيث صلى اليمنيون في ساحات التغيير والحرية كلها تحت هذا الشعار وهو

---

(1) المرجع نفسه، " الثورة اليمنية الخلفية والآفاق "، ص56 57.
(2) المرجع نفسه، ص100.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دليل على أنه شعار الجماهير جميعهم باستثناء قلة قليلة لا تزال مشدودة إلى الدولة التقليدية، دولة الخلافة"[1]

واستمر كيل الأحكام السريعة، لكثير من الكتاب الكبار في اليمن والعالم، حتى بعد مرور سنين على انتهاء الاحتجاجات، "قوى التحقت بالثورة بعد مجزرة الكرامة البرلمانيين والتجار ورجال الدين والجيش والألوية العسكرية، يقول قادري "إذن نحن أمام مشهد سياسي تاريخي جديد فيه تغيير الخارطة السياسية التاريخية اليمنية وهي إضافة ثورية شعبية ووطنية تحسب لثورة الشباب والشعب... إن ثورة الشباب أخرجت السياسي من وصاية العسكر والقبيلة والدين، وهي في طريقها إلى ذلك"[2]

عبارات الفبرايرولوجيين، تختصر الزمن، وتنذر باستمطار المعجزات التي وهبت لفبراير، فهي" ثورة حقيقية، وتحولات ثورية، وخلخلة عميقة جذرية في بنية منظومة متكدسة منذ آلاف السنين ونظام صالح جزء من تلك المنظومة، فكيف زعزعت الراسخ/ والثابت، وبنية المفاهيم، والثورة الفكرية، إلا إذا كانت السماء تمطرنا ببراميل من المعجزات، والكرامات، وقد ولى زمن المعجزات! والتقى الكثير من الكتاب والباحثين المحسوبين على اليسار والعلمانية مع الراسخين في الفقه والخرافة، والغيبيات المقدسة، ومشايخ الإفتاء على خط واحد.

في نفس النهج، يقول كاتب آخر، " ثورتنا ثورة سلمية، ماهي إلا النتيجة الأخيرة لتحولات فكرية في التصور والرؤى وإن كان

---

(1) المرجع نفسه، ص103،104.
(2) المرجع نفسه،114،115.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شتى الثورات هتفت بالسلمية، إلا أن التحول المذهل لما حصل في اليمن الذي رفضت قبائله السلاح لمواجهة سلاح الحاكم، مع أن العنف والسلاح والثأر هي ثقافة اليمنيين التي فجأة رفضوها مفضلين أن تظل ثورتهم سلمية حتى النهاية... هذه حقائق تقودنا إلى أن ثورة ما في التفكير هي من أحدث هذه الثورة بصيغتها السياسية المطالبة بإسقاط الأنظمة الحاكمة، كمقدمة ضرورية للإصلاح الوطني الشامل في هذه البلدان"[1]

"القبيلة السلمية" صميل بيد الأقوى

أما مفردة السلمية التي جرى تدوالها وهصرها محليًا وخارجيًا من قبل مفكرين، وأكاديمين، وسياسيين، وفنانين، فكانت مثل الهشيم في النار، إذ صحونا في يوم فبرايري، يريق لنا حقيقة لاجدال فيها، بأن الجنرال وأرتال العسكر والجيش والأمن، والقبيلة ومشائخها، والدعاة، وتنظيم القاعدة "السلميون"، وكل من تلوثت أياديهم في المعارك والحروب، وخلفوا الخراب والدمار، سلميون، وكل أساطين الفساد، واللادولة، والتجهيل، والمهربين، وتجار السلاح، وغسيل الأموال، سلميون وبإيمان مطلق. لقد أصروا على حقننا بمصل "الثورة تجب ماقبلها"، و"من دخل الساحة فهو آمن".. إلخ من الشعارات التي لا حصر لها.

وفي الذكرى العاشرة لاحتجاجات 11 فبراير، مازال الخطاب "محلك سر" لم يتجدد، بالرغم من حدوث متغيرات كبرى،

---

(1) حرمل، جبران،" ثورات الربيع العربي ومستقبل النظام السياسي العربي"، العدد29، السنة14، مجلة الجامعة الأسمرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانقلاب الحوثي، "ثوار الصمود" ثوار السلمية الخفية، ثم أنصار الله، كمليشيا في مؤتمر الحوار انقلابهم في 21سبتمبر 2014 "، وصاروا سلطة إرهابية، قمعية، جعل الملايين يهربون من البلاد، وأصابت البلاد بمجاعة، وكوارث الحرب ومئات الآلاف من الضحايا والقتلى وقود حروبهم، وحروب الأقليم، مازال الكثير يتصدرون مشهد سجادة الوهم للثورة الحقيقية، بحسب نوستالوجيا" ثورة الزمن الجميل".

يقول كاتب آخر، " أثبتت القبائل اليمنية قدرتها على التخلي عن استخدام العنف وترجيح الصراع السلمي على الصراع المسلح في أثناء الثورة السلمية، كما أثبتت قدرتها على تناسي الثأر "[1]

ويواصل، " ولا شك أن هامش التعددية السياسية التي شهدته اليمن، وموجة التغيير السياسي التي تشهدها العديد من دول المنطقة العربية أسهمت-إلى حد كبير- في تفسخ الولاء القبلي، أحدثت تطورًا في مستوى القيم السياسية المتمثلة باعتزاز بالذات واستقلالية الرأى واحترام سيادة القانون "[2]

وينتهي إلى القول" إن هذه القوى الشعبية- في ساحات التغيير- تبدو عازمة على مواصلة مسار الثورة حتى تتجلى ملامح الدولة المدنية المرتقبة في اليمن، والتي تلتزم بالعمل المؤسس، وبالمبادئ الديمقراطية، وسيادة القانون، وتحقق المواطنة المتساوية،

---

(1) غانم، عبدالكريم، القبيلة اليمنية دورها وموقعها في الثورة والتغيير السياسي"، ص390، من ندوة" الثورة اليمنية الخلفية والآفاق، تحرير فؤاد الصلاحي المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط الأولى،2012..

(2) المرجع نفسه، ص391.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والقبول بالآخر، وحرية الرأي والعقيدة والفكر، وتحقيق الأمن للوطن والمواطن وتوفير الاستقرار والتنمية"[1]

وفي موضع آخر يواصل، " أثبتت القبائل اليمنة قدرتها على التخلي عن استخدام العنف وترجيح الصراع السلمي على الصراع المسلح في أثناء الثورة الشعبية كما أثبتت قدرتها على تناسي الثار. إذ يبدو أن التسلح ظاهرة مرتبطة بحاجة القبيلة إلى توفير الأمن والاقتصاص من المعتدين وفق نظرة المجتمع القبلي، وماترتب عليها من قيم اجتماعية تمجد السلاح، وتضاف إلى ذلك الاعتبارات المادية للسلاح الذي يعد في نظر أبناء القبائل جزءًا من مدخرات العائلة وسلعة للمتاجرة قابلة للرواج... " ولا شك أن هامش التعددية السياسية التي شهدته اليمن وموجة التغيير السياسي التي يشهدها العديد من دول المنطقة العربية أسهم – إلى حد كبير– في تفسخ الولاء القبلي، أحدثت تطورا في مستوى القيم السياسية المتمثلة بالاعتراف بالذات واستقلالية الرأي واحترام سيادة القانون... ما يشير إلى أن الميل إلى المحافظة ومقاومة التغيير لم يعد السمة الملازمة للقوى القبلية، فهناك من بات يؤمن بضرورة التغيير السياسي العميق... مايشير إلى حدوث تغيير في موقف أبناء القبائل من القبول بالتغيير السياسي يتجلى في تمسكهم باستكمال عملية إسقاط النظام والانتقال إلى الحالة المدنية...ميل القوى القبلية الجديدة للتشكل في أطر تتخطى القبيلة، وذلك من خلال الانضواء في أطر مدنية أو حزبية... وينتهي إلى أن هذه القوى الشعبية في –ساحات التغيير–تبدو عازمة على مواصلة مسار

(1) المرجع نفسه"، ص 410.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثورة حتى تتجلى ملامح الدولة المدنية المرتقبة في اليمن، والتي تلتزم بالعمل المؤسسي، وبالمبادئ الديمقراطية، وسيادة القانون، وتحقق المواطنة المتساوية، والقبول بالآخر، وحرية الرأي والعقيدة، والفكر، وتحقيق الأمن للوطن والمواطن وتوفير الاستقرار والتنمية"[1]

ويتجلى عزمي بشارة بنفس الوثوقية، حين يكرر في خطاباته، ومقابلاته، ومايكتبه، " يتبلور مجتمع مدني مغاير وعابر لعصبية القبائل والانتماءات الجهوية"، " هم لا يسعون الآن إلى إقامة مجتمع مدني، إنهم يمارسون الآن حياة مدنية "، وعن المنظمين إلى ساحة التغيير من أتباع النظام، " إنهم يأتون إلى ساحة التحرير_التغيير- ليتطهروا من المرحلة السابقة"[2]، ويقول أيضًا، " إن ما حدث في اليمن هو أمر عظيم وجلل، وحدث كبير، لأن المجتمع اليمني الذي كان مهمشا ومحجوبا عن الفعل التاريخي لفترة طويلة، يستعيد زمام المبادرة ويخرج مجاهرا بهويته الوطنية العربية والإنسانية. لقد آن الأوان لذلك، فإن لم يكن الآن فمتى، وإن لم يكن أنتم فمن؟

" لاشك أنكم في هذه اللحظات، في هذه الأيام، تصنعون تاريخكم ومستقبلكم وتاريخ الأجيال القادمة، وأعتقد فعلًا ومن دون أي مبالغة أنكم قدمتم مدرسة حقيقية في التحول والتغيير الديمقراطي، وفي الصمود والنضال والتضحية وفي درجة التنظم... أنتم دائما تدهشون وتفاجئون الجميع فيما أبديتموه من قدرة على التمسك بالهدف الرئيسي وعلى صقل الهوية المواطنية

---

(1) المرجع نفسه، ص390 399.

(2)https://www.youtube.com/watch?v=IgDpKDYTlvs، صباحًا (7:30 ،2022/2/2).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليمنية أثناء تمسككم بالهدف الرئيسي... إنه يجب أن تكون واضحة لكم ملامح المرحلة الانتقالية، وأن تكون واضحة ملامح المستقبل "[1]

في المقابل ظهرت بعض الأصوات المغايرة، لما يمور في ساحات الاحتجاج، وهي أصوات شباب/ ت، كانوا من أوائل الذين أنضموا إلى ساحة التغيير- ولا أخفي انتمائي لهذه الأصوات والرؤى- التي اختزلت ما تمور به الساحات الثورية، فـ" الساحة طاردة للمستقبل "[2]

إن" ما حصل بعد الثورات العربية الأخيرة كارثة وفضيحة بكل المقاييس. لقد قامت تلك الثورات على كاهل الشباب الذي يطالب بالحرية والعمل والكرامة، وسرعان ما انتشرت صرخاته الاحتجاجية في العالم كله، حتى أنها حاصرت" وال ستريت" كعبة الرأسمالية العالمية. ولأول مرة منذ قرون طويلة، عاد العرب لموقع "أستاذية العالم" (حسب العبارة التي ابتذلت أيديولوجيا)، وأصبحت عواصمهم قبلة للناس وشعاراتهم مشاعة على كل الألسن... لكن في فترة قصيرة ضاعت أحلام الثورات وانتظارات مناصريها في العالم، وهوت المجتمعات العربية في نزاعات دينية وطائفية تفاقمت فوضى وعنفًا. إن ما أطلق عليه تيمنًا" الربيع العربي"، أسوة بربيع الشعوب في أوروبا سنة1848، نشأ مبشرًا

(1) https://www.azmibishara.com/ar/%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%B6%D8%B1%D8%A7%D8%AA/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A9%D8%B9%D8%B2%D9%85%D9%8A%D8%A8%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D8%A9%D9%84%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%81%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%8A%D8%B1%D8%A8%D8%B5%D9%86%D8%B9%D8%A7%D8%A1 (9:20 ،2.2.2022)

(2) انظر ورقة الباحث ماجد المدحجي، "ثورة الشباب، محدداتها وآفاقها المستقبلية"، من كتاب، " الثورة اليمنية الخلفية والآفاق"، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2012.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالحرية، لكنه شب في أغلال التوظيف الديني للسياسة وتعميم الطائفية والتفكير والعنف، وهرم قبل وقته باستيلاء القوى المحافظة عليه وفتح المجتمعات العربية على كل أنواع الوصاية المحلية والأجنبية"[1]

لا نبالغ، إذا ما قلنا، إنه لم تحضر دولة المواطنة، والمدنية، في احتجاجات 2011، أو قبله، وحتى ما بعده، وبقيت القبيلة هي الوجود الأول للإنسان في اليمن، والشعب كله رعية لها، الوطن كبقعة جغرافية حاضرة، فالفرد غائب هنا، وكذلك مفهوم الوطن كقيمة وجودية، ومعنى، يظهر الحنين فيه وإليه والمصور في وسائل الإعلام، ودغدغة وجدان الناس، والتهويم بالآمال مجرد يوتوبيا، فـ" الوطن قيمة مدنية واخلاقية واجتماعية في الآن نفسه، وهي كذلك قيمة جماعية توحد المكونات المجتمعية دون استثناء إلا من أرادت إقصاء نفسها"[2]

ضوء آخر النفق..

عن يمن جديد

أرتأيت هنا أن أفسح المدال لبعض الأصوات المعبرة عن فكرة" ضوء آخر النفق"، رؤية هؤلاء لليمن الجديد في خضم تشظيات الأسئلة التي لم يجدوا لها إجابة شافية، والتي هي – كما أسلفنا – جزء من المشهد الفعلي للمجتمع الكبير والاحتجاجات بما هي عليه في المجتمع الصغير، فالتمثلات من مناشط وممارسات، ثقافية (صور، وشعارات، وكتابات...)، حملت رؤى

---

(1) الحداد، محمد " الدولة العالقة، مأزق المواطنة والحكم المدني في المجتمعات الإسلامية"، دار التنوير، 2018، ص7.

(2) وناس، المنصف، " ليبيا التي رأيت، ليبيا التي أرى"، الدار المتوسطية للنشر، 2018، ص 269 270.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مشرقة لليمن الجديد الذي خرج من أجله المحتجون ودفعوا حياتهم من أجل هذا الحلم: " يمن المواطنة المتساوية، وتتكرس فيه دولة الحقوق والحريات، والقانون أولًا، والتعايش، والتسامح،...إلخ، لا شيخ ولا سيد.

كان مدلول السلام، متجليًا في بعض إجابات المبحوثين، لما تركته الحرب والاقتتال اليومي، يحلمون بـ" وطن خالٍ من السلاح والفساد"، "وطن يعمه السلام"، "وطن للجميع".

أحد الآراء،: "سنوات عجاف عاشها اليمن منذ اندلاع احتجاجاته، ودفع كلفتها ولا زال يدفع بدماء الآلاف من أبنائه فضلا عن الفقر والمرض اللذين عمّا البلاد. كل المشاهد والصور والرسوم والكتابات حبر على ورق بسبب التفاف المتنفذين والقادة السياسيين ورجال الأعمال على الاحتجاجات السلمية والتي كان هدفها بناء يمن جديد ومستقبل أفضل"

أحدهم يقول،: "المفروض يمن لكل اليمنيين كما كانت ساحة لكل اليمنيين، جيفارا، الخميني، مرسي والسيسي، الحمدي وقاتله، الإمام والسلال، الماضي والحاضر، السلطة والمعارضة"، رأي آخر: " أصيب الكثير من شباب هذه الثورة بالإحباط والتراجع، فقد ضيعوا كثيرا من الوقت والجهد معلقين تعليمهم ومستقبلهم، متطلعين لهذا اليمن الجديد الذي لم يأت"، أخرى تدلي برأيها عن الضبابية التي تسم اليمن الجديد، بقولها، " هناك ضبابية، لم تكن هناك صورة واضحة لليمن الجديد، من خلال المشاهد والصور، خليط عجيب من كل شيء، ليس فيه مؤشرات المجتمع المدني المنتظر".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وثمة آخر يرى، "لم تكن صورة اليمن الجديد مبنية على المشاهد والصور والرسوم والكتابات، بل كانت مبنية على القرارات والسياسات والمصالح التي اتخذها كل طرف لتحقيق أهدافه"، فالمنادون بما ذكر أعلاه عن اليمن الجديد - والذي للأسف يحمله مثل اكليشة صورية للمناورات الاحتجاجية كل من القوى التقليدية التي تتضاد والدولة المدنية التي يطالب بها الشباب، أحد الآراء، يقول: "يمن يشبه ما نسمع ونقرأ عنه في العالم الآخر".

أجدني أتفق مع رأي بعض غير المستجوبين، "أنه لا يمكن أن تنشأ دولة ديمقراطية حديثة، وبنيتها العميقة تتكون من قوى قبلية تتضاد ومفهوم الدولة، وما يقال عن القبيلة، يقال أيضا على الجيش[1]

مستقبلان متضادان:

ف" الساحة طاردة للمستقبل"كما قال ماجد المدحجي، "نحن الآن في المستقبل"[2] أختتم قادري بحثه.

الفجئية في تغيير العقل والثقافة والتفكير في ظرف ساعة تثوير، مناوشي لرواسب ومعتقدات منذ قرون، أمر يستدعي التفكير، أو يدفع إلى القول من أن الخفة هي ما وصمت به تلك الكتابات الانفعالية والظرفية لفرجة الاحتجاجات، والتي تعد

(1) AL Qarwi. Hisham, " The Yemeni Revolution: replacing Ali Abdulla Saleh, or replacing obsolete, institutions", P10 16,Arwab center for Research,policey Studies. Doha,May 2011.

(2) المرجع نفسه، ص 119

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحد ذاتها فرجة كبرى، بل وخطيرة، من أن الحامل النخبوي لما يمور في البلد، والاحتجاجات كان ولا زال هشًا للغاية.

" يجوز القول إن بناء القاعدة الاجتماعية للتغييير لا يستقيم من دون الوعي الاجتماعي والثقافي بالتغيير، وفي غياب ذلك يسهل احتواء أي حراك وتفريغه من مضمونه التغييري، واستخدامه من جانب قوى مسيطرة اقتصاديا وسياسيا "[1]

(1) عبد الحميد، مهند، " طالعات يعُدن التحرر الوطني"، ص102، مجلة الدراسات الفلسطينية 121 شتاء 2020.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملحق صور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صورة ساحة التغيير بصنعاء بعد انتهاء الإحتجاجات

صورة ساحة التغيير بصنعاء بعد انتهاء الإحتجاجات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة العامة

شهد اليمن كما بعض الدول العربية غليانا شعبيا تمثّل في احتجاجات مطلبية عارمة، وسمت الحالة العربية – اليمنية وتحولاتها منذ نهاية 2010 وحتى اليوم، ومازالت تداعياتها حاضرة ومتجذرة بقوة في تفاصيل المشهد اليومي للمجتمعات العربية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا.

صاحبت هذه " الثورات/ الاحتجاجات"، استعراضات/ فرجة/ مشهديات وهي مجموع القيم والتمثلات الاجتماعية والسياسية، سواء اختلفت أو تشابهت فقد عدت " الفرجوية" علامتها الأولى، وعنونت سيمياء القرن الواحد والعشرين قرن الانتفاضات وثورات الربيع العربي، كانت الصورة أحد أوجهها البارزة إذ شكّلت سلطة/ أيديولوجيا -كما يقول رولان بارت – بمصاحبة وسائل التكنولوجيا الحديثة، وأهمها " مواقع التواصل الاجتماعي فتداخلت الفرجة بالواقع، ولم يعد المرء يفرق بين الحقيقي والاستعراضي، لاسيما في منعطفات الاحتجاجات من خلال المسيرات التي واجهتها السلطة بآلتها القمعية وبأقصى مستويات العنف الدموي، والذي أسفر عن سقوط الضحايا ما بين قتلى وجرحى، على سبيل المثال، "مجزرة الكرامة 18مارس2011 " في يوم الجمعة، والآلاف يقيمون الصلاة في ساحة التغيير بالعاصمة صنعاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذا المشهد تزواج كل من السياسي والديني بسعار جامح وفرض الهيمنة والوصاية على العقل والأدوار بزعم الأحقية في السلطة والثروة، والثورة أيضا والأحقية في الاستحواذ على الديني، وهذا ما يطبع اليمن منذ عقود من الزمن، حيث جرت أسلمة المجتمع والتعليم والجيش والثقافة والفنون والنساء والحياة، وجرمت التعددية والتنوع في غمرة تلك الأسلمة الفرجوية، لينسحب كل هذا على الاحتجاجات باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الطبيعة المجتمعية لليمن.

لقد كان الخروج إلى الفضاء العام، ساحات الاحتجاج "ساحة التغيير"، مفتتحا عتبة الحرية والتغيير بطاقات الشباب والتجمع المدني من ناشطين، وكتاب وصحفيين، وكذلك بعض الحزبيين، والنساء، ثم انضم إليهم العاطلون عن العمل، والفقراء والريفيون، ثم شباب القبائل، جميعهم رفعوا شعار التغيير السلمي" الشعب يريد إسقاط النظام، وارحل"، وكان المستهدف بالشعارين علي عبدالله صالح وكأنه (ثأر شخصي) وليس (إسقاط نظامه ومنظومته الاستبدادية والتوريث والتفقير...) أما المطلب الجديد القديم فقد ظل: دولة مدنية/ دولة موطنة ومواطنة متساوية-،هكذا كانوا يتكّئون على "المواطنة والمساواة"، ولكن سرعان ما دبّ الانقسام بسبب عسكرة حركة الاحتجاجات والطلب على الحماية العسكرية القبلية لمواجهة الآلة القمعية للنظام حيث انقسمت القبيلة، والمؤسسة العسكرية، وجهاز الدولة برمته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لينضّم المنشقون عن السلطة إلى الاحتجاجات، ومن هنا بدأ المسار الآخر للاحتجاجات في اليمن، تمثّل في عسكرة الفضاء العام للاحتجاجات خصوصا المنصة وخطابها الأحادي والإقصائي، بما فيه الفعاليات العادية من أغان وأناشيد، وحتى سُيِّسَت الصلوات- صلاة الجمعة تحديدا- وصارت خطبها سياسية أكثر مما هي دعوية للإيمان والتقوى، ونضحت بالكثير من العنف، والتحريض على طلب الشهادة، وتأجيج الصراع الطائفي المذهبي، وقد تحقق ذلك على أرض الواقع بفرجة مؤلمة قاسية.

ففرجة الاحتجاجات ومآلاتها، هي المجتمع المشهدي المصغر "وهي جزء لا يتجزأ من المشهد المجتمعي الكبير بكل تلاوينه. فساحات الحرية والتغيير تشكّل بيئة نفسية-اجتماعية ثقافية مولدة للانفعالات والمشاعر والأحاسيس والصور الذهنية الحقيقية والخيالية وللمواقف وللأفكار والمنظومات الأيديولوجية.

لقد تصارعت عقليتان "كتل صراعية" في الفعل الاحتجاجي، عقلية القوى التقليدية ذات المرجعية القبائلية الدينية والعسكرية، وعقلية الشباب غير المتحزب أو من الحزبيين خارج الإسلام السياسي، والمعتصمين بحلمهم الذي يريدونه متحققا من نضالهم وخروجهم إلى الشارع هو اليمن الجديد، بحسب" ما قرأوا عنه" و"حلموا به"، كما كشفت إجابات المبحوثين. وللأسف كانت الغلبة لقوى الهيمنة على اليمن عامة، والساحة بشكل خاص، وكان المشهد بائسا بتعطيل قدرات الشباب، وتحولت الفرجة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلمية المرحة المصاحبة للبدايات، إلى "بؤس الفرجة" بعد دخول القوى التقليدية.

نتطلع من سير هذه الدراسة إلى ألاّ تكون نهائية/ قاطعة، بقدر ماهي مفتوحة للقراءة بل قراءة مفتوحة بأفق منفتح ومتعدد، ولا نزعم أنها قد شملت المشهد الاحتجاجي برمته، ويكفيها أن تكون موسومة بالتطلع إلى فضاء تثاقفي على النقد والآراء المختلفة.

فمكونات اليمن الكثير من الدين والقبيلة، والمذهب هي حروب لا تنتهي، تأكل الأخضر واليابس، نيران لا تنطفئ إلا بوجود دولة وبالعلم والثقافة.

لقد أغمضت عيني..

ورأيت اليمن "[1]

(1) مأخوذ بتصرف من نويت جينجريش" لقد رفعت عينيّ، ورأيت أمريكا"، عن أي تروجون، ترجمة شاكر عبد الحميد دراسة في الثقافة البصرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المصادر والمراجع

أولا: بالعربية:

1- الكتب:

1) ديبور غي، ***مجتمع الاستعراض***، ترجمة أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع،2000.
2) بارت رولان، ***أسطوريات،أساطير الحياة اليومية***، ترجمة قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع،سوريا2012.
3) بارت رولان، ***درس السيميولوجي***، عبد السلام بنعبد العالي، تقديم عبد الفتاح كليطو، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،المغرب،الطبعة الثالثة،1993.
4) بارت رولان، ***الغرفة المضيئة – تأملات في الفوتوغرافيا*** "، ترجمة هالة نمّر، مراجعة أنور مغيث، المشروع القومي للترجمة، 2010.
5) بنعبد العالي، عبد السلام،" ***ميثولوجيا الواقع***"، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى1999.
6) بنعبد العالي، عبد السلام، " ***ضد الراهن***"، دار توبقال للنشر- الدار البيضاء – المغرب.
7) بوديار جان، ***المصطنع والاصطناع***، ترجمة جوزيف عبدالله، مراجعة سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
8) عبد السلام، محمد " الجمهورية بين السلطنة والقبيلة في اليمن الشمالي"، صفحة المكتبة التاريخية اليمنية، شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، عابدين، مصر.
9) فضل علي أحمد أبو غانم، "البنية القبلية في اليمن، بين الاستمرار والتغيير"، 1985 ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

10) المسعودي، عبد العزيز " معالم تاريخ اليمن المعاصر، القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية(1905-1948)"، مكتبة السنحاني، 1992.
11) الوردي، علي "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي.. محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر على ضوء علم الاجتماع الحديث.
12) مارشال، جوردون "***موسوعة علم الاجتماع***، ترجمة محمد الجوهري، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2000.
13) المنصف وناس،***" ليبيا التي رأيت، ليبيا التي أرى***"، الدار المتوسطية للنشر، تونس،2018.
14) التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية، "أربع سنوات من الربيع العربي"، مؤسسة الفكر العربي، 2014.
15) السقاف، أبو بكر " ***دفاعًا عن الأرض والإنسان***"، منتدى الجاوي، إعداد منصور هايل، صنعاء 2011.
16) الأحصب، أحمد" ***ما الذي يجعل الأمر مختلفًا في "ربيع" اليمن" - تقييم حالة"***، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة2012.
17) " الثورة اليمنية الخلفية والآفاق"، تحرير فؤاد الصلاحي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، أكتوبر 2012.
18) عبد المجيد اليماني، تاج الدين " تاريخ اليمن المسمى" بهجة الزمن من تاريخ اليمن"، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني"، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، الطبعة الثانية، 1985.
19) أوبلانس، إدجار " اليمن الثورة والحرب حتى عام 1970"، ترجمة وتعليق عبد الخالق محمد لاشيد، ص156-157، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، 1990.
20) القروي، هشام " ثورة اليمن: استبدال علي عبدالله صالح أم استبدال مؤسسات مفوّتة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقييم حالة، معهد الدوحة، 2 مايو 2011.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

21) " الإعلام والانتقال الديمقراطي في العالم العربي – بداية نهاية الاستثناء العربي – تحرير وتنسيق، جمال زرن – ونور الدين الميلادي- منشورات سو تيميدا- الشبكة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، تونس، جانفي 2019.
22) البردوني، عبدالله "فنون الأدب الشعبي في اليمن"، دار البارودي، لبنان، الطبعة الخامسة،1998.
23) شرابي، هشام " النظام الأبوي، وإشكالية تخلف المجتمع العربي"، نقله إلى العربية، محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية.
24) بشارة، عزمي ***" في الثورة والقابلية للثورة"***، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، 2012.
25) التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية- العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير- أربع سنوات من " الربيع العربي"، 2014-1436، مؤسسة الفكر العربي-لبنان.
26) بن عاشور، عياض " تونس ثورة في بلاد الإسلام"، ترجمة، فتحي بن الحاج يحيى، معهد تونس للترجمة/ سراس للنشر، 2018
27) دي سيرتوه، ميشيل، " مسيرات في المدينة"، ترجمة، أحمد حسان.
28) القديمي، نواف " يوميات الثورة من ميدان التحرير إلى سيدي بو زيد، حتى ساحة التغيير، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.بيروت 2012.
29) " الانفجار العربي الكبير – في الأبعاد الثقافية والسياسية"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،2012.
30) شرابي، هشام ***"مقدمات لدراسة المجتمع العربي"***، الدار المتحدة للنشر، لبنان، الطبعة الثالثة، 1984.
31) الحداد، محمد، " الدولة العالقة، مأزق المواطنة والحكم المدني في المجتمعات الإسلامية"، دار التنوير، 2018.
32) الشوبكي، عمرو، ***" الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي"***، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2014.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

33) دوربريه، ريجيس " ***حياة الصورة وموتها***"، ترجمة، فريد الزاهي، دار أفريقيا الشرق- المغرب، ط2013،2.

34) هوتز، جيرالد" ***سلطة الصورة الذهنية***"، ترجمة، علا عادل، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1435،1هـ - 2013.

35) بورغا، فرانسوا، "***الإسلام السياسي في زمن القاعدة***"، ترجمة سحر سعيد - ط1، 2006.

36) سونتاغ، سوزان،" ***حول الفوتوغراف***"، ترجمة عباس المفرجي، دار المدى، ط1، 2013.

37) حميدة، مخلوف، " ***مجتمع الصورة بين ثقافة الفراغ وفراغ الثقافة***"، تقديم الدكتورة ألفة يوسف، الناشر شركة ميديا قرافيك -منبليز، تونس، أكتوبر2009.

38) الصافي، محمد، " ***الخطاب الإشهاري والدعاية السياسية***"، ترجمة، سعيد بنكراد، ضمن كتاب " استراتيجيات التواصل الإشهاري، سعيد بنكراد وآخرون، دار الحوار، ط1، 2010.

39) بنكراد، سعيد، "***السيميائيات،مفاهيمها وتطبيقاتها***"، دار الحوار، ط2، 2012،

40) السعيداني، منير، "***الرؤية والمدى، حصاد نقدي للبحث في " المخيال***"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، وحدة البحث في المتخيل، 2006.

41) أيكو، أمبرتو" ***العلامة تحليل المفهوم وتاريخ***"، ترجمة سعيد بنكراد، مراجعة، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي- المغرب، ط2010،2.

ثانيا: المراجع باللغة الإنجليزية:

1. ***" Messages، Signs، and Meanings،"*** **"، A Basic Text book in Semiotics and Communication" 3rd edition، Series Editor: University of، Marcel Danesi، Canadian Scholars، Press Inc- Toronto-2004.**

2. **Bonnefoy،Laurent- Poirer،Marine، *"The Structuration of the Yemeni Revolution، Exploring a process in notion"*، Presses de Sciences Pol"Revue FRANC aise de Science Politique "،Volume 62lssue 5،2012lfrom 895 to 913،Page183**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

3. AL-Qarwi. Hisham، *" The Yemeni Revolution: replacing Ali Abdulla Saleh، or replacing obsolete، institutions"*،Arwab center for Research،policey Studies. Doha،May- 2011.
4. -Tosk، Silvana، College، Davidson"، The rise and fall nececssity of Yemen"s youth movements" :"،Politics Governance and Reconst ruction in Yemen، POMPES – STUDENST – 29 – SCIENCE – PROGECT.ON.
5. - RashidKTahiraa/ Farhatullah " ،Yemen Crisis since 2011،"Jopic of Assignment ،Section A 2 ،Gcu Lahore.
6. - Debord، Guy، "The Society the Spectacle"، The Anarchist Library، Anti-Copyrighe-Retrieved on February 13th، 2009، page13.
7. - HARRISON، CLAIRE، " visual Social Semiotics: Understanding How Still Image Meaning"، Communication. Volume50. Number 1، February،2003.

1- المقالات والمجلات:

1. كمال عبد الرحيم، سيميولوجيا الصورة الفوتغرافية، مجلة علامات، مجلة متخصصة بالسيميائيات والدراسات الأدبية الحديثة والترجمة، المغرب، العدد،16، 2004.
2. حسين، ميادة، المؤمني، واصف،" جماليات الفن الجرافيتي في الفراغ الداخل"، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 10، عدد1، 2017، 35-48.
3. الغرافي، محمد، " قراءة في السيميولوجيا البصرية" ص227، عالم الفكر، العدد"1"، المجلد"31"، يوليو، سبتمبر2002
4. روجوف، إيريت، "دراسة في الثقافة البصرية"، ص168، ترجمة شاكر عبدالحميد.
5. " بلاغة الصورة – رولان بارت"، ترجمة أحمد جيلالي، مراجعة أحمد الفوحي، مجلة علامات، العدد، " 44"، 2015.
6. Washington Dc: centeral Inteligence Agency.2006 and Sharp، ibid.p.4، أخذه، أحمد محمد أبو زيد، " معضلة الأمن اليمني – الخليجي، دراسات في المسببات والانعكاسات والمآلات"- مجلة المستقبل العربي.
7. مجلة مدارات (مجلة فصلية ثلاثية اللسان، عدد19-20 صيف – خريف-2013، " حوار الثورات: حوار مع المفكر عبد المجيد الشرفي".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

8. حسين، ميادة، المؤمني، واصف،" جماليات الفن الجرافيتي في الفراغ الداخل"، المجلة الأردنية للفنون، مجلد 10، عدد1، 2017،
9. بو عزيزي، محسن،" اللغة والثورة، قراءة في الدلالة"، ص113، http://yaf.ps/server/uploadedFiles/docs/PALASTINIAN-ISSUS1/9.pdf
10. " ثورات الربيع العربي 2011، عالم الفكر، العدد 4، المجلد 40، أبريل- يونيو، ص303
11. السامعي، عيبان، " ثورة 11 فبراير.. مقاربة سوسيولوجية"، العدد 6141، 2019/2/10، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=627579&r
12. https://bidayatmag.com/node/401
13. عثمان، أروى، " من اللاحبل إلى الجدار، قراءة في أوراق الربيع النسوي اليمني"، مجلة بدايات، العدد السادس، صيف 2013.
14. حرمل، جبران " ثورات الربيع العربي ومستقبل النظام السياسي العربي"، العدد29، السنة14، مجلة الجامعة الأسمرية.
15. عبد الحميد، مهند " طالعات يعُدن التحرر الوطني"، ص102، مجلة الدراسات الفلسطينية 121 شتاء 2020.

2- التقارير

16. جيبني هل، بيتر سلزري، ليوني نورندج، جين كننمنت،" اليمن: الفساد وهروب رأس المال والأسباب العالمية للصراع"، تقرير تشاتم هاوس.
17. تقرير العنف المسلح في اليمن مبادر يديرها مسح الأسلحة الصغيرة، وهو مشروع بحث مستقل تابع للمعهد العالي للدراسات الدولية والتنموية في جنيف – تقرير اليمن، العدد(1) مايو **Yemen Armed 2010 Violence Ass essment**
18. " وضع التنمية البشرية في اليمن"، عرض تقديمي، الجلسة العلنية السادسة، 2013/3/27

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

3- الصحف:

19. الشارع، يونيو 2012، العدد، 237.
20. الشارع"، الأربعاء 13 فبراير 2013، العدد 443.
21. الشارع 14 مايو 2011 العدد 191
22. الأولى – العدد 366 – الاثنين 12مارس 2012
23. أخبار اليوم، 6 يوليو 2011، العدد، 2364
24. الثوري، العدد 2191، تاريخ 2012/6/7.
25. 6- الرسائل الجامعية:
26. الحمادي، هزاع " القرابين والنذور في الديانة اليمنية القديمة"، رسالة دكتواره، من جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار المصرية، بإشراف، عبد الحليم نور الدين، 2006.

4- وثائق

27. بيان تكتل العلماء الأحرار رقم(10) بشأن مصطلح (الدولة المدنية)- صنعاء، 21 رجب1432هـ الموافق 2011/6/22.

5- المواقع الإلكترونية:

https://www.youtube.com/watch?v=Zw7NXePLH48 ،8:48 ،2020/6/15 صباحًا.
https://www.yemeress.com/alain/13388.(2022/1/16، 4:46-صباحًا) ،
https://arij.net/ministry-of-culture.(6:57 ،2022/1/15) ،/
https://almasdaronline.com/article/17866
https://akhbaralyom-ye.net/news_details.php?sid=66186 ،6:51 ،2022/1/18) صباحًا).
https://marebpress.org/articles.php?id=9705.(2022/4/5، 4:19 صباحًا)
http://www.yafa-news.net/archives/4142.(2022/1/19، 1:25، ظهرًا)
https://www.youtube.com/watch?v=oNmIIu0j51c 10 الساعة ،2021/12/22 صباحًا).
https://www.youtube.com/watch?v=0AtuafoKwrk.(1.33 الساعة ،2021/2/23)
http://www.sahafah.net/show386143.html
https://arabic.rt.com/news/67723-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%A7%D8%AA_%D9%8A%D8%AA%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1%D9%86_%D8%B6%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3_%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD_%D9%

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

84%D8%AF%D8%B9%D9%88%D8%AA%D9%87_%D8%A7%D9%84%D9%89_%D9%85%D9%86%D8%B9_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%B7/
https://www.arab48.com/
https://yemenrevolution.wordpress.com/2011/03/14/3678657/
صحيفة الخليج،
http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/558698d0-51e2-4d63-a686-563cefbefad1.
https://www.youtube.com/watch?v=RN8Ap__rF-g
https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2012/01/02/234472.html 1) فبراير، 2022، 8:20، صباحًا).
https://www.youtube.com/watch?v=TEgdLDT5OW4(عبدالله صعتر)
https://www.youtube.com/watch?v=pbV-rxCqpjg
https://www.youtube.com/watch?v=8ES360ZPfTE.(8:40 ،2022/1/24) ،
https://www.youtube.com/watch?v=YY6AlsPX0rg.(12:14 ،2021ديسمبر29)
http://sahafaa.net/show565073.html
مقال للكاتب مروان الغفوري"تعالوا نوّجل حرب قندهار وقريش."، 28-ديسمبر2021- 12:41)، ظهرا.https://almasdaronline.com/article/18749
مقال للكاتب فيصل علي، " الثورة المضادة"،
https://marebpress.net/articles.php/video/23008/articles.php?lng=arabic&id=10758.(14 مارس 2021-6:44، صباحًا)
28. https://www.yemeress.com/freedom/18470.صباحا (7:15 ،2022/1/24) ،
29. https://www.youtube.com/watch?v=u_nbMBiY2fw ،2020/6/15 ، 11:44، صباحا.
30. https://www.youtube.com/watch?v=cOsX_RcGBgY
31. https://www.youtube.com/watch?v=URHQSdc75bs ،2022/1/24) ، 8:19) صباحًا.
32. https://www.youtube.com/watch?v=x5jUfZmBJqc ،9:14 ،2020/6/16 صباحًا.
33. https://www.youtube.com/watch?v=x5jUfZmBJqc ،11:20 ،2020/6/16 صباحًا.
34. I - http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/cb250ba3-dff3-4c4e-ac25-8f7d4110f443
35. I- https://akhbaralyom-ye.net/news_details.php?sid=40161
36. https://www.yemeress.com/lahjnews/14508
37. https://almawqeapost.net/special-pens/2698
38. صباحًا، 19،3،2022 (9:24
http://yawmeyateeb.blogspot.com/2012/01/blog-post_26.html
39. https://www.yemeress.com/yemenvoice/7020(11:48 ،2022/3/19) ،
40. http://sahafahnet.net/show379702.html
41. نقلًا عن صحيفة الشرق الأوسط -https://www.alrakoba.net/179431
42. httpswww.ye1.orgforumthreads626829page-46
43. https://www.youtube.com/watch?v=2u6W28TOLxg ،2020/6/16) 9:38- صباحا).
44. http://albaath-as-party.org/nprint.php?sid=123308 ،2020/6/16 .12:25
45. https://www.dw.com/ar/%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1-%D8%A3%D9%85-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

46. https://www.youtube.com/watch?v=F8WZAGKbIBY ، تمت المشاهدة 2021/2/7، الساعة التاسعة صباحا
47. http://www.madarisna.info/?p=17876.(2021/2/7، الساعة العاشرة- صباحا)
48. https://www.youtube.com/watch?v=yiBM4_hrq (2019/2/9، الساعة السادسة والنصف –صباحا).
49. https://www.youtube.com/watch?v=x2oLcpoqnx8 (2021/2/9 الساعة السادسة والربع صباحا)
50. https://www.youtube.com/watch?v=0nVz78NFt7k (20219-2-9 الساعة السابعة وسبعة وأربعون دقيقة- صباحًا)
51. https://www.youtube.com/watch?v=cDNmsXbaPpM.(7 يناير 2021)
52. https://althawra-news.net/news4881.html.(الثورة نت)
53. https://akhbaralyom-ye.net/news_details.php?sid=42609.(
54. https://akhbaralyom-ye.net/news_details.php?sid=42609 - 2021/2م16) الساعة السادسة والربع صباحًا).
55. https://www.youtube.com/watch?v=U6FUdS6sPtQ
56. https://www.youtube.com/watch?v=nu9mZX3LdJU
57. من تقرير مجدي الضبيبي، صحيفة أخبار اليوم، https://akhbaralyom-ye.net/nprint.php?lng=arabic&sid=43760
58. استعير المصطلح من مقالة الدكتور غرس الله، https://www.elhourriya.net/31480.html
59. https://www.youtube.com/watch?v=IgDpKDYTlvs (7:30 ،2022/2/2)، صباحًا.
60. https://www.azmibishara.com/ar/%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%B6%D8%B1%D8%A7%D8%AA/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%B9%D8%B2%D9%85%D9%8A-%D8%A8%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%A7%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%8A%D8%B1-%D8%A8%D8%B5%D9%86%D8%B9%D8%A7%D8%A1 (9:20 ،2،2،2022)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

مدخل 7

الفصل الأول

"ربيع الفرجة": المشهد الاحتجاجي في اليمن

تمهيد 19
لماذا الفُرْجَةُ Spectacale 19
سؤال الاحتجاجات: 23
دوافع محددات المشهد الاحتجاجي: 28
أولاً: المحددات السوسيو – ثقافية عن اليمن 28
أ -شوكة العصبية القبلية: 31
ب - المشايخ، مصنع الرؤوساء وخزان المليشيات" العكفة": 36
جـ - الجيش الغنائمي العائلي - القبائلي، كمحدد سياسي 38
من أين أتى مفهوم الحماة والحماية؟ 43
لماذا هي ليست دولة؟ 45
اليمن كدولة فاشلة: 47
المحددات الاقتصادية والديمغرافية: 53
المحددات التعليمية والثقافية: 55

الفصل الثاني

فرجويات أشكال التعبير، ودور القوى الفاعلة

تمهيد 63
أولاً: قراءة المسميات ومدلولاتها: 63
ثانيًا: قراءة في الفضاء المعماري لساحة التغيير: 67
(1الساحة: 67
(2الفاعل الاحتجاجي في الفضاء الرمزي 77

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القبائل(القوى التقليدية): 78
الفرقة الأولى مدرع: 82
رؤية على القبيلة والفرقة: 88
القوى الإسلامية(إصلاح، حوثيون، سلفيون) 107
الإصلاح: 107
الحوثيون: 112
السلفيون 114
النساء 115
خطاب القصف ما بعد الربيع: 119
فرجة الأستار" سيميولوجيا الجسد والملبس: 122
الشباب الناشطون المدنيون 128
القوى السياسية غير الإسلامية: 130
المشهد الاحتجاجي أكثر من مسار وأعنف من سلمية 133

الفصل الثالث

المشهد البصري الفُرْجَوّي للاحتجاجات في اليمن

تمهيد 143
1-القنوات الفضائية: 145
2-الكاريكاتور والجرافيتي، والكتابات 149
3-الشعارات 153
4-شعارات النكتة: 159
5-شعارات نسوية: 162
6-شعارات التحديث 163
7-شعارات باللغة الإنجليزية: 163
8-شعارات حماة الثورة 164
9-شعارات رسم الأجساد: 165
10-الزوامل: 166
11-المنصة: 168
فرجة الإضحاك: 179

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرجة تصنيع الأيقونات والثورة المضادة 181
صناعة الأيقونات: 181
فرجة الخرافة، من لحوم مسمومة، وغيرها: 184
المنصة والرؤيا 184
فرجة، أحرجتمونا، و"براءة الاختراع" 188
فرجة شباب الحسم، والثورة المضادة: التخوين 189
فرجة مسيرة الحياة، إنعاش محتضر 193
فرجة " مش وقته الآن" و" الثورة دهفتني". 197
الثورة فاشلة/منتصرة: التخوين بمسميات 199
-12الميديا: 202
-13الصورة 206

الفصل الرابع

تشكلات الصورة سيميولوجيا

تشكلات الصورة سيميولوجيا 221
-1السيميولوجيا: 223
-2الصورة ودلالاتها: 226
3-سيمائية الصورة الفوتوغرافيةSemiotics of Image 230
الرسالة الألسنية: 236
فرجة " الزحف نحو القصر الجمهوري 243
فرجة الكرامة"، ويا شهيد ارتاح، ارتاح 252
فرجة تشييع "قرابين الثورة" 255
فرجة " حذاء أحمد الرعيني": 257
سوق الشهادة الرائجة 259
فرجة الجرافيتي: 282
فرجة، حملة " أنا نازل"، "لا لعسكرة الجامعة" 308
فرجة الصلوات.. الملل والإملال: 336
فرجة: خيم التفتيش والحواجز الأمنية 355
فرجة القات 357

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استنتاجات التحليل السيميولوجي للصور: 359

الفصل الخامس

مآلات الفرجة المضاعفة للاحتجاجات وتشظياتها:

الأنوميا الاحتجاجية 363
الفبرايرولوجيون: 367
"القبيلة السلمية" صميل بيد الأقوى 372
مستقبلان متضادان: 379
ملحق صور 381
الخاتمة العامة 415
قائمة المصادر والمراجع 419

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ربيع الفرجة

سيميولوجيا المشهد الاحتجاجي في اليمن

2012-2011

هذا الكتاب سوسيو – سيميولوجي وسم، بـ" ربيع الفرجة، قراءة سيميولوجية للمشهد الاحتجاجي اليمن 2011-2012"، يتخذ من الصورة مسارا للتعرف على بعض ماكان يمور في ساحة التغيير. منطلقا من الإشكال الرئيس التالي: ما هي مكوّنات المشهد الفرجويّ الذي تشكّل في ساحات التغيير في اليمن بين الفترة 2011-2012؟ ويتفرع هذا الإشكال بدوره إلى أسئلة فرعية تهدف إلى معرفة الدلالات السوسيولوجية والسيميولوجية لـ "ربيع الفرجة"، متخذين من المشهد البصري الثوري اليمني مدخلًا للغوص في طبيعة الاحتجاجات، وأثر القوى الفاعلة فيها وأهدافها السياسية.

ينحو الكتاب أيضا منحى الدراسات البصرية " Visual Studies"، لما أضطلع به خطاب الصورة الفوتوغرافية من أدوار حاسمة في تشكيل موتيفات الساحة، وكذلك الرأي العام وفرجوياته المختلفة فلقد كان هذا الخطاب مهيمنًا على الفضاء المحلي والدولي، وعليه فقد عملنا على استنطاق الصورة وصولًا إلى المعنى/ الدلالة وفق مقاربة سيميولوجيا رولان بارت.

أروقة
للدراسات والترجمة والنشر